اللامُ الشمسيّة

في ضبابِ الغُربةِ

رواية

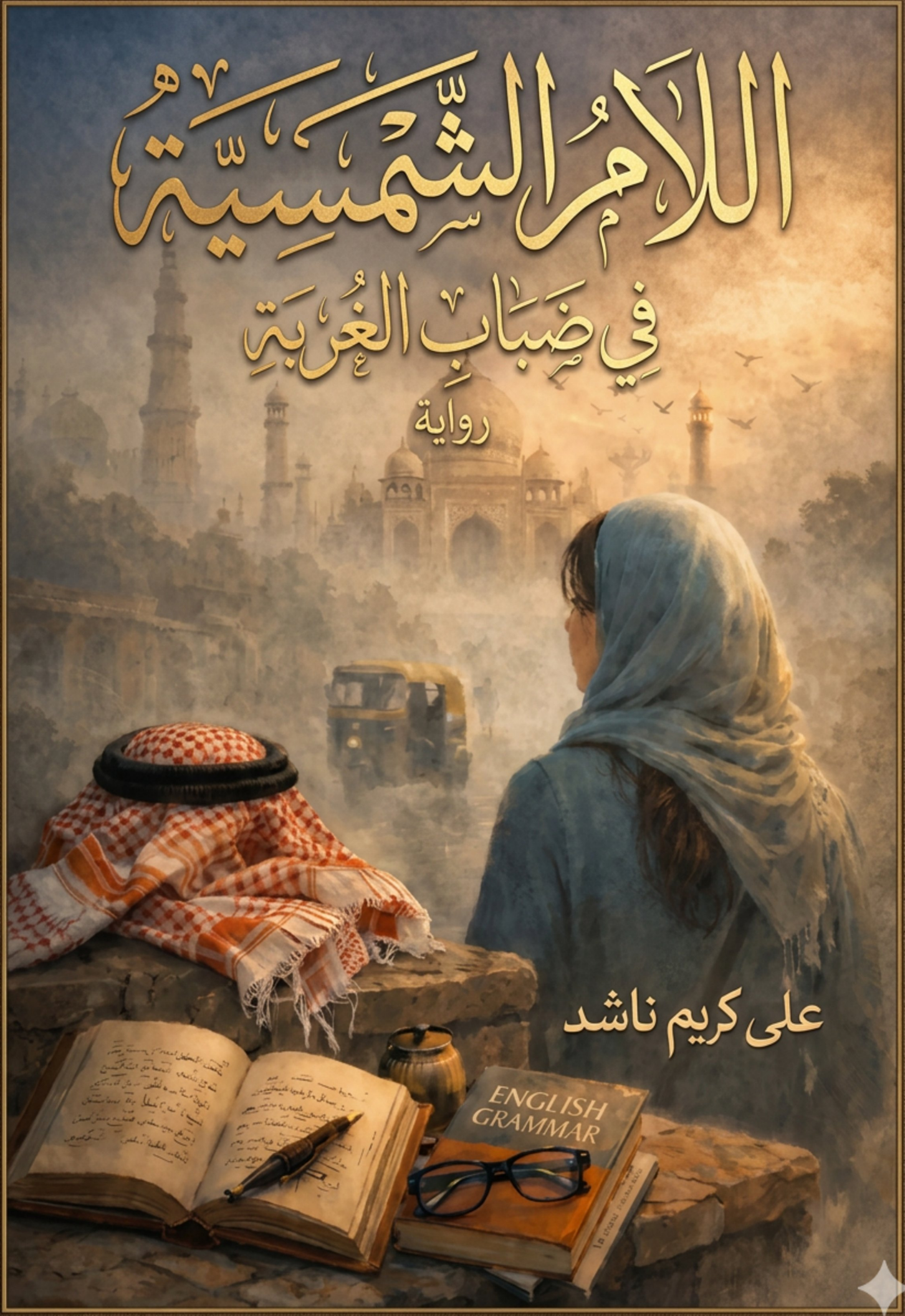

علي كريم ناشد

الــلام الـشــمـسـيـة

في ضباب الغربة

رواية

علي كريم ناشد

المحتويات

الفصل الأول..... 7

أطياف في ثوب غريب 7

الفصل الثاني 19

سدنة الحرفِ وحروب المظاهر 19

الفصل الثالث 43

عمدة النبل وفضلة الزيف 43

الفصل الرابع 71

ائتلاف الحروف واختلاف القلوب 71

الفصل الخامس 90

تضادُّ الظلِّ والجوهر 90

الفصل السادس 121

نحو العودة وصرف الوجع 121

الفصل السابع 152

إعراب الأرواح في وطن مبني 152

الفصل الثامن 172

إعراب اليتيم وبناء الشهامة 172

الفصل الأول
أطياف في ثوب غريب

انسمرت قدما رغد في مكانهما، ليعيد لها مشهدًا مسروقًا منها، كأن أباها جاء متشوقًا لها، ينتظر عودتها جالسًا–كما تتخيله في أغلب أوقاتها–عند الطاولة القريبة من النافذة في مطعم الشماغ الذي يملكه ويديره زوجها. تصلبت أنفاسها، وجف ريقها، وهي صامتة وسط فضاءات المطعم الهادئة، وعيناها تركزان بتفاصيل هذا الرجل الغريب الذي يجلس في المطعم. تحدق رغد في الشماغ الأسود للرجل بنقوش أصلية متربعًا فوق رأسه الشامخ، منسدلًا على كتفيه مرتب الطرفين بعناية، محتضنًا بالعقال الأسود المستقر بثبات. لم يصل نداء ابنتها الصغيرة إلى مسمعها، ولا شد تلك الطفلة لطرف ثوب أمها ينبهها، فصدى صوت أبيها أحتل أعماقها، فاختفى الأطفال، وبقيت هي وحيدة.

ما زالت رغد تقف وسط المطعم بين الواقع والسراب حتى اخترق صمتها صوتٌ مألوف دافئ قريب، واضعًا يده على كتفها بخفة، مناديها بنبرة حيرة وحب: رغد، حبيبتي، هل أنت بخير؟ ما بك؟ انتفضت انتفاضة خفيفة، وارتجفت أجفانها طاردة الذهول المكبل لها لثوانٍ كأنها أعوام. نظرت إلى زوجها نظرة تائهة بعينين تلمعان بدموع محبوسةٍ محاولةً جمع شتات نفسها، ثم أدارت وجهها إلى تلك الطاولة حيث الوجع الجميل، فما كان من زوجها علي (أبو أديب) إلا أن أطال النظر إلى ذلك الرجل، وبعد لحظات، صار أمامها كأنه حد فاصل بين الحقيقة والسراب مخاطبها بود وحنان: تعالي، تعالي. جذبها برفق إلى أحدى الزوايا الهادئة خلف منصة الاستقبال، وهو يمسك بيدها. نظر في عينيها، ثم التفت إلى ذلك الرجل، وأرجع نظره إليها، وهمس بحنان: اهدئي. أنا أشعر بالثقل الذي يطبق على صدرك. وسكت، وهو يسمع أنفاسها، وهي تبادله النظرة. أجلسها على كرسي، وعيناها لا تفارقان ذلك الرجل، وهو يتناول الطعام، ويقرب طبقًا إلى تلك البنت التي تجلس بجانبه، وهي تبتسم له. اكتفى علي بالنظر لدموع رغد التي لم تنطق بكلمة واحدة. انتهى الرجل من الطعام، وما زال جالسًا، والفتاة تأكل ببطء.

وقف علي أمامها حين ارتفع صوت بكائها، وجفونها مقيدة بذلك المشهد الذي جلب به النادل علبة الكولا، فتناولها الرجل منه، وفتحها، وسكبها ببطء في قدح زجاجي. وقدمها للفتاة التي تكبرها رغد بسبعة عشر عامًا. وعينا رغد تتبعان السائل الداكن الذي يرتطم بقاع القدح متصاعدًا بفقاعات متسابقة نحو الأعلى، ثم تتراجع يده بالعلبة فتتوقف عن الافاضة على حافة القدح. وعينا الفتاة تلمعان، وهي تتناول لقمة. مسح دموعها، وقال: هل تريد أن نجلس معهما؟ كرر عليها السؤال بلطف وهدوء. فقالت: نعم، أريد.. لا، بل.. لا أريد.. رد عليها: يا بنت عمي، وأم

أولادي، أنا معك ولك. سكتت. ربت على وجنتها مجففًا بقايا بللها، وقال: رغد، حبيبتي، امسحي وجهك، الناس تنظر إلينا. دعينا نسلم عليه، وننهي كل شيء قبل أن يغادر المطعم. وقف علي، ومدت رغد يدها، وهي ما زالت جالسة على حجابها لتعدله. ثم نهضت.

تقدما بخطوات مثقلة نحو تلك الطاولة حيث يجلس الرجل والفتاة، وحين اقتربا، استقبلهما الرجل منتصبًا بوقار تفيض به ملامحه، وبهدوء لا يكسره إلا قعقعة خفيفة لسترته الصوفية الكلاسيكية الموحية بأناقته. صمت أبو أديب للحظة، ابتلع ريقه، ثم رحب بتلعثم: أ.. أهلًا.. أهلًا.. رد الرجل بابتسامة غارقة بسكينة، وهو يشير بيد نحو المقاعد: تعالوا، يا يابة، اقتربوا. والله الزاد ما يطيب إلا بوجوهكم الكريمة. حاول أبو أديب الاعتذار بلطف: شكرًا جزيلًا، يا عم... نادى الرجل النادل: يا بني، تعال، اجلب لهما ما يشتهيان من طعام. وقف النادل مبتسمًا ينظر إلى أبي أديب. والرجل ينظر له، وهو يمشط بيده بياض لحيته التي محا سوادها. فأجاب أبو أديب: يا عم، دعني أقدم لك نفسي، فقاطعه الرجل قائلًا: يا بني، أولًا تناولا الطعام، وبعدها قل ما شئت وطلب مني ما تحب، وأنا سأكون مستمعًا لك ومجيبًا. رد أبو أديب بكل تقدير: نعم، يا عم، أنا صاحب هذا المطعم. لم يتراجع الرجل عن دعوته إليهما: يا بني، الضيف في دار الكرم صاحب هو صاحب البيت. اجلسا، ولا تردوا عابر سبيل تمنى ضيافة أهل بيته. كانت رغد تسمع كلامهما، وعيناها مركزتان على ذلك الرجل، متجمدتين على وجهه الذي يفيض بحكايات السنين، تجاعيد جبهته التي تحكي عن عقود من الصبر. وحين قدم لها الرجل قدح الماء، هوت عيناها إلى يده تتأمل عروقها النافرة. ناداها بصوت رخيم: تفضلي يا بنتي. فناداها علي: رغد، رغد، أجيبي العم. ثم قال الرجل: يا بنتي رغد، تفضلي. هتفت في سرها: هل ناداني!

لحظ الرجل سقوط دمعة من عيني رغد فوق القدح الذي مسكته بيدها المرتجفة. والتفت إلى أبي أديب الذي يركز نظره على يد رغد المرتجفة، وهي تعدل حجابها، فتذكر حركة يدها لتعديل حجابها حين تريد تقبيل يد أبيها. كسر الرجل حاجز الصمت، ونظرات السكون بسؤال لأبي أديب: يا بني، أرى دمعة تترقرق في عيني زوجتك، وأخشى أن أكون متطفلًا، وفي الوقت ذاته لا أستطيع أن أرى إنسانًا يتألم ولا أساعده، فساعدني أرجوك. لمعت عينا أبي أديب، وقال: حفظك الله، يا عمي. الشبه طعان.. وزيك ريحة الغوالي. اعذرنا، نشتاق لأهلنا. وتوهمنا فيك الخير.

دقق الرجل النظر بعيني رغد دون أن يتكلم. وأدار وجهه عنها متحاشي النظر لعينيها المتسعتين بالدموع والسوداويتين بالحزن، وقال بنبرة هادئة: سامحوني، فالشبه أحيانًا يكون طعنة. شهقت رغد شهقة مكتومة، جعلت عليًا؛ يستأذن من الرجل، ليترك الطاولة، ويخرج من المطعم.

صفع وجه رغد وزوجها هجير دلهي، وضجيج الركشا المتسارعة، وأبواق السيارات حين دفع باب المطعم الزجاجي؛ ليرافقها في انسحابها من المطعم، تاركين وراءهما ملامح أبيها عند ذلك الرجل الجالس في سكون عراقي. يمشي علي كمشية زوجته بخطوات واهنة لا تشبه خطواتها الحازمة

التي اعتادها في طرقات البصرة، ولا حتى مشيتها الواثقة التي بدأت تتطبع بها في طرقات دلهي منذ ثلاثة أشهر. لم يفلح صخب الشارع المرتطم بمسمعيها في اختراق صمتها، ولا حتى كلمات زوجها التي تواسي حزنها، بل كانت كلمات الرجل تملأ سمعها وتدور في رأسها كترنيمة مقدسة تحجب ضوضاء العالم، حتى ضغط علي على يدها برفق، فسألته بصوت مخنوق: أكان هذا أبي! نظر علي إلى الأفق، وأجابها بنبرة كلها شجون، وهو يفتح باب بيتهم: بل هو الحنين والغربة، يا أم أديب. تآمرا معًا ليضعا هذا السراب. فلنذكره بالرحمة خير له ولنا.

دخلا البيت، فصاحت فاطمة: أهلًا ماما بابا. ليستقبلهما أولادهما الذين كانوا ينتظرون وجبة الغداء بعد رجوعهم من المدرسة العراقية التي تعمل فيها أمهم في العاصمة دلهي، تدرس اللغة العربية. يذهبون ويرجعون معًا إلا أنها اليوم توقفت عند مطعم زوجها، وهم سبقوها إلى البيت. سألتهما فاطمة: أين الطعام؟ فأجابها أبوها مبتسمًا: سيصل حالًا. قال حسين: أنا جائع، لقد سرقوا قطعة الحلوى مني. من سرقها؟ من؟ قولوا؟ أجابه آدم، وهو يصرخ كاذب. صرخت رغد بغضب: كفى! كفى. قال علي: يا أولاد، أمكم متعبة، فلا تزعجوها. وخرج متوجهًا إلى المطعم، وهو يقول: استغفر الله، يا ربي.

بينما دخلت رغد إلى غرفتها، وأغلقت الباب خلفها، خلعت معطفها، وأزراره تستعصي على أصابعها المرتجفة، فارتمت به على سريرها، وخاطبت نفسها: اللهم، لك الحمد، أرحم أبي في هذه الليلة ليلة الجمعة. لم يكن شهر نوفمبر 2011 في الهند باردًا إلا أنها بقشعريرة غريبة سكنت أطرافها، ارتمت فوق سريرها، وسحبت غطاءً ثقيلًا؛ لتلتحف به. سكنت حركاتها، وتجمدت نظراتها في الأفق على نقطة سرابية. استسلمت إلى خيط ضياء أنسل من شقوق حاضرها؛ ليفتح جدار ماضيها الذي ينبض أعلى من حاضرها، فراح خيالها يجرها جرًا وئيدًا إلى ذكريات حتى غاب عنها ضجيج بيتها؛ ليعرض لها شريط سينمائي تفاصيل صغيرة، مرددة بفيض من دمع: كان أبي موجهًا عينيه لي أنا، هل كان يعتذر لي! أو يستجد بي من وجعه! أو أنه أراد أن يوصيني! أو أنه أراد توديعي واحتضاني... أو.. أو.. أو ماذا، يا ربي! قامت من فراشها، ووقفت عند صورة أبيها، تتأمل في عيني أبيها، ويسبح ذهنها في عيني ذلك الرجل الغريب، الشيخ. كان صوت الساعة يكسر صمت الغرفة، تردده تك.. تك.. تك.. يهاجم سمعها، فقالت لنفسها: "هذا هو إيقاع ذلك الجهاز". فأرجعها إلى مايو من 2010 في مستشفى أبولو في دلهي حين كانت ترافق أباها ومعهما زوجها وأبيه. تذكرت جهاز التنفس الاصطناعي، ذلك المايسترو الرتيب الذي يقود جوقة الموت بصريره المنتظم، شهيق ميكانيكي حاد متبوع بزفير مخنوق. صارت بين حاضر دقات الساعة وماضي صوت جهاز التنفس. وضوء غرفتها يرجعها إلى أضواء المستشفى الخافتة، ليذكرها بشحوب وجهها ووجوه من معها.

حل المساء، ورغد لم تخرج لتدرس أولادها كالمعتاد. وقفت فاطمة على العتبة، تضغط على مقبض الباب بيد مرتعشة كأنها تخشى كسر زجاجة رقيقة. حين انفتح الباب، استقبلها الصمت. تقدمت نحو أمها بخطوات خافتة حذرة، كمن يمشي على نصل سكين، وهي تومئ لحسين بالسكوت، وعدم الدخول. وجدت أمها منكمشة، متوسدة ذراعها، وأنفاسها متهدجة كأنين مكتوم في حلم كئيب طويل. شعرت فاطمة أن جدران الغرفة تطلب منها كسر هذا الجمود المهيب والسكون المخيف. جلست عند راس أمها، تنظر لوجهها بعينين متسعتين. استحضرت من ذاكرتها حديث أمهما عن صلابة النخلة البصرية، تلك القصة التي طالما روتها لهم. مسحت بأطراف أصابعها المرتجفة آثار الدموع التي جفت على وجنتي أمها. مالت عليها، وهمست بفيض من الحنان: قومي، يا حبيبتي. تأخرنا عن موعدنا مع الله، صلاتك تنتظرك. ونحن اشتقنا إليك. تنهدت رغد، وعيناها مغمضتان، حركت يدها، فتناولتها فاطمة بسرعة، وطبعت عليها قبلة. سحبتها رغد لتحتضنها، وفاطمة تقبلها وتقول: ماما، أنت لم تصلي الظهر، وقد حل المساء. شعرت رغد بغصة جرحت حنجرتها فصعب الكلام عليها، بلعت ريقها، وقالت: لا اله إلا الله. ونهضت مثقلة، تتوكأ على يد فاطمة. استقبلها ضوء الصالة، وصوت آدم لخديجة: جهزي الغداء لماما.

أغلق علي باب بيته متوجهًا إلى مطعمه الذي يتوسط المسافة بين بيته ومدرسة زوجته وأولاده. جرفت ذاكرته رياح الذاكرة إلى مايو 2010. تذكر تعب رغد حين يجلس على حافة الرصيف في رحلة بحثهما عن طعام عراقي أو عربي في دلهي؛ ليسد جوع أبيه وعمه أبي رغد المرابطين في مستشفى أبولو. ما زال صوت أبيه يتردد في أعماقه "إلا توجد كسرة خبز نشم فيها رائحة العراق". ورد عمه أثناء فترة إجراء الفحوصات الطبية "والله كسرة خبر عراقية أفضل من قصور الغربة". اقترب علي من مطعمه لكن قدميه لم تطاوعاه على الدخول. فجلس على حافة الرصيف، يتأمل لافتة مطعم الشماغ التي تعلو الباب الزجاجي. تذكر رفض عمه وأبيه التخلي عن الشماغ والعقال حتى حين جاءا إلى دلهي، وحتى في أقصى أيام مرض عمه، وكيف نزع أبوه الشماغ والعقال تضامنًا مع عمه الذي منعه رقوده في المستشفى عن ارتدائهما. عادت إليه صورة عقال عمه المركون عند رأسه على السرير. ذلك التاج الذي طالما حل معضلات الناس، صار الآن يتيمًا. تذكر دموع أبيه العصية، وهي تنهمر لأول مرة على صديق عمره، ورفيق دربه في مساعدة الناس. ورفضه العنيف لكلمات المترجم حين قال: "لا شفاء له". وصرخة أبيه بأن "الطبيب لا يفهم. والأجهزة الطبية والتحاليل تكذب". قطع شريط ذكرياته غراب حط قريبًا منه بنعيق حاد. رفع نظره ليرى غربان دلهي تقترب منه. فارتجف قلبه لذكرى تلك الصالة؛ حيث كان يقلب نظره بين عمه الذي بدأ الموت يصبغ ملامحه، وأبيه الذي ينظر للمسجى بإجلال وقداسة، ورغد التي انصهرت كشمعة تحت نار الوداع. تذكر تلك النظرة الأخيرة. عينا عمه اللتان كانتا

تمسحان ملامح رغد ببطء، معتذرتين عن رحيله الاضطراري، مطمئنًا إياها بحدقتيه حتى غابت روحه، وبقيت تلك النظرة معلقة في سماء الغرفة، وفي قلب علي، وكل زاوية في زوايا مطعمه. تنهد علي بعمق، وردد مخاطبًا طيفيهما: كنت واثقًا من أنكما لن تفترقا، ولكني لم أكن أعلم أن الموت لن يمهلك يا أبي لتبكيه سوى شهر واحد. ثم نهض نافضًا غبار الرصيف من ثوبه. ودخل المطعم.

أغلق علي باب مطعمه هذه الليلة عند الساعة الحادية عشرة، مبكرًا عن موعده المعتاد بساعة كاملة. وذهب إلي بيته. فتح الباب، استقبله سكون البيت مغلف برائحة الكليجة المنبعثة من المطبخ، تحمص السمسم المختلط بعبير الهيل. توجه إلى المطبخ بخطوات منهكة وبروح متشوقة، وما إن رأته خديجة حتى أقبلت نحوه بابتسامة تحييه، وتعانقه لتنضم لهما عائشة، وهي تهمس: أعانك الله بابا حبيبي. جهزنا لك الكليجة والحليب. ابتسم علي، ومسح على رأسيهما، وقال، وهو يتوجه إلى الحمام: أمهلاني قليلًا حتى أستحم، ونتناولهما معًا مع أمكما. في تلك الأثناء تسللت عائشة بهدوء إلى غرفة أمها، حاملة معها عبق المطبخ، وبشرى عودة أبيها. خرج علي من الحمام، وقد نفض عن جسده تعب اليوم. وفاطمة تنتظره، لتعانقه، دخل الصالة، ويد فاطمة تجره، فوجد رغد تجلس مع البنات أمام صينية الكليجة وأقداح الحليب المتصاعد منه البخار. رفعت رأسها لتحييه، ثم أدارتهما بسرعة نحو عائشة التي تسكب الحليب في الأقداح. جلس بقربها، وقبل رأسها محاولًا النظر في عينيها اللتين تهربان من نظرته، مد يده، ومسك أسفل حنكها برقة، وطبع قبلة على جبينها، وهو يقول: اشتقت لأمكم يا أولاد. لحظ عينيها كأنهما سماء أمطرت طويلًا، وما زال الغيم رماديًا. فجأة، اقتحم أديب وآدم الصالة بصخبهما المحبب: فقط أنتما والبنات. هذا تحيز بابا ماما. علت ضحكة. بينما مد علي يده بقطعة كليجة، ووضعها في فم رغد. لاكتها ببطء، ثم انتبهت لحسين الذي وقف صامتًا دون أن يشعروا به، يراقب المشهد بعينين قلقتين. مدت رغد يدها إليه، سحبته لها، ومسحت على رأسه، وتناولت قطعة كليجة وضعتها في فمه.

انتهت جلستهم، قام علي وقد مسك يد رغد، وتوجها إلى غرفة نومهما. دخلاها. وأوصد علي بابها خلفه. ارتمى على السرير، بينما جلست رغد على طرف السرير، تفك أزرار معطفها. ثم وجهت عينيها نحو تلك المنضدة الجانبية التي وضعت عليها صورة لأبيها وأبي زوجها. حرك صمتها عليًا ليقترب منها بجلوسه بجانبها. ودقات الساعة الرتيبة تتوالى على مسمعهما. توجه إليها، وهو يضع يده على كتفها محاولًا تموج الأجواء: أنا اليوم أشعر بالسرور بمعرفتي بذلك الشيخ الذي فيه ريحة الغوالي في ملامحه طيف أبيكِ. ولو كان أبي وأبوك معًا لاستأنسا به واستأنس بهما. تنهدت رغد تنهيدة عميقة، وقالت: فعلًا.. لم يذكرني ذلك الشيخ بأبي فقط بل ذكرني أيضًا بأبيك. رد: هؤلاء مدرسة يجب أن ينهل من علمها الأجيال. فتستجب له حبًا:

صدقت، وخصوصًا في زماننا هذا، وفي مكان ليس العراق أو العرب. أمسك علي يدها بين كفيه، وقال: يا بنت عمي، يرينا الحنين ما تشتهيه قلوبنا، لا ما تراه عيوننا. وتتشبث أرواحنا باي قشة نشم من خلالها وطننا لتتخلص من غربتها. تتمعن رغد بعينيه الدامعتين، وتغير نبرة صوته. فتحاول كسر لحظة سكوته: ولو كان فخًا نصبه الشوق، كدتُ أرتمي بين قدميه لأقبلهما.. قاطعها علي، وهو يشد على يدها: لم أعهدتك إلا قوية عاقلة منطقية. أستند عليك مستمدًا منك قوتي. لقد كنت أضعف منك.. يا أم أديب، لقد كبرنا، وصرنا ملاذًا لأولادنا. صمتت رغد، وهي تسند رأسها على كتفه، وهي تهمس: شكرًا لله، ولك يا من لا يتركني أعاني. طبع على رأسها قبلة، وقال: فلنقرأ سورة الفاتحة لروحيهما الطيبتين. وننام. وتذكري أن هناك من يحتاج أن يتعلم منك الصبر والعطاء. عزف علي بشخير متعب، بينما جفنا رغد لم ينطبقان، نهضت وهي تمسك هاتفها تضيء به صورة أبيها؛ لتقارن بين تجاعيد يد أبيها ويد ذلك الشيخ.

تسلل رنين هاتف أم أديب إلى حلمها، شاقًا سكون غرفتها. مدت يدها، تلمست الهاتف فوق المنضدة الجانبية، وضغط زر الإجابة دون أن تقوى على فتح جفنيها. جاء صوت مشحونًا ببهجة: صباح الورد يا وردتي. هل تسمعيني؟ الو.. أجابته بصوت مبحوح: صباح الخير. خرج صوتها مبحوحًا محملًا بثقل الأحلام التي لم تنفضها حتى الآن أهلًا، صباح الخير.

– ما زلت نائمة؟ استيقظي، إنها العاشرة. اليوم جمعة، وعندي لك مفاجأة مفرحة.

اعتدلت في جلستها: مفاجأة! قل..

– القهوة أولًا، تناوليها، واتصلي بي. أنا أنتظرك.

أخبرها علي حين عاودت الاتصال به أن ذلك الرجل بانتظارهم على الغداء. وبعد أن أغلقت هاتفها، طلبت من أولادها أن يتهيؤوا. ارتفعت أصوات الأولاد بالضجيج. حين دخلت رغد والأولاد إلى مطعم الشماغ، كانت الطاولة الكبيرة في الوسط تبدو كلوحة ملونة بألوان ملابس الأطفال تحت أضواء الثريات الخافتة. قاما واستقبلاهم بابتسامة تفيض ودًا وحفاوة، وكلمات الترحيب تطغى على صرير الكراسي الخشبية على الأرضية المطعم الرخامية. امتزج عبير عطورهم بمزيج دافئ من روائح الطبخ، سيمفونية عطرية تداعب أنف من يمر بالقرب من المطعم، وتثير في نفسه جوعًا، فتأسره وتجلسه على طاولة، رائحة التوابل الهندية المحمصة التي تشبه رائحة المطابخ العراقية القديمة، ونكهة الشواء المختمر برائحة الفحم تروي حكايات الولائم الكبرى، وعبق الخبز الطازج المتفتح بزهو على حرارة التنور، بخميرة دافئة ودقيق لفحته النار فحمصت أطرافه كأنه حضن الأم.

تحولت الطاولة إلى ما يشبه خلية نحل، يمتزج فيها كرم الضيافة بزهو الفخر. اعتلى الشيخ صدر الطاولة كربان خبير، تارة يشيح بنظره بعيدًا، وتارة يوزع المعالق، قرب الصحون، يقطع اللحم لهم، يسكب لهم العصير، يلح عليهم بتجربة طبق أخر. استقر اهتمامه أخيرًا على الولد

الصغير "حسين"، يشاركه طعامه ويلاطفه. ثم ألتفت بحنان أب ومسؤولية مضيف إلى ابنته: بشرى، اهتمي بالأطفال، أطعميهم من هذا السمك، فهو مفيد لهم. لم تهدأ بشرى؛ تتحرك بين المقاعد، لا تكاد تستقر. تهمس للأولاد بمزحة، تقرب لهم طبقًا. نهضت بشرى إلى النادل لتأخذ من الكؤوس، وتقدمها لهم كأنها همزة وصل بين كرم أبيها وبهجة ضيوفه. فوقف النادل متحيرًا، ينظر لهم. مد الشيخ يده ليسكب العصير في الكؤوس للأولاد، فنهض أبو أديب مشفقًا: استرح يا عمي، كل شيء أمامهم، لا تتعب نفسك أرجوك. رد الشيخ بيقين هادئ، وهو يملأ الكؤوس: يا بني، هؤلاء ضيوف الله وعيالي. هم صغار عمرًا، لكنهم كبارًا قيمة ومكانًا. لنا في رسول الله ص أسوة حسنة. تراكمت الأطباق وتنوعت، وكان الشيخ لا يهدأ إلا ليتأكد من أن الجميع قد نالوا نصيبهم منها.

طغت رائحة الهيل المنبعث من كؤوس الشاي العراقي على عبق القهوة المرة. كان الشيخ وابنته بشرى يحيطان بالأولاد، يحليان الشاي لهذا، ويلاطفان ذاك. بينما انصب اهتمام أبو أديب على الشيخ. وعينا رغد تراقب بشرى باهتمام صامت. وضع الشيخ استكان الشاي جانبًا، ومالت ملامحه بوقار حاملًا مسحة حنان أبوي، وسأل: يا بني.. ويا بنتي، أتدركان من أنا؟ تبادلا نظرة سريعة، وأجاب أبو أديب بابتسامة: والله يا عمي، لم نتشرف بمعرفة الاسم، لكن القلب عرف صاحبه. ابتسم الشيخ، ومسح لحيته البيضاء: اسمي حسن ثجيل.. أبو محمد، من أهل محافظة القادسية. جئتُ هنا طلبًا للعلاج برفقة ابنتي بشرى. لقد وصلت لمحطة الثالثة والسبعين. وحان الوقت كي أحمل جسدي بعد أن حملني طويلًا. في هذا السن ينضح العقل لكن البدن يهزل. وتستقوي علينا الأمراض. رد أبو أديب بكل تقدير: حياكم الله يا أبا محمد، والنعم منك ومن أهل الديوانية. أنا وعائلتي نرحب بكما، ونرجوك أن تعدنا أولادك، فقد صرتَ لنا بمقام الأب منذ رأيناك.

لم يكن أصرار أبي أديب على قبض ثمن وجبة الغداء بالروبية الهندية–معللًا ذلك بأن حسابات المطعم لا تتعامل بالروبية الهندية– محاولة منه لامتصاص إصرار الشيخ حسن الذي أراد دفع الحساب بالدينار العراقي. وقد أعتذر الشيخ بوقار عن قبوله دعوة الغداء لليوم التالي، مبينًا أنه سيكون في عهدة المشرط والمستشفى لإجراء العملية الجراحية برفقة ابنته بشرى.

في المساء، بينما كان الشيخ يجلس مع بعض العراقيين في الفندق يتبادلون شجون الغربة، تسلل الشك إلى قلبه حين سمع منهم أسعار الوجبات. لم يحتمل فكرة أنه نال تخفيضًا. أخرج هاتفه، وأصابعه صارت تدير مسبحته بسرعة. اتصل بأبي أديب، وما إن جاء صوت أبي أديب:

أهلًا، يا عمي، حتى قال بصوت مخنوق بغيظ مكتوم: السلام عليكم. أجابه بحفاوة: أهلًا، يا عم، وعليكم السلام، حياك الله.

- اجبني بصدق. كم كان مبلغ الوجبة الحقيقي؟
- لماذا تسأل، يا عمي؟ لقد انتهى الأمر. أنت دفعت الحساب مشكورًا، وأنا استلمتُ.
- أجبني، يا بني، أرجوك.
- لقد نسيتُ، يا عم. ولا داعي لذلك أرجوك.
- يا بني، الأخوة العراقيون بالفندق يقولون المبلغ ناقص. أنا ما أريد بذمتي فلس مشكوك فيه.
- يا عمي، حصل خير، والحساب وصل. والبركة بجمعتكم.
- لا، يا بني، يجب أن اكمل لك مبلغ الوجبة. أنا ما قبلت المال المشكوك فيه في ريعان شبابي، أأقبله الآن وقد تجاوزت سن السبعين. يا بني، أنا بين يدي الله.. فما أريد ذمة في رقبتي. دعني ألقى ربي ويدي طاهرة من مال الناس. أفقد طعم الكرم بأن آكل مال غيري في الغربة.

صمت علي قليلًا، ثم أردف الشيخ بجدية: أقسمتُ عليك تأخذ الباقي. قال علي: الآن، ركز في صحتك يا عمي.

شعرت بشرى بخيبة أمل مريرة، والصمت مطبق في المستشفى لا يقطعه إلا صوت العربات المعدنية كأنه نصل بارد انغرس في صدرها ببطء ويأس كيأس ذلك المقاتل الذي ألقى سلاحه لأنه تيقن أن لا جدوى من الانتصار. لم يستقر رأسها من الالتفات، ولم تستقر عيناها الواسعتان الكحيلتان من النظر للمارة الذين لا تعرف لغتهم، وأبواب غرفة العمليات. تجلس على أحد كراسي الانتظار بعباءتها السوداء، وقد أتكئ رأسها على الحائط. كلما أنفتح الباب، تنتفض بجسدها، وهي تتمتم "يا راد يوسف، يا مجيب الدعوات". ثم تخرج جواز سفر أبيها تنظر إلى صورته. أرجعت الجواز إلى حقيبتها، ونظرت إلى الباب، ثم انتفض جسدها حين لمحت رغد وزوجها مقبلين عليها من بعيد، مدت جسرًا من الود واللهفة. التقت نظراتها المليئة بالود والاحتفاء بنظرات رغد الصادة لذلك الود بجمود كاسر. استقبلتهما بعينين تلمعان غبطة صافية، مشت نحوهما تعثرت بمشيتها. قطعت رغد جسر الود بوجهها الجامد الرافض حتى لابتسامة المجاملة والترحيب. لينعكس على محيا بشرى، فيمحو لهفتها، ويزيدها قلقًا. حولت نظرها إلى أبي أديب، وملامحها حادة. أجابته بإيماءة باردة، وهي تنظر إلى سقف الممر. ثم سألها عن حال أبيها، وموعد خروجه من صالة العمليات. ردت عليه: أنتظره. والله أرحم الراحمين. وتركتهما واقفين وتوجهت إلى باب صالة العمليات، وهي تقول في نفسها: ما حالك يا أبي! لا تتركني بهذه الغربة

والحيرة. تعالَ وأنظر كيف يستقبلني ويقف معي من مدحتهم وأحببتهم! رغد لم تسلم عليّ حتى كأنني أسأت لها، وهي تريد الانتقام مني.

لم تكن رغد قادرة على الاستقرار في مكانها، كانت تنهض وتجلس. وأبو أديب ينظر لارتجافها، وعينا بشرى تتسعان تتحركان نحوهما. لم تحصل بشرى على فرصة للذهاب إلى باب الصالة، فرغد لا تطيل الجلوس حتى تنهض وتتوجه نحو الباب المغلق بخطوات مسرعة. جلست رغد بقرب بشرى، قام علي من جانب بشرى، وجلس بقرب رغد، ومسك يدها المرتجفة، ثم مد يده ليسحب سنسالها، ويطبع قبلة عليه. استغربت بشرى من عطر علي الذي دق أنفها رغم رائحة المعقمات والأدوية، ولم تشم من رغد أي عطر. وفجأة، بلا تمهيد اندفعت رغد نحو بشرى لتلوذ بحضنها مطبقة ذراعيها حولها بقوة، دفنت رأسها في كتفها باكية برعشة زلزلت كيان بشرى. ويدا بشرى معلقتان في الهواء، ولا تعرف ما تفعل حتى تدخل أبو أديب برفق، وفك الاشتباك، وهو يقول لها بصوت حانٍ: يا حبيبتي، لك حق البكاء، لكن لا تجزعي.. تذكري أنك صابرة مؤمنة. وبشرى تلحظ تسارع أنفاسها وجريان دموعها. ثم التفت لبشرى: يا أختي، أرجوك اعذريها.. فقد كنا نقف في هذا الممر نرافق أباها. جمدت عينا بشرى، وتنهدت، ثم مالت على رغد، وهي تضم يدها: يا عزيزتي، والدي أوصاني بالصبر والتسليم لله. واشترط عليّ أن أكون رجلًا في المواقف الصعبة حين أصررتُ على مرافقته.

نجح صوتها المخملي بنبرته المنخفضة المنساب فوق جرح رغد ليضمد الندوب القديمة. مسحت رغد دموعها بخجل. وسكتت. خرج ممرض من الصالة مبتسمًا بوجه بشرى، يؤشر لها بأبهاميه، نهضت بشرى وقد تغير وجهها، تركض نحوه، فقال لها وهو يمشي مسرعًا: كود كود إن شاء الله. وهي تجيبه: يا رب. الحمد والشكر لك. والتفتت لرغد، فقالت: أنا أحبك يا أختي. إن شاء الله أبي بخير. يا رب. لمعت عينا رغد، فأجابتها: يا رب يا رب. يا حبيبتي، والله إني أرى نفسي فيكِ الآن، وأشعر بالخجل لأني حملتك أحزاني. ردت بشرى بابتسامة هادئة: لا عليك، دعينا نغلق باب الحزن بالدعاء والأمل. ردت رغد: رحمك الله، يا أبي. وشافاك الله، يا عمي. إن شاء الله الشفاء العاجل. ونحن ننتظره، وسنحتفل بشفائه. سأل علي بشرى:

- اخبريني.. كيف وجدتِ الهند؟ هل قتلتك الغربة؟ أو أحببتِ هذا الصخب؟

ساد صمت قصير، ثم قالت بشرى: يا رب دخيلك. والدي.. الغربة مرة. سألتها رغد: ماذا قال لك الأطباء يا بشرى؟ ردت بشرى: أخبرني المترجم أن العملية سهلة ومضمونة النجاح. علقت رغد وعيناها جامدتان نحو مريض طاعن في السن على عربة يدفعها مرافقه: انظرا إلى مرافقي مرضى الهنود، ردة فعلهم على مريضهم باردة هادئة كدموعهم على من يموت من عائلتهم. قاطعها علي: الغريب جمود مشاعرهم وتحجرها في التخلص من الجثة بالحرق بالنار كأنهم يحرقون مشاعرهم الإنسانية. وجهت رغد إلى بشرى سؤالًا: متى ستنتهي العملية يا بشرى؟ ردت

بشرى بقي أقل من ساعة. ثم وجهت رغد لها سؤالًا آخر: هل أخبركِ المترجم شيئًا؟ ردت بشرى: لا. ثم قالت رغد: آه يا بشرى، هناك كان يبتسم المترجم، لم أكن أعلم أن ابتسامته تخبرني عن موت أبي. أنا خائفة. يا ربي. رد علي: عزيزتي، ادعي الله لعمنا، ولأختنا. تجيبه بشرى بامتنان طفح على وجهها: ما وقفتكم هذه معي، وتركتم لأعمالكم، إلا برهان على أنكم أهلي. ابتسم أبو أديب، ونظر لزوجته بحنو قبل أن يفاجئ بشرى: هذا واجبنا يا أختي، وقد اتفقت مع أم أديب على تجهيز غرفة في بيتنا لكما، لتسكنا معنا حتى يتعافى عمي تمامًا. ولن نودعكما إلا في المطار. وبشرى تشكره. وهو ينظر لرغد متذكرًا إلحاحها على قبوله استضافتهما.

بينما كان يسير دفء الحوار، هامت رغد في دهاليز ذكريات، ونسلت من حاضرها لتسقط في بئر سحيقة من الحنين، كانت ترسم في خيالها صورة عقال أبيها الذي فُقد في هذا المستشفى. ذلك الأثر الذي تبحث عنه بلهفة منكسرة، كمن يقتفي أثر نخلة في صحراء رملية. استجدت المكان في سرها أن يدلها عليه، فتحيلها استحالة إيجاده إلى رغبة في بعثه من جديد؛ فما زال في ذهنها تاج وقار، وإكليل هيبة، ورمز أمان. قطع الصمت قدوم المترجم الذي أقبل مسرعًا مبتسمًا تهتف: البشرى، البشرى لي. نجحت العملية.. كل شيء بخير. فقط اصبروا قليلًا حتى يفيق من أثر البنج.

طاروا فرحا، وانطلق أبو أديب إلى السوق؛ ليجلب الحلوى احتفاء بالنجاة. توجهت بشرى إلى رغد بعيون تغور بدموع تتراقص فيها الفرحة، وابتسامة تتفجر ودًا، وبصوت موسيقي: جزاكم الله خيرًا، يا وجوه الخير. الحمد لله الذي منحنا أهلًا مثلكم. أرأيتِ أبا أديب كيف استبشر وذهب مسرعًا؟ أرأيتِ؟ أجابتها رغد بابتسامة هادئة امتزجت بدموع الفرح: والله يا بشرتي، لقد نذرتُ نفسي لمساعدة كل محتاج، مهدية ثواب ذلك لروح والدي.

- رحمه الله. وجزاكِ خيرًا، يا بارة.. الحمد لله نجحت، لأني أجبرت أبي على القدوم للهند ومرافقته.
- وأنا من أجبر عليًا على ترك العراق، والاستقرار في الهند.
- لماذا؟
- أردتُ لزوجي أن يتحرر من قيود المشكلات العشائرية التي ورثها عن أبيه. وهروبًا من ضجيج زميلات عملي، ومن لظى تموز، وانقطاع الكهرباء.
- أسباب كثيرة وواقعية ومنطقية. أحسنت الفعل، يا عزيزتي.

وصمتت رغد برهة، ثم أضافت بصوت خفيض مشحون بشجن: لكن هناك سبب أهم يا بشرى.

- ما هو؟
- أردتُ أن أعيش في المكان الذي شهد أنفاس أبي الأخيرة؛ لعل روحه تحوم هنا، فأبعد عنها غربتها، ولعلي أجد عقاله المفقود في هذا المستشفى.

تسللت خيوط شمس دلهي عبر نوافذ المدرسة العراقية، ممتزجة بما يحمله الهواء من رائحة توابل والأشجار، ورطوبة الجو. كانت رغد تجلس في غرفة المعلمات، وهي تقلب نظرها في وجوههن، محاولة التعرف عليهن رغم أنهن مدرسات عراقيات مستقرات في الهند لأسباب متفاوتة. دخلت عاملة الخدمة المسنة الهندية هيمانشي حاملة صينية الشاي الهندي. وقفت أمام رغد تقدم لها كأس الشاي، مرحبة بها كونها مدرسة جديدة في المدرسة. تناولت رغد كاس الشاي، قائلة ثانكي يو. ثم ذهبت وسرعان ما رجعت وبيدها وعاء ماء وعصا ممسحة التنظيف، ورائحة المنظفات والمعقمات تملأ أرجاء الغرفة، وشرعت بتنظيف بقعة على أرضية الغرفة. ابتسمت فتون، وقالت بصوت مسموع: انظرن إلى زيها المسمى بالساري، تلمع أطرافه، ولونه باهت، لا يستر جسدها الضامر الذي تتقزز منه نفسي حتى أني لا أستطيع شرب الشاي من يدها المجعدة. تلاشت ابتسامة جاكلين، وتغيرت ملامحها. علقت نرجس مبتسمة: يلمع ساريها؛ ليخفي تجاعيد وجهها.. وقالت إسراء ضاحكة: وسواد بطنها يتوسط اللمعة.. وأردفت فتون: تصر على إزالة تلك البقة، ليتها أزالت سوادها.. لكن نظرة جاكلين لفتون اسكتتهن. انتفضت رغد، وضعت كاس الشاي على الطاولة، ومدت يدها لحقيبتها، وأخرجت علبه الكليجة، لتقدمها لتلك السيدة الهندية التي لم تأخذ إلا قطعة واحدة، ثم وضعت بيدها بعض الروبيات. لكن هيمانشي رفضت المال، وهي تشكرها، واضعة كلتا يديها أمام وجهها مع انحناء رأسها. قبلت رغد رأس هيمانشي، والتفت إلى بيان مدرسة اللغة الإنجليزية، وقالت بهدوء: يا لكرامتها حتى وهي مسنة فقيرة كادحة! نهضت جاكلين، وقبلت رأس هيمانشي، وأخرجت من حقيبتها أوراقًا نقدية من الروبيات، وأخذت من رغد ذلك المبلغ. وقدمته لهيمانشي التي ترفض أخذه، لكن جاكلين أجبرتها على أخذه، والسيدة الهندية تكثر من حركة يديها وانحاء رأسها لجاكلين ورغد. همست فتون لإسراء: يا لجنون جاكلين! لقد أكثرت العطاء لتلك العجوز المحظوظة التي جاءها مبلغًا يزيد على مرتبها الشهري ضعفين. أجابتها إسراء همسًا: هل لاحظتِ بخل تلك المدرسة الجديدة! لم تعطِ الكثير كصديقتها بيان. وأضافت نرجس: ما هذه المسرحية الهزلية التي تحاول فيها هذه الشلة التظاهر بالإنسانية والكرم!

جلست جاكلين، وصورة عروق اليد النافرة لهيمانشي، وخشونة ملمسهما تسبح في عينيها. أبحرت في ذاكرتها صورة يد أمها التي كانت تعمل عاملة خدمة في مدرسة. وعزة نفس تلك السيدة التي تذكرها بعزة نفس أبيها التي جعلته يتنازل عن مهرها لسعيد كي يطلقها رغم غناه الحاتمي الذي تسمعه يكرمهن حين كان تهاتف حبيباته. قالت في سرها: ما زالت حياتي لم تتغير. فهيمانشي تذكرني بأمي، ورغد وبيان يذكراني بمن كانت تكرم أمي، وعدواتي يذكرنني بهن فتون ونرجس وإسراء.. يا ربي.. قاطعتها فتون: يا لرقتك، وإنسانيتك، وكرمك! في كل مكان وموقف أنت متألقة.. فقالت احدى المدرسات: يا ست جاكلين، لقد رن جرس الحصة. فقامت

دون أن ترد على فتون. ما زالت بيان في صمتها، جالسة، ووجهها مكفهر. كانت تفكر في كرامة تلك السيدة وفقرها. وتقول لنفسها: يا لتفاهة الناس! يستهزؤون على الفقر، ولا يلتفتون للإخلاص في العمل وكرامة! يا ترى ما حال أخواتي الأكاديميات في الأرياف وازواجهن الأميين! وما حال أخوي المترفين المهجرين اللذين صارا حمالين ينامان في عربات التحميل، تحت جنح الليل! يا لبشاعة هذه الحياة!

بعد انتهاء الحصة الرابعة، جلست رغد مع زميلاتها في غرفتهن بجانب مدرسة اللغة الإنجليزية الدكتورة بيان، يجمعهن جنوب العراق الذي ولدتا فيه، وجامعة البصرة التي تخرجتا فيها. بينما كانتا تتبادلان الأحاديث التعارف، قاطعهما دخول بنت خلفها ولد يرتديان ملابس مميزة. كانت البنت تربط شعرها الكستنائي المحروق من الخلف، منسدلًا على كتفيها كشلال أبنوس المتموج. وبشرتها البرونزية المضيئة كأنها مغسولة بضوء القمر وشمس تموز، عيناها مزيج من شكل المها ولون الزمرد. لم تنتبه رغد لكلام البيت مع بيان، ثم أدارت عينيها نحو الولد، متمعنة في سواد شعره الكثيف الطويل، وسمرة وجهه الحنطية كلمسة سومرية أندلسية، وعينيه واسعتين مكحولتين. وما إن ذهابا حتى التفتت لبيان تسألها: بيان، ما أجملهما! من هذان؟ ابتسمت بيان، وقالت: أرأيتِ الجمال المهجن! برود الغرب في حرارة الشرق، ضباب لندن وشمس الأهوار! ثم أردفت ممازحة: ليتنا تزوجنا بريطانيين؛ لنلد بنات يجمعن في قوامهن رقة البارونات وشموخ الماجدات، قوة العراقيين الجسدية ورشاقة المرأة البريطانية المعتادة على المشي في هايد بارك. ردت رغد: أهما روز ووليام؟ أجابتها بيان: نعم، ألم تلحظي كثافة رموش جاكلين، وبنيتها الطويلة الفارعة، وكتفيها العريضتين، وعظام وجهها الحادة في بروزها فيهما؟ قالت رغد وملامح الاعجاب واضحة على وجهها: سبحان الخالق. جمال خلقي، ورقي أخلاقي. حفظهما الله. علقت بيان: تطغى في روز ملامح أبيها البريطاني على ملامح أمها العراقية على العكس من ملامح وليام. وروز تعرف اللغة العربية أكثر من أخيها.

بعد خروج المدرسات من المدرسة عند انتهاء وقت الدوام، سألت مديرة المدرسة ست منار معاونتها ست منى: لقد لحظت فرح هيمانشي، وحزن جاكلين. هل ثمة خطب؟ أجابتها المعاونة: بما حصل. فتأفأفت، وقالت: لن تكف فتون وشلتها.. الأمر لله. اليوم شاهدت طالبين خلف القاعات في وقت الحصص. وثلاثة طلاب متأخرين على الدخول لقاعتهم؛ لذا يجب التأكيد على بعض المدرسات بأن يحرصن على دخول الطلاب لقاعاتهم دون تأخير. بينما كانت رغد تمشي مع أولادها متوجهين إلى بيتهم، وحين مرت من أمام مطعم زوجها، مرت ملامح الشيخ حسن متداخلة مع ملامح هيمانشي، فهمست لنفسها، وهي تنظر إلى لافتة المطعم (مطعم الشماغ): لم أكتفِ بالدعاء لك. بل اليوم بعثت لك أمانة مادية وإنسانية عبر هيمانشي؛ لتريحك في قبرك، وتريحني في الدنيا التي نعيش فيها مع من يملكون ألسنة حادة وقلوبًا صخرية.

الفصل الثاني
سدنة الحرفِ وحروب المظاهر

جلست رغد على كرسي في رأس الطاولة في صالة بيتها، فتحت السجل الكبير، وهي تنادي أولادها. ليعلن سكون المساء في بيتها استسلامه أمام مارثون الواجبات المنزلية الذي يعج بالجدية والمثابرة. زجرت حسين، قائلة: ألم أوصيك بأن لا تجعل الكرسي يصدر صريرًا حين تسحبه كي لا تزعج الآخرين. كن مثقفًا. وأوصتهم بنبرة آمرة لا تخلو من المودة: اجلسوا بأدب، واصغوا لمدرساتكم، ولا تتكلموا إلا بعد أن تستأذنوا، واسألوهن عما لم تفهموه. والتفتت لحسين، سألته عن الموضوع الذي درسه في اللغة العربية. وما إن تأكدت من فهمه للموضوع، وهي تردد "جيد، أحسنت، يا شطور" حتى بدأت بشرح موضوع جديد قبل أن تشرحه له مدرسته في المدرسة. ودفعت بآدم لمراجعة الكيمياء لحسين. ثم التفتت لفاطمة، وبعدها خديجة، فآدم. وحين أكملت لهم شرح دروسهم في اللغة العربية، وبقية دروس أولادها في المرحلة المتوسطة؛ الاجتماعيات، الأحياء، الكيمياء، الفيزياء بمساعدة أبنائها الكبار، اصطدمت بصخرة الرياضيات التي تفكر جديًا بمدرس خصوصي لهم. لكن عقدتها المستعصية عادت لتطل برأسها من جديد، مشكلة اللغة الإنجليزية. كانت ثقة رغد بنفسها تهتز بمجرد أن يئن أحد أولادها من صعوبة الإنجليزية. فتترد في مخيلتها سخرية جاكلين اللاذعة أمام الزميلات في المدرسة: أولاد رغد مستواهم تحت الصفر في لغة العصر والثقافة. تراءت لها أوراق نتائجهم؛ لوحة من الدرجات الكاملة يشوه بياضها رقم يتيم في مكان الإنجليزية.

حاولت رغد تطبيق منطقها العربي على الورق؛ لتنقذ الموقف أمام أولادها، وهي تلون كتابتها بأقلامها الملونة. رسمت مخططًا ثلاثيًا بزهو، وقالت: انظروا الأمر بسيط. اسم وفعل وحرف. وبدأت تشرح أن الاسم يحمل معنى بلا زمن، والفعل ينبض بالحدث والزمن، والحرف غير هذين الاثنين. لكن اعتراض أديب أسكتها، بعد أن رمق الورقة بنظرة شك، وقال: يا أمي، هذا ما علمتِنا إياه في اللغة العربية. أين علامات الاسم التي صدعتِ بها رؤوسنا! لا تنوين ولا ال التعريف في الإنجليزية! وماذا عن الصفات والظروف والأفعال المساعدة! غصت الكلمات في حنجرة رغد. طريقتك تزيدنا ضياعًا. قامت بسرعة، وهي تقول: أشعر بالعطش على فنجان قهوة. دخلت المطبخ، وضعت الماء ثم الشاي في الإبريق الذي اشعلت النار تحته. وهاتفت زميلتها بيان بأنفاس متهدجة: مساء الخير، ست بيان. أجابتها بصوت لاهث: مساء النور، ست رغد.

- هل أنت مشغولة؟
- نعم. مشغولة جدًا. ولكن تفضلي أرجوك.

- أسفة جدًا. فقط سؤال واحد لا يحتمل تأجيله إلى الصباح. ما أقسام الكلام في اللغة الإنجليزية؟
- ثمانية أقسام.

تمتمت رغد: أ.. ثمانية! ثم أردفت: كنا نقسم العالم كله على ثلاثة! ردت بيان، قبل أن تغلق الخط: غدًا في المدرسة أشرحها لك. قالت رغد، وصوت إغلاق الاتصال يرن في سمعها: يا ربي، ساعدني.. كيف لي أن أعلم أبنائي الإنجليزية، وأنا لا أفهمها! ليتني درستها!

لم يسعف رغد صبرها حتى الصباح، فقد اشتعل في رأسها فتيل الفضول. شع ضياء الانترنيت في مخها، فأسرعت إلى هاتفها، وفتحت جوجل. لمعت عيناها بذهول، وهي تلاحقان الأسطر والكلمات على الشاشة، فوجدت مملكة الكلام في الإنجليزية تقوم على ثمانية أعمدة لا ثلاثة. مررت أصابعها فوق شاشة هاتفها، وهي تقرأ: اسم كـ(school)، وضمير كـ(she, who, himself)، وصفة كـ(clean)، وفعل كـ(read, is)، والظرف كـ(now, fast)، وأداة يندرج تحتها حروف الجر، وحروف العطف وبقية الأدوات كـ(in, and, a, oh). ثم أعادت قرأتها، محاولة استيعاب كل قسم، وهي تصرخ: كيف جعلوا الصفة ركنًا مستقلًا! هي في لغتنا تابع بائس! حتى اخترق صوت خلوتها صراخ خديجة: أمي! الشاي.. الإبريق احترق! نهضت رغد بفزع، وهي تسمع رد فاطمة: أمي وضعته، فيجيبها حسين: لا، أمي أرادت قهوة لا شايًا. أخذت رغد الإبريق المسود من على الطباخ، ووضعته في المغسلة تحت الماء، وهي تتمتم: الحمد لله على السلامة. كأن لسان أديب السليط كسر هيبتي. فأبدلت الشاي بالقهوة، واحتراق قلبي باحتراق الإبريق.

بعد أن هدأت رغد جلبة المطبخ، عادت إلى هاتفها، تقلب فيه لتقرأ البحوث الأكاديمية. بينما وضعت خديجة صينية صغيرة أمام أمها، قائلة: أحلى فنجان قهوة وقطعة حلوى لأحلى ماما في الدنيا. ردت رغد دون أن ترفع عينيها من شاشة الهاتف: شكرًا. ثم قالت بغضب، وكأنها تكلم الهاتف: ماذا! ما هذا! كيف يجرأ باحث على التشكيك بثوابت تقسيم لغتنا! أهذا هو إبداعكم! تطوعون العربية حسب الإنجليزية! جيد، تقليد جيد! ثم فكرت، وبعد صمت، قالت: الصفة.. مسكينة.. فعلًا مظلومة في اللغة العربية! وأين الجر والتنوين والتعريف في الضمير! ثم تذكرت أن طالبًا سألها ذات يوم "أنتِ تقولين إن الضمائر نوع من الأسماء، لكن علامات الاسم لا تنطبق على الضمائر".

عادت خديجة لأمهما، وقفت بقربها، وقالت: ماما، لقد بردت قهوتك! لم تلتفت لها رغد. ثم قالت: ماما، وقت الصلاة. لبت رغد نداء المؤذن. وبعد نصف ساعة، جاء العامل في المطعم بوجبة عشاءهم كالمعتاد. بعدها توجهت رغد مع بناتها لترتيب البيت، وغسل الملابس حتى تجاوزت الساعة العاشرة، فدخلت مكتبتها. نظرت للكتب، لكنها لم تفتح أيًا منها، رجعت لهاتفها،

وعيناها يغالبهما النعاس، وهي مستلقية حتى انتصر عليها النعاس. أيقظها أبو أديب بعد أن أغلق باب مطعمه ورجع إلى بيته. سألها، وهو يخلع ملابسه ليستحم: أرجعت إلى الكتب يا رغد! أما انتهينا من هذا الأمر! رفعت رأسها، وأجابته بلهجة حادة: متى تتعلم اللغة الإنجليزية؟ نظر إليها، ثم تمتم: أهذا ما يزعجك!

– نعم، يزعجني! يزعجني كثيرًا أن أراك تتعب نفسك في عملك، بينما يضيع أولادنا بسبب ضعفهم في اللغة الإنجليزية، وأنا.. أنا مدرسة اللغة العربية، أقف عاجزة أمام قواعدها.

اقترب منها، وقال بهدوء: والله أنا أحوج لها من الأولاد في عملي، لكنك ترين ظرفي. لا تقلقي سأجد حلًا. سأبحث عن مدرس خصوصي غدًا.

أبكرت رغد على غير عادتها في ذهابها إلى مكان عملها كي تلتقي بزميلتها الدكتورة بيان مدرسة اللغة الإنجليزية. كان ذهن رغد يغلي بثمانية أعمدة غريبة صادة، حجبت عنها روعة الجو الرائق المعتدل المائل للبرودة، المداعب لوجنتيها. كانت تمشي بخطوات متسارعة، وملامح حادة. لم تبتسم لذلك الشيخ الهندي وزوجته اللذين اعتادا تحيتها بتحيتها المعهودة. تركتهما يجلسان ذائبين في مشهد الصباح، حيث أشعة الشمس الدافئة التي ترسل خيوطها الذهبية في زرقة السماء الصافية الرحبة التي ترتفع الأشجار الشامخة نحوها يراقصها النسيم عازفًا حفيفًا ناعمًا كهمس الأسرار، وتحييهما بتقديم ورودها وأزهارها بألوانهما الزاهية اللامعة التي يبرزها خضار الأشجار المصطفة على جانبي الطريق، تحيط جذورها سجادة ملونة بلون الطبيعة التي تسحر الألباب مرصعة بزهور نضرة عطرة تضج بالحياة، تحدها أرصفة ملونة لأحياء نسجها عبق التاريخ وحداثة اللون، تنتهي حوافها بشارع تكتظ فيه السيارات الحديثة المسرعة.

دخلت رغد المدرسة، مرت بغرفة الإدارة، منحت المعاونة بتحية خاطفة لم تسمع ردها عليها، واتجهت مباشرة نحو غرفة المدرسات. توقفت عند العتبة، جالت بعينيها السوداويتين في الأرجاء باحثة عن بيان. وما إن لمحتها صاحت حتى هتفت بنبرة ممازحة: تعالي يا بيان.. انقذيني من حيرتي بين أقسام العرب قسموا ثلاثة، وأعمد الإنجليز الثمانية. انفجرت جاكلين بضحكة خافتة، وهي تضع فنجان قهوتها جانبًا، وقالت بلهجة لا تخلو من الوخزة: طبعًا يا رغد، المنهج العربي يقوم على نظام الأسياد، والمطبلين، والعبيد. أما الإنجليزية فتوزع الأدوار بدقة وديمقراطية، وتبتعد عن مثلث العرب الضيق الذي يقدس المركزية ويهمش التفاصيل. ردت بيان بجدية محاولة تلطيف الجو: أهلًا يا رغد.. فقاطعتها فتون، وهي تفتل شالها الملون: الإنجليزية لغة العالم والثقافة والتطور والتقدم، أما العربية فمسكينة عجوز، وفي زمن الجاهلية كجدتي أم إسماعيل التي لا تعرف سوى (الذئاب تخاف من إسماعيل). تعالت ضحكات جاكلين وفتون، واستطردت جاكلين، وهي تلوح بيدها: العربية كتلة واحدة، تفتقد للمرونة التفكيكية، سجينة الناقة والخيمة، الذئاب والأغنام، لا تتنفس هواء العصر ولا تفقه التقدم ولغة الحواسيب. كسر ضم كسر زفت،

ممنوع من الصرف! كانت رغد تراقب ملامح جاكلين المستفزة، وصوتها الذي فقد رصانته من كثرة الضحك. مالت رغد نحو بيان، وقالت بهدوء حذر: بل قولي إن واضح أن المنهج العربي يحصر المسؤولية ويضبط الأدوار بصرامة كي لا تضيع الهوية في زحام الفروع..

بل تحب العربية الطبقية والغموض! ردت جاكلين بسرعة. انظري للفردانية والديمقراطية في الإنجليزية، كل كلمة لها شخصية، لا تقبل التبعية العمياء. ابتسمت بيان ابتسامة أكاديمية هادئة، وقالت: التقسيم الثلاثي أصله يوناني قديم اتبعه الإنجليز سابقًا، لكنهم طوروه بنما تمسك به العرب حبًا في الأصالة والتقنين. لم تستسلم جاكلين، فأضافت بزهو: في اللغة الإنجليزية؛ الصفة تحررت من عباءة الاسم، والظرف غدا حرًا بذاته، والضمير واثق بنفسه شامخًا باسمه، حتى الحرف يرفض أن يكون مجرد إمعة تحت حتى الحرفية. علقت فتون: لغة راقية كاهلها، فالصفة والضمير والظرف مواطنون كاملو الأهلية، لا عبيد يتبعون غيرهم. تجمدت ملامح رغد، وردت بنبرة حادة: جميل جدًا كأنك تقولين إنه من الرائع أن يُسمى أولادي جميعًا بأسماء غريبة لا رابط بينها، بينما أفضل أنا أن يعرفوا بانهم أبناء علي، أما أنتِ، فلكِ وليام، روز. علقت جاكلين ببرود: نعم، نحن في عصر البراغماتية والوظيفة والأثر، لا في سجن المعلقات والأصل والجذر.. تجاهلت رغد التعليق الأخير تمامًا، والتفتت لبيان برجاء يخفي خلفه كبرياء جريحًا: دكتورة بيان، أخبريني عن التقسيم الإنجليزية. أريد أن أفهم. تمتمت جاكلين، قائلة: محاولة رغد لتعريب الإنجليزية، هي محاولة سكب المحيط في فنجان قهوة. لكن صوت رغد علا على تمتمتها، وأردفت رغد: ما هذه الأقسام الثمانية، تفضلي يا دكتورة بيان، نوريني، أريد أن أفهم بعيدًا عن الجدل. أومأت بيان براسها، وقالت بملامح تنم عن تقدير: الإنجليز يحللون كل شيء بدقة مجهرية، ويفككون الكلمة ليمنحوها حقها في الوجود ككيان مستقل. أما العرب فيميلون للشمولية التي تبتلع الفوارق الصغيرة تحت مسميات كبرى. اجلسي يا رغد، وسأرسم لك خارطة هذه المملكة.

جلست رغد، والحماس يتأجج في صدرها، وفي مخيلتها جسر متين يتشكل رابطًا بين ضفتي العربية والإنجليزية، جسر سينتشل أولادها من الغرق في بحر اللغات الغربية. توجهت نحوها قائلة: لم أستطع النوم ليلة البارحة يا بيان، الفضول أكل رأسي. لكنني وجدت طرف الخيط.. ثمة مواطن شبه مذهلة بين لغتنا العربية والإنجليزية. ردت بيان باستغراب، وهي تلتفت بجسدها نحو رغد: كيف ذلك الشبه يا رغد، والإنجليزية تخلو من الإعراب والحركات؟ اجابتها رغد بنشوة فوز، وهي تفتح دفترها الملون: دعينا من الإعراب الآن. سأثبت أن منطق الكلمة واحد. سأريك ما كتبته في دفتري، وعليكِ أن تكتبي ما يقابل كل فقرة في الإنجليزية، سحبت الدكتورة بيان القلم وبدأت تملأ الفراغات التي تركتها رغد. بينما كانت رغد تلاحق حركة القلم بعينين متسعتين فقرة

فقرة: الاسم عندنا: هو الكلمة الدالة على مسمى كشخص أو حيوان أو جماد بلا زمن. كذلك الاسم noun في الإنجليزية. علامات الاسم، هي: يسبقه حرف جر، مثل: سلمتُ على الصديقِ. كذلك في الإنجليزية كـ(We went to the school)، ويسبقه حرف نداء، مثل: يا طالبُ. كذلك في الإنجليزية يمكن مناداته بفصله بالفاصلة كـ(man, help us)، وتتصل أداة التعريف بأوله. كذلك في الإنجليزية يقبل أداة التعريف (the book). ردت رغد: هذا أول شبه. وتتصل بآخره علامة التنكير في آخره (التنوين)، مثل: كتابٌ، كتاباً، كتابٍ. كذلك في الإنجليزية أدوات التنكير كـ(a car, an elephant)، وعلامة التأنيث، مثل: معلم، معلمة، معلمون، معلمات. كذلك في الإنجليزية كـ(goddess, lioness, niece)، وعلامة التثنية والجمع، مثل: سيارتانِ ، سيارات. كذلك في الإنجليزية كـ(two cars، cars). شهقت رغد، وهي تتمتم: سبحان الله! التشابه واضح، لكن لغتنا تضع التنوين في نهاية الاسم محدثة تنغيم وموسيقى من خلال آخر الاسم في نهاية الجمل. بينما الإنجليزية تضع أداة التنكير في أول الكلمة كأنها تنبه السامع وتؤكد على فكرة التنكير. وقطعت كتابة بيان كلام رغد، وهي تنظر لما تكتبه: يُصغر، مثل: كُتيب، رجيل. كذلك في الإنجليزية كـ(booklet, lambkin)، يمكن أن يُوصف، مثل: سلمتُ على رجلٍ مهذبٍ. كذلك في الإنجليزية كـ(Beautiful cars)، يقبل الإضافة، مثل: بيتُ زيدٍ. كذلك في الإنجليزية كـ(Ali`s book)، يُضمر الاسم بعد معرفته، كون الضمير يعود عليه، مثل: سافر زيد. هو متعب. كذلك في الإنجليزية كـ(Mona read it. She is clever). قفزت رغد من مكانها قائلة: هذا هو! الضمير يختبئ خلف الاسم ليحفظ هيبته من التكرار. ثم حققت النظر على كتابة بيان، وهي تكتب: كذلك في الإنجليزية كـ(The student succeeded)، و(The student is happy). لا يتألف الكلام إلا من الاسم مع الفعل أو الصفة، مثل : تعلم زيدٌ، زيدٌ عالمٌ. هزت رغد رأسها، وهي تصيح: سكبنا المحيط في فنجان القهوة. رمت بيان قلمها، ورفعت رأسها. نظرت لرغد بإعجاب، وقالت: أنتِ لم تجدي شبهًا فقط يا رغد، أنتِ قمتِ بتعريب منطق الإنجليزية في رأسك وكتابتك، قبل أن يكتبه قلمي!

أكملت الدكتورة بيان ملء الفراغات، وهي تهمس بذهول: رغد، رغد، ما هذا! الشبه كثير بين اللغتين. انخرطتا بحماس في حوار محموم حتى تبدد سحر الوقت بصوت المعاونة ست منى التي وقفت عند الباب بوجهها الحازم وساعتها الدقيقة، قائلة بنبرة قاطعة: ست بيان، ست رغد، المحاضرات، الطلاب بانتظاركما. استفاقتا كمن استيقظ من غيبوبة لذيذة. ساد صمت استنكاري في غرفة المدرسات، فتمتمت فتون: هذه أول مرة، تنادي فيها ست منى كل من ست رغد وبيان. لترد عليها ست منى: فعلًا، لأنهما أحرص مدرستين على الوقت والطلاب، ولكن يبدو أن هناك ما هو أهم من الوقت قد استوقفهما. ضحكت جاكلين بسخرية لاذعة، وهي تهز يدها قائلة: أهم! بل قولي حوار فارغ وكلام هراء! انتصبت المعاونة في وقفتها وردت بصرامة بضرس قاطع: والله

لم أرَ مثلهما مدرستين منضبطتين حريصتين، بهما يُبنى جيل يستحق قيادة المستقبل بجدارة. لوحت جاكلين بيدها في الهواء، وردت باستهزاء: جيل يقوده سيبويه وتشومسكي! جمال اختراع لغة وتطوير قواعد! علقت عليها أحدى المدرسات بحيادية مبتسمة: كان حوارهما جميل ومفيد. فأجابتها جاكلين بلهجة ممزوجة بسخرية وغضب: أي جمال وفائدة! مقارنة لغة عتيقة مثقلة ببلاوي الضمة والفتحة بلغة الحواسيب والتحضر!

انفجر بركان غضب جاكلين الذي أثارته كلمات المعاونة، فوجهت فوهة مدفعها نحوها بوت مخترق لهدوء غرفة المدرسات. فقالت بلسان حاد كالنصل: منى، أنتِ تمدحينهما لتذمينا نحن! وهما لا تستحقان هذا التبجيل! ولا تشعرين بنا أبدًا... حاولت منى التهدئة بصوت خفيض: يا ست جاكلين، أرجوك.. لكن الغضب كان قد أعمى جاكلين، فتسارعت كلماتها، وازدادت بذاءتها، محرقة كل جسور الزمالة، ومتجردة من ذلك البرود الأوروبي.

لم تفلح المدرسات في تهدئة جاكلين، اقتحمت غرفة المديرة، وصوتها المزلزل يسبق خطاها المتعثرة. لم ينجح صياح جاكلين وغضبها استفزاز رزانة المديرة، وخبرة الثلاثين عامًا التي نُقشت على وجهها. نهضت من كرسيها المثقل بالأمانة. أغلقت الباب بهدوء خلف جاكلين وثلاث مدرسات والمعاونة، ثم التفتت لجاكلين بنبرة رخيمة كعازف على أوتار السكون: أهلًا، ست جاكلين.. تفضلي بالجلوس، يا بنيتي. قدمت المديرة كؤوس الماء للجميع، ونادت على العاملة لإحضار الشاي، تاركة لجاكلين مساحة لتفريغ غضبها. بعد دقائق متواصلة من الصخب، كسر صمت المكتب صوت المديرة الهامس بحكمة متوقدة: يا بنيتي، اللسان الفج والصوت الصاخب يضيع الحق، ويسيء لسدنة التربية وحراس الاخلاق. اهدئي أرجوكِ، سأسمعكِ وأنصفكِ. لكن دعينا نشرب الشاي أولًا.. اشربي، ثم تكلمي بهدوء يليق بتحضرك وثقافتكِ. وجهت جاكلين بصرها نحو المدير بعينين حمراوتين يقدحان شررًا، وقالت بصوت أقل حدة: يا ست، المعاونة تتحامل علينا، وتصطف مع رغد وبيان عنادًا لنا. وما حصل اليوم هو أدل دليل على تحيزها. قاطعتها المديرة بهدوء يثير الأعصاب: وماذا أيضًا يا جاكلين؟ تلبكت جاكلين قليلًا ثم أردفت: تلاحقنا عندما يرن جرس الدرس، بينما تترك لهما الحبل على الغارب. تنهدت المديرة، وسالتها مباشرة: فلنعالج أصل المشكلة. ما الذي بينك وبين بيان زميلة اختصاصك؟ وما خطبك مع رغد؟ قالت جاكلين بمرارة: بيان مغرورة بشهادة الدكتوراه وخبرتها في التدريس. ورغد لا تكف عن أحاديث الدين، وأظنها تنبذني لأني لا أرتدي الحجاب! ابتسمت المديرة بأسى، وقالت: بيان ترفض رفضًا قاطعًا رئاسة اللجنة الامتحانية، وتقول ست جاكلين هي مديرتي! ورغد لا تدخل المدرسة بمناسبة إلا والحلوى في يدها لويليام وابنتك روز! يا بنيتي، ابعدي عنك وهم تكرهانني. فالمدرسة ليست جبهات قتال. أما المعاونة فلم تنبههما إلا اليوم لأنهما، لم تتأخرا عن دروسهما قط. وطلابهما يشهد لها قبل سجلات الحضور. أ صحيح كلامي يا ست نرجس وإسراء وفتون؟

أجابتها إسراء: نعم، يا ست، صحيح. استأنفت المديرة كلامها: انتن تعرفن أن الوزارة تطلب من إدارات المدارس تقييم التدريسيين؛ لذلك أنا أركز على كل مدرسة. والحق أقول إن بيان ورغد مدرستان منضبطتان جدًا وحريصتان جدًا على عملهما في المدرسة كواجب إنساني ديني قبل الوظيفي. وهذا واضح من انتظام الطلاب في وقوفهم على قاعتيهما قبل الدخول، وعلى سيطرتهما على إدارة الصف، وتأثيرهما في الطلاب.

نهضت جاكلين، وأنفاسها تدق مسامع المديرة. واندفعت خارج غرفة الإدارة، وجسدها متصلب متيبس، ووجهها مكفهر تحقنه صبغه الغيظ، بعينين مشتعلتين بنار الحقد مستقرتين في هواجسها السوداء، وشعرها الأشقر المنسدل خلفها هائج مضطرب بخصلاته المتطايرة كراية تمرد وحرب مع خطواتها السريعة العسكرية، تجمع بين الصرامة العسكرية والرشاقة البارزتين بطولها الفارع وظهرها المستقيم، رشاقة تسندها أناقة لتظهرها بمظهر حرصت عليه كثيرًا كي تكون امرأة جميلة. وفتون تلتفت لإسراء، وهما تخرجان وراءها: المسكينة! واضح عليها التعب والغضب. لا تستحق كل ذلك. فترد إسراء، وهي تسمع جاكلين: لا تستطيع العيش مع الشرق واهله، فهي امرأة تثبت لزوجها البريطاني أنها من طرازه.

حين اتاح وقت انتهاء المحاضرة فرصة لمديرة المدرسة؛ لتلتقي ببيان ورغد، توجهت المديرة برفقة المعاونة بنبرة حنونة يحيطها الأمل: يا دكتورة بيان وست رغد، أقدر حرصكما على الطلاب وجهودكما في المدرسة وتعاونكما مع الإدارة. أرجو ألا تنزعجا من ثورة ست جاكلين... قطعت رغد جملتها بابتسامة صافية: يا ست، أرجوك لا تُتعبي نفسك، فلن يضيق صدرنا بها مهما فعلت.. وأردفت بيان بنبرة جادة حادة، وأصابعها ترتعش: هي عدائية هجومية مذ عرفناها؛ لذا أن لا أحبها ولكني لا أكرهها. فتعلق رغد ضاحكة: غفر الله لنا ولها، فلننسَ الأمر. لكن نحن ما زلنا شابتين وإن كنا في أواخر الثلاثين، وست جاكلين ما زالت في مقتبل طيشها العشريني. نظرت المديرة إليها بإجلال: لم يخب ظني بكما قط، دائمًا تخجلاني بسمو أخلاقكما. لتعلق المعاونة مبتسمة ضاحكة: شباب متجدد وحياة هانئة، أيتهما الشابتان الجميلتان! والآن هيا إلى قاعاتكما. تعالت ضحكاتهن في الفضاء كنغمات موسيقية متداخلة تزيح الرسميات وتخلف عبقًا من الألفة الصادقة. وترد رغد بعفوية: وقت محاضرتي لم يحن بعد، ما زال أمامي ساعة من الصفاء. وتكمل بيان: وأنا كذلك.

لم تجلس رغد على الكرسي في غرفة المدرسات، بل سارعت إلى إخراج دفترها من حقيبتها لتفتحه وتضعه أمام بيان قائلة: هذا ما كتبته عن منطقنا في الأسماء في اللغة العربية، خذي هذا القلم، واملئي الحقول بدقة بما يقابها في اللغة الإنجليزية. أخذت بيان القلم وانطلقت بالكتابة. بينما رغد تراقبها بنظرات ثاقبة. وفجأة، انطلقت ضحكة قصيرة من جاكلين التي وقفت بجانب طاولة رغد وبيان، وعيناها تنظران إلى تلك الكتابة في ذلك الدفتر الملون، وقالت: ما زلتما تضيعان وقتيكما في ربط الناقة الصحراوية بالإنترنيت المتطور! رفعت رغد رأسها، وسألت: دكتورة بيان، في العربية نقول: هذا طالب، وهذه طالبة. مذكر ومؤنث، كيف نقولهما في الإنجليزية؟ ردت بيان: ترجمة كلتا الجملتين هي (This is a student). علقت رغد، وابتسامتها تملأ وجهها: تكرم العربية الاسم تاءً لتفيد المخاطب معلومة دقيقة. بينما يبقى الاسم جافًا في الإنجليزية؛ ليتحير المخاطب بين المذكر والمؤنث. ردت جاكلين، وهي تضحك بسخرية: واضح أنك لا تعرفين أن الإنجليزية برغماتية! لذا لا تهتم بتفاهة الجنس التذكير والتأنيث الذي يشغل العربي، بل تركز على الدقة. ردت بيان: للاسم تقسيمات متشابهة في اللغتين كخاص (Mona) و(علي)، عام (car) و(كتاب)، معنوي (death) و(نقاء)، ذات (door) و(مدرسة)، جمعي (staff) و(جيش)، مادة (water) و(حليب). ومعدود وغير معدود. ردت جاكلين: لغة التحضر لا تجمع من الأسماء إلا ما له معنى، أما لغة العربان، فتجمع حتى الأوهام! نظرت رغد بغضب إلى جاكلين، وقالت بصوت مرتفع: لغتي تتصرف بالاسم، فتجعله مرة يعبر عن معناه الأصلي، ومرة تنقله كـ(العلمُ نورٌ) بمعناه الاصلي، وكـ(أعشقُ نورَ) بمعناها المنقول إلى العلمية. ضحكت جاكلين، وقالت: في الإنجليزية (rose) معناها وردة وهو معناها الاصلي، و(Rose) بمعنى اسم علم لفتاة. والإنجليزية أفضل من العربية، فهي توضحه من خلال الحرف الأول كبتل لتر. التفت لها رغد، وهي تبتسم بانتصار: العربية تميز بين معنى الاسم الاصلي والمنقول من خلال الحركة الإعرابية، فالمنون يدل على معناه الأصلي او علم مذكر، وإذا لم ينون فيدل على علم مؤنث. ضربت جاكلين الطاولة بيدها ضربة خفيفة، وقالت بحدة: دعينا من زفت الحركات الخرابية، وكوني منصفة، فالإنجليزية من خلال الحرف الكبير والصغير، هي أسهل وأوضح من العربية. وهي لغة عصرية من خلال تركيب الكلمات لتوليد معنى جديد كـ(rainfall, washing machine). ردت رغد وهي تضحك: (حبص بيص، بين بين، كفة كفة) كلها أسماء مركبة. قاطعتها جاكلين: لغة العربان جامدة تعيش على الجذور

الجافة. ابتسمت رغد بهدوء، وقالت: في لغتنا الجمود أصالة، والاشتقاق ولادة مستمرة. كتب كاتب مكتوب كتاب كتّاب مكتبة كتابة. وأنتم تتوسلون بالإضافات الأولية والوسطية والنهائية لتعطيكم ما تلده كلماتنا من رحمها.

ما إن انهت بيان كتابة ملء الحقول حتى قالت مستغربة: رغد، انظري كل شيء متشابه. تجيبها رغد مبتسمة لامعة العينين بنشوة انتصار وفرحة فوز: كأن القاعدة واحدة في اللغتين العربية والإنجليزية. تعيد بيان قراءة ما كتبته بنظرة سريعة. لمعت عيناها بنشوة، وتمتمت: يا ربي، كأننا نتنفس من رئتين لجسد واحد! فأقسام الاسم متشابه في كلتا اللغتين (مذكر مؤنث، مشتق جامد، مفرد مركب، عام، خاص، معنوي، ذات، جنس، جمعي، مادة، ومعدود، غير معدود). علقت رغد: صدقتِ. فلأعطكِ ورقة ثالثة كتبت فيها موقع الاسم الإعرابي في الجملة. تجيبها بيان جازمة، وقد جفلت: لا يوجد إعراب في اللغة الإنجليزية، يا رغد.

- لا عليك، اتركي الإعراب وحركاته، ركزي فقط على موقع الاسم في الجملة من حيث هو مبتدأ، خبر، فاعل، نائب فاعل، مفعول به، اسم مسبوق بحرف جر، مضاف إليه.
- في اللغة الإنجليزية لا يوجد مبتدأ وفاعل ونائب فاعل كما الحال في اللغة العربية، فهذه الثلاثة كلها واحد يُسمى (Subject).
- دعينا نعرف على واحدة، في اللغة العربية الفاعل هو ما سبقه فعل يتضمن حدثًا وزمنًا، مثل كتب علي قصة. ترجمي هذه الجملة.
- نعم، ترجمتها هي: .Ali wrote a story
- وترجمي هذه الجملة: كُتِبت القصةُ. التي تخلو من الفاعل وتتضمن نائب الفاعل؛ كون فعلها مبني للمجهول.
- نعم، ترجمتها هي: .A story is written
- وترجمي: علي مدرس.
- ترجمتها هي: .Ali is a teacher
- والآن، في الجملة الأولى فاعل، والثانية نائب فاعل، والثالثة مبتدأ. إذن، هذا تشابه واضح.

- الجملة الأولى اتفق فيها معك على أن (علي) فاعل، ولكن ماذا عن الفعل المساعد (is) في الجملتين الثانية والثالثة؟
- ما ترجمة هذا الفعل المساعد؟
- ترجمته يكون.
- كأنه يشبه الأفعال الناقصة في اللغة العربية التي لا تكتفي بالمبتدأ بل تحتاج إلى خبر ليتمم معناها، فلا نقول: كان علي. بل يجب أن نأتي بكلمة أخرى، مثل: كان علي ماهرًا.
- هذا يشبه الأفعال المساعدة في اللغة الإنجليزية، فلا نقول: (Ali was) دون أن نأتي بتكملة تتمم المعنى كـ(Ali was clever). إذن الأفعال الناقصة في اللغة العربية تشبه الأفعال المساعدة (Auxiliary Verbs) في اللغة الإنجليزية التي هي (am, is, are, was, were).
- إذن هناك فرق بين المبتدأ، والفاعل من خلال الفعل الرئيس والفعل الناقص المساعد، ولكن ماذا عن نائب الفاعل؟
- هو واضح الآن، فنائب الفاعل متبوع بفعل مساعد والتصريف الثالث للفعل الذي هو اسم مفعول.
- إذن، املئي ما يناسب المكتوب.

موقع الاسم الإعرابي في الجمل، هي:

1- مبتدأ، مثل: بيان مدرسة. كذلك في الإنجليزية كـ(Bayan is a teacher).

2- خبر، مثل: هذه الدكتورة بيان. كذلك في الإنجليزية كـ(This is Dr. Bayan).

3- فاعل، مثل: كتبت الدكتورة بيان قصة.

كذلك في الإنجليزية كـ(Dr. Bayan wrote a story).

4- نائب فاعل، مثل: كُتِبت القصة. كذلك في الإنجليزية كـ(A story is written).

5- مفعول به، مثل: ساعدنا الطلاب. كذلك في الإنجليزية كـ(We helped the students).

6- منادى، مثل: يا بيان، أريدك. كذلك في الإنجليزية كـ(Bayan, I want you)

7- مسبوق بحرف جر، مثل: جئت إلى الدكتورة بيان. كذلك في الإنجليزية كـ(I came to Dr. Bayan).

8- مضاف إليه، مثل: هذه مدرسة العراقيين. كذلك في الإنجليزية كـ(This is the school of Iraqis).

كسرت رغد ذهول الدكتورة بيان بكلماتها السريعة: أ رأيتِ، يا بيان، أ رأيت الشبه؟ أجابتها بيان مستغربة: نعم، والله شبه متطابق. ولكن أنا أفكر في إضافة الاسم، ففي الإنجليزية إضافة بـ(s)، وأخرى بـ(`)، وثالثة بـ(of)، فهل يوجد مثله في اللغة العربية؟

- وضحي لي كل واحدة.
- (s) تكون في نهاية المضاف إليه كـ(Student`s book is useful) وترجمته: كتاب الطالب مفيد. وتستخدم مع الكائنات الحية من أشخاص وحيوانات في حالة الإفراد لا الجمع.
- في اللغة العربية يبرز دور الحركات في إيضاح المعنى مع التطابق: كتابُ الطالبِ مفيدٌ. فلأن (كتاب) مرفوع بلا تنوين وبعده مجرور، فهو مضاف، و(الطالب) مضاف إليه، و(مفيد) مرفوع، فهو خبر للمبتدأ (كتاب)، أما مع التطابق في التعريف والإفراد والتذكير والعلامة الإعرابية: كتابُ الطالبِ المفيدِ. فـ(كتاب) مضاف، و(الطالبِ) مضاف إليه و(المفيدِ) صفة لـ(الطالب).
- جيد. أما (`)، فهي علامة إضافة تُوضع في النهاية العلوية للاسم المجموع جمعًا قياسيًا كـ(boys` school) والتي أصلها (s) لتخفيف اللفظ فلا يقال (boys`s school).
- علامة إضافة لتخفيف اللفظ في الاسم المجموع قياسيًا؟ هذا يرشدني فورًا إلى حذف النون في المثنى وجمع المذكر السالم، مثل قوله تعالى: (فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ) والاصل: رسولان ربك، وقوله: (إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ) والأصل: مرسلون الناقة. يا الهي، ما هذا، يا بيان! المنطق واحد!
- دعيني أكمل لنرى قوة الشبه. أما الثالثة (of).
- بلا شك، هي مع الجمادات والاشياء غير الحية على العكس مما قلته مع (s).

- ما شاء الله عليك، يا رغد، اصبحت مدرسة لغة إنجليزية لا عربية. نعم، كلامك صحيح، هكذا تُستخدم (of) سواء كان الاسم الذي تأتي بعده مفردًا كـ(A box of cigarettes) أم جمعًا كـ(.The wings of a glider).
- أظن أن ما يقابل (of) حرف الجر الام، مثل: شرح واضح للقاعدة.
- كذلك تُستخدم (of) بمعنى واحد من مجموع كـ(A friend of Ali) أي: صديق من أصدقاء علي.
- كذلك في اللغة العربية نفرق بين (صديقُ علي) أي صديقه المعروف، و(صديقٌ لعلي) أي أحد أصدقائه. تطابق غريب بين قواعد اللغتين.

قاطعتهما المعاونة ست منى ضاحكة بصوت أعلى مما اعتادت أن تكلمهما به: يكفينا سيبويه وتشومسكي لهذا اليوم! القاعات تنتظركما. ثم ألتقتا بعد ذلك في وقت قصيرة. فناولت رغد ورقة إلى بيان كتبت فيها؛ لتملئ الحقول الفارغة التي تقابل ما موجود فيها من قواعد اللغة العربية:

الاسم التابع الذي لا إعراب له:
الأصل في الاسم لأهميته في الجملة أن يكون له محل من الإعراب، ولكن قد يرد لا محل له من الإعراب، بل تابع لغيره كما في: العطف، مثل: جاء محمدٌ وزيدٌ. كذلك في الإنجليزية كـ(Nada and Fatima played)، البدل، مثل: أدعو لأستاذي زيدٍ. كذلك في الإنجليزية كـ(My daughter, Wateen, wants chocolates)، التوكيد مثل : جاء زيدٌ زيدٌ. أو توكيد معنوي من خلال كلمة، مثل : جاء زيدٌ نفسه. كذلك في الإنجليزية كـ(Mona Mona wants chocolate.).

جعلت كتابة بيان عيني رغد لامعتين مبتسمة الوجه وفرحة مستبشرة تترقب القلم في يد بيان كأنه يكتب لها شهادة فوز بحبها للعلم وتطلعها للمعرفة؛ لتعكسه على بيان مثيرة فيها فضول المعرفة وشوق الحصول عليها، ليتعاضد حبهما وفضولها مشكلًا باحثًا مجدًا مثابرًا متحمسًا لكتابة بحثه اللغوي وإكمال فقراته وصولًا لنتائج مفيدة تدفع بهما إلى التقدم في المستوى المعرفي، والتطور اللغوي. خرجتا معًا من باب غرفة المديرة متوجهتين إلى بيتيهما، وما زالت بيان تؤكد على رغد: رغد، لا تنسي أن تعدي لنا كتابة عن الفعل في اللغة العربية. ورغد تجيبها: لا، لا، لن أنسى، كيف أنسى! وأنت أجمعي لنا معلومات عن الفعل في اللغة الإنجليزية. وضحكات المدرسات ترتفع، قالت أحداهن: من منهما ستتصل بالأخرى، رغد، أو بيان؟ ردت الأخرى: قد لا

يكون اتصالًا بينهما، بل زيارة للمناقشات اللغوية. وعلقت الثالثة: يا رغد، وبيان، انتبها إلى زوجيكما وأولادكما. كان الله في عونهم عليكما. وعلقت الرابعة: زوجاهما سيطلقانهما، لأنهما منشغلتان باللغة على حسابهما. ضحكن جميًعا، قالت بيان ضاحكة: زوجانا يحبانا. الله رزقني بأفق واسع لكتابة البحوث، له الحمد. وعلقت رغد: لله الحمد، على هذا الرزق سأكمل الدكتوراه.

خيم سكون على مكتب المديرة حين انصرفت المدرسات إلى بيوتهن بعد انتهاء وقت الدوام الرسمي. كانت المديرة منار تجلس على كرسيها خلف ذلك المكتب الضخم الصقيل الجميل الذي صغر لمقامها البهي. ذلك المكتب الذي تواضع لهيبتها اللقمانية. كان فضاء الغرفة يفوح بعبير مزيج ساحر من العود الكمبودي الرقيق ورائحة القهوة العربية؛ ليمنح المكان هالة من الوقار الشرقي الأصيل. في الغرفة نظافة كالأوراق الرسمية التي تتعامل بها المديرة، وتنظيم كأفكارها، يختال الياسمين الأبيض العطري وزهر الليمون اللتان تضفيان تفاؤلًا وحيوية على الأجواء، وهواؤها مخمليًا كثيف الجمال يسحر لب الزائر ويبعث فيه شعورًا يوحي أنه في حضرة شخصية تولي الاهتمام بكل تفصيلة، ومازجة رقي الاختيار بصرامة الإدارة في هالة تقديرية توجب الاحترام.

أشارت المديرة للمعاونة بالجلوس، وقالت بنبرة يسكنها الأسف: يا ست منى، أعتذر لك عما بدر من جاكلين من سوء أدب وكلمات سوقية لا تليق بمكانتنا. سارعت منى بابتسامة جميلة متسامحة: بل أنا من يعتذر، فوالله ما قصدتُ استفزاز هذه المكروهة قط، بل كنت أظن حثي لرغد وبيان على الدرس هو انتصار لجاكلين ومحاباة لها.. هزت المديرة رأسها بإعجاب: أعرف ذلك يا منى، لكن الفخر يغمرني برغد وبيان. اليوم ملكاني بسمو أخلاقهما وسماحتهما ورقيهما.

- هما دائمًا كما وصفتهما. ولا أظن أن اليوم تفاجأت بهما.
- أي والله صدقت. يا منى، هناك من تمشي في المدرسة وكأنها تحمل مصباحًا مضيئًا يبدد ظلام الجهل. وهناك من يمر بنا ويصادفنا في حياتنا وكأنه مثال سمو الأخلاق. وكلتا الصفتين اكتملتا في رغد وبيان.
- فعلًا والله، هما تجسدان كلام الدين والأخلاق التي تتكلمان بهما في سلوكهما.
- أكثر من ذلك، أنا أراقب بدقة كل المدرسات في داخل المدرسة لحرصي على العملية التربوية والتعليمية. ولاحظتُ أنهما حين تدخلان قاعتيهما يسود الحب والتفاعل بين

الطلاب قبل الانضباط، وهما توازنان بين فرض سيطرتهما على الصف وبين عدم تحول الصف إلى سجن مرعب.

- وأنا ألاحظ الطلاب يقفون بانتظام حين يدخلون ويخرجون إلى قاعتيهما، كذلك لرغد وبيان أثر على الطلاب بعد أن تنتهي محاضراتهما. على العكس من الطلاب مع المدرسات الأخريات.
- هما تهتمان بالطالب علميًا وأخلاقيًا حتى أنهما تحاسبان الطلاب على النظافة والأناقة وعلاقة الطالب بأهله. حتى أن كتب المادة التي تدرسانها نظيفة وجديدة حين يرجعها الطلاب لنا.
- لذلك لا نحتاج كتبًا كثيرة جديدة لمادتي اللغة العربية واللغة الإنجليزية من الوزارة. وهما لم تتأخرا يومًا على وقت المدرسة قط.

فجأة، فرت من المديرة ملامحها المشبعة ببهجة صادقة، وانطفأ بريق عينيها اللامع ببريق التقدير لرغد وبيان، وغاب صوتها الناعم الرخيم حين هاجمها ذكرها اسم جاكلين. فانقبضت أسارير وجهها، وانعقد حاجباها، وتجمدت ابتسامتها العريضة، كأنها نزعت وسام الفخر لترتدي مكانه ثوبًا من الكدر. ظهرت نبرة صوتها حادة: يا منى، عزاؤنا لمهنة الأنبياء لوجود مثل جاكلين ومقرباتها فيها. تأوهت منى وعيناها مضطربتان، وكلماتها تخرج من بين أسنانها المشدودة: تقتلني الفوضى، وبرود أداء المدرسة، وكثرة الأعذار للتنصل من المسؤولية. ردت المديرة بألم وحسرة بعد أن صار ووجها قناعًا من الصرامة المنفرة: والأدهى أنهن يهاجمن كل شمعة مضيئة في المدرسة ليخفين عيوبهن، أو كأنهن يعالجن نقصهن بمهاجمتهن لكل مدرسة متميزة. علقت منى بمرارة: مفلسات حتى من الذكاء الاجتماعي! وأسلوبهن يطفئ شعلة الود، ويجعل الهروب منهن مكسبًا. لا عتب على من تبرأت من اسمها (سعاد) لتُسمى بـ(جاكلين). ختمت المديرة الحوار بتنهيدة مثقلة: والأشنع كثرة ترديدها لاسمها الجديد، وطريقة لفظها له كأنها تحاول غسل لسانها من لغتها العربية الأم بكل حرف إنجليزية تنطق به. المهم الآن، يا منى، علينا احتواء جاكلين ومجموعتها المهملة المزعجة لا حبًا بهن، بل حرصًا منا على الطلاب، وسمعة مدرستنا. أرجوك تحملي وقاحتهن من أجل جيل لا ذنب له.

مر أكثر من ساعتين، وعقارب ساعة جاكلين التي تلتف حول معصمها كقيد خانق، تضغط على جلدها مع كل نبضة متسارعة في عروقها. كان زجاج الساعة يعكس غيظ عينيها، بينما صوت عقرب الثواني يطرق في رأسها. تلك الزجاجة التي تصد هجوم أصابعها المرتجفة التي تلامسها لتحميها من التحطيم، ويحافظ على دقة ضبط العقارب للوقت من محاولة جذبها

المغناطيسي. وأخيرًا، أطاعت عقارب الساعة نظرات جاكلين واستسلمت لها؛ لتعلن أن الساعة الواحدة ظهرًا. لم يكد هاتف فتون يهتز حتى أجابت جاكلين بصوت يقطر توترًا. سارعت فتون وردت بصوت مغنوج يفيض ودًا: أهلًا، حبيبتي، قلبي دليلي، لقد مسكت هاتفي لأتصل بك، وإذا بك سبقتني بالاتصال.

- أهلًا، فتون. أخبريني ماذا حصل بعد أن غادرت المدرسة؟
- ماذا تتوقعين أن يحصل! فتلك المديرة اجتمعت برغد وبيان والمعاونة. وخرجن بابتسامات عريضة.
- آه يا فتون، قلبي يتقطع! أود ان أحرق هاتين المتخلفتين المقلدتين لسيبويه وتشومسكي، ومعهما المديرة التي سممتني بكلماتها، والمعاونة أيضًا.
- انت بطلة. لقد ارعبتهن. هن يعادينك لأنهن يغرن من تحضرك وثقافتك. أتتذكرين صديقتها القروية بشرى التي تتودد لها رغد بأسلوب الخادمات!
- نعم، ذلك التودد المقزز. أخبريني.. ماذا فعلت رغد وبيان بعد أن خرجتا من غرفة المديرة؟
- كلهن يضحكن في وجوهنا كي يسترنا خوفهن منك، محاولات إثارة غضبي لأنهن متأكدات من حبي لك. جلستا في غرفة المدرسات تتناقشان عن اللغة العربية والإنجليزية مرتين. ومرة، جاءت المعاونة وقالت لهما وهي مبتسمة قمن إلى التدريس، فضحكهن.
- واضح أن المديرة لم تعاقبهما، والمعاونة مصرة على تحديها لي.
- هذا هو التحليل الدقيق الذي لم أرد قوله لك كي لا أزعجك؛ ولذا كانت كل من المديرة والمعاونة ورغد وبيان يضحكن مبتسمات كل وقت الدوام.
- آه، يا فتون، قلبي يتقطع قهرًا، إلى الآن لم أستطع حتى تغيير ملابسي.
- أنت لم تقصري معهن، أنت بطلة أخفتهن وأرعبتهن. كنت بطلة.
- الكلام كثير عن هؤلاء السخيفات المتخلفات. سأتصل بنرجس وإسراء الآن، قبل أن يأتي زوجي جيمس من عمله، ثم أعاود الاتصال بك.
- هل ستقولين لجيمس عما حصل لك اليوم؟
- طبعًا، لا، لأني أخجل منهن ومن مستواهن الرجعي. كنت أقول له كلامهن عن الدين والأخلاق وعاداتهن ونضحك، ثم توقفت عن نقل كلامهن، لأني خجلت من مستواهن السخيف كي لا يظن أني كنت انتمي لبلدهن.
- تبقين في كل أحوالك امرأة متحررة متحضرة مثقفة بثقافة الغرب المتطور. فلا تنزعجي منهن، يا نور عيني.

- لذلك هن يغرن مني ويحسدني ويعاديني، وأنا أتعالي عليهن وأبتعد عن مستواهن فلا أجلس معهن. فتون، نرجس تتصل بي. سأتصل بك فيما بعد، أوكي؟ وداعًا.

بحلول الساعة السابعة صباحًا، وصلت المديرة إلى المدرسة كعادتها منذ توليها الإدارة؛ لتعلن عن انطلاق ايقاع يوم دراسي يتفجر بالنشاط والحماس. فارضة حضورها بمظهرها غير المبالغ في زينته قبل كلماتها، ملابسها المحتشمة الإسلامية الرسمية، وأكتافها محددة توحي بالصلابة والمسؤولية، وأزرار سترتها السوداء التي لا تعرف التجاعيد لامعة كلمعان بروش حجابها مصطفة كجنود في استعراض عسكري، مغلقة حتى الزر الأخير مانحًا إياها الوقار المهيب. خطواتها المنظمة الرتيبة المعتادة بحذائها الجلدي الرسمي يجمع الأناقة الهادئة بسطوة مستغنٍ عن الضجيج. كانت تمسك بيدها حقيبة جلدية سوداء تحمل وزن المسؤولية والقرارات، ومفاتيحها في يدها الأخرى موقنة بأنها تفتح صمت المكان وضياء الظلام.

هاجم عبق عطرها عطرٌ باريسيٌ موحي بالنظافة والأناقة، فرفعت رأسها من خلف مكتبها لترى رغد بعد أن تجاوزت خمسُ دقائقٍ الساعة السابعة، وبعد دقائق أنقضت في التحية والسلام بينهما، وصلت بيان على موعد مبكر حدده اتصال رغد بها ليلة أمس. توجهت كل من رغد وبيان نحو غرفة المدرسات؛ لتعطرا عقليهما بعطر الطموح، وملامح وجهيهما في تلك الساعة المبكرة تشبه صفحة كتاب جديد في صرامتها ونظافتها واستعدادها لتدوين أحداث اليوم. وتوجهت المديرة لمسح المدرسة بنظرتها الدقيقة الثاقبة الحريصة، من نظافة المدرسة وترتيب أثاثها قبل أن تضج بالحياة. سارعت رغد الخطى، قائلة بفضول، وهما تمشيان إلى غرفة المدرسات: بيان، قولي بسرعة ما مفاجئتك لي؟ تجيبها بيان بابتسامة: دعينا نصل الغرفة ونجلس.

- منذ أن أخبرتني في الاتصال قبل قليل وفضولي يسيطر علي.
- طيب. لقد تأكدت من مصادري يا رغد.. كنا نظلم الإنجليزية حين نحشر كل شيء في خانة الفاعل. لقد وجدتُ المبتدأ فئة، والفاعل فئة، ونائب الفاعل كيان مستقل.
- وما الأسماء الاصطلاحية لهذه الثلاثة في الإنجليزية؟
- المبتدأ (subject)، والفاعل (doer)، ونائب الفاعل (substitute of the doer) أو (subject of a passive verb).
- جيد جيد يا ست بيان البيان. والآن خذي هذه الورقة والقلم وابدئي بملء الفراغات.
- لا، يا رغد، أنت اقرئي لي وشرحي، وأنا أشرح لك ما يقابل ما توضحينه من قواعد كي تكتبيه بلغة عربية فصحى.

الفعل هو كلمة تدل على حدث وزمن، فالحدث هو نفسه الذي يحدثه الفاعل من قيام أو قعود أو نحوهما، والزمن هو أحد الأزمنة الثلاثة. ولكل زمن صيغة خاصة بالأفعال. كذلك في الإنجليزية فهو الحدث نفسه الذي يحدثه الفاعل كـ(ask, wake, play).

يتميز الفعل من أقسام الكلام بما يلي:

1- يدل الفعل على حدث وزمن. كذلك في الإنجليزية. يمكن تجريد الفعل من الإشارة الزمنية التي يتضمنها كما في التركيب، مثل: جاد الحق، وتأبط شرا. كذلك في الإنجليزية كـ(bar- keep , fly-over)، وبأن يسبق حرف مصدري الفعل المضارع كـ(أن، ما)، مثل: أسعدني أن أُلغيت العقوبةُ (أي ألغاء العقوبة)، ويسرني ما تؤدي الدولة (أي أداء الدولة). كذلك في الإنجليزية بأن تسبق (to) الفعل المضارع المجرد من الإضافة، وذلك لمعاملته معاملة الاسم كـ(To learn a second language is difficult)

2- يختص الفعل بقبول:

أ- السين وسوف للمستقبل، وقد. ويقابله في الإنجليزية (Shall, will, going to).

ب-نون التوكيد، ونون الوقاية. أما في الإنجليزية فيختص الفعل الإنجليزي بقبوله (Do) للتوكيد، ولا يوجد حرف للوقاية، فالإنجليزية لغة تفتقر لنظام الحركات.

ت-أدوات الشرط. أما في الإنجليزية فأدوات الشرط تُتبع بفاعل.

ث-لم، ولا الناهية. أما في الإنجليزية فيسبق الفعل بـ(Do not) للنفي وللنهي.

ج- لام الأمر، ولما. أما في الإنجليزية فيسبق الفعل بـ(فعل مضارع + اسم أو ضمير + Let) للأمر، مثل: Let me have a book.

ح- تاء التأنيث الساكنة، والاتصال بضمير الرفع البارز. وتفتقر الإنجليزية لمثل هذا.

خ- أحرف المضارعة. ولا توجد أحرف مضارعة في الإنجليزية، ولكن يتصل بالفعل الإنجليزي (S, ed, ing).

تناولت رغد السجل من أمام بيان، وراحت تنظر في كل نقطة بتمعن، وهي تقول: بيان، ما هذا الشبه! هزت بيان رأسها، وتمتمت: لم أتوقع هذا الشبه. علقت رغد: يا لجمالك يا لغتي! تقين أفعال شعبكِ من الكسر بنون حماية. ردت بيان ممازحة: لكن الإنجليزية وقتِ الفعلَ من الكسر في أنها لم تقربه منه أصلًا كمن يبعد النعجة عن الذئب. ضحكت رغد، وقالت: لكن العربية أبرزت جمالها في أنها جمعت النعجة والذئب، مع حفاظها على النعجة من افتراس الذئب. والنعجة تشعر بأمان بحماية لغتي. علت ضحكاتهما، وردت بيان: بل وأخذت الفائدة من الذئب في تخويفه للنعجة لتذويب شحمها وجعلها رشيقة. ردت رغد: والإنجليزية مجردة من المشاعر، والخوف من الكسر، والكسر نفسه.

3- يمكن تصريف الفعل، فالفعل المضارع يُصاغ من الماضي بزيادة أحد أحرف المضارعة (أ، ن، ي، ت). كذلك في الإنجليزية يمكن تصريف الفعل، فيُصاغ الفعل الماضي (Past) من الفعل الحاضر (Present) كـ(burn: burnt). ويُصاغ فعل الأمر من المضارع المعلوم بحذف حرف المضارعة من أوله وبناء آخره على ما يُجزم به الفعل المضارع، مثل: زلزل، يزلزل، زلزلْ. أما في الإنجليزية فصيغة الفعل الحاضر (Present) هي نفسها المستعملة للتعبير عن الأمر، ولكن من دون ذكر فاعل الجملة كـ(You write it) حاضر، و(Write it) أمر.

ابتسمت رغد، وقالت ممازحة: انتبهي يا بيان، كلتا اللغتين تحذف الفاعل عند الأمر، لكن لغتي خصصت فعلًا خاصًا للأمر، لا كاللغة الإنجليزية التي تقتصد في أنواع أفعالها. هزت بيان رأسها وهي تقول: الإنجليزية لا تريد أن تتعب شعبها بكثرة أنواع الفعل، بل وتعتمد على نباهتهم في فهم المطلوب، وليس كالعرب يحبون العناوين ويقدسون المشخصات على حساب الفهم.

4- له صيغ صرفية خاصة مبنية للمعلوم ومبنية للمجهول لا تشاركه فيها بقية الأقسام.

كذلك الفعل في الإنجليزية.

5- يكون الفعل مسندًا ولا يكون مسندًا إليه، فلا يوصف بل يكون صفة، ولا يُخبر بل يُخبر به.

كذلك في الإنجليزية.

6- يمكن اشتقاق الفعل كاشتقاق اسم منه، واسم فاعل. ولا يُثنى ولا يُجمع. كذلك في الإنجليزية.

تعترض بيان قائلة: رغد، لا يوجد التنوين في الإنجليزية. تجيبها رغد: للتنوين أغراض مختلفة في العربية، ولكن لنقل هنا غرضه التنكير. فما علامة التنكير في الإنجليزية؟ وهل يمكن أن ننكر الفعل؟ ردت بيان: ها، نعم، نعم، للتنكير في الإنجليزية أدوات هي (a, an, some, any) ولا يمكن استخدامها مع الفعل. حسن، أكملي.

7- يلحقه المتصل البارز من ضمائر الرفع خلافا للصفات. وتفتقر الإنجليزية للضمائر المتصلة، ولكن الفعل يُسبق بضمير الفاعل.

8- لا يُضمر الفعل ولا يعود عليه الضمير. ولا يأتلف الكلام من الفعل والفعل، ولا يُذكر ولا يؤنث، ولا يُسبق الفعل العربي بـ(لا) النافية للجنس. كذلك في الإنجليزية، لا يُسبق الفعل الإنجليزي بـ(No).

9- الفعل العربي يسبق الفاعل، ويمكن أن يقدم الفاعل عليه، ويلي المفعولُ به الفاعلَ. أما الفعل الإنجليزي فيُسبق بالفاعل، ويُلحق بالمفعول به، فتركيب الجملة الإنجليزية يكاد يكون ثابتا، وأعطت رتبة للفاعل وللفعل وللمفعول به إلا في حالات معينة.

10- لا يقبل علامات الاسم كالجر، ولا يسبقه حرف جر. كذلك في الإنجليزية. أما في مثل (لتكتبوا)، فإنها لام الأمر وليست حرف جر، وفي الإنجليزية (To) التي تسبق الفعل بالزمن الحاضر فلتأويل الفعل وتعده اسما، فـ(To write) يعني (Writing). ولا الإضافة، ولا حرف التعريف، ولا النداء، ولا التنوين. كذلك في الإنجليزية أدوات التنكير في الإنجليزية.

لم يكد ضجيجهما العلمي يهدأ في زاوية الغرفة، حتى شهقت بيان بذهول يخالطه ارتعاش المفاجأة: يا اللهي، أيعقل أن يكون الشبه بهذا التطابق! كانت رغد تعيد مراجعة الورقتين مرددة بصوت خفيض: كأنما نُسجت اللغتان بمغزل واحد. تبخر الشد والتركيز على ملاحظة الدقائق، وتلاشى قلق الانضباط مع دقات جرس وقت إلقاء المحاضرات. نهضتا، وانطلقتا-كالمعتاد-نحو قاعتيهما بزهو من يحمل مشعلًا. والإدارة مدركة قيمة إخلاصهما؛ لذا حكرت الساعات الأولى من المحاضرات بالمدرسات الملتزمات بالوقت. استدارت المديرة نحو المعاونة، وقد حل تساؤل حذر عن جاكلين وغياب توقيعها عن سجل الحصور محل بريق رضا عينيها. أجابتها المعاونة بنبرة يكسوها الضيق: ووجهها الواجم أطل علينا في الثامنة وأربعين دقيقة، وهو يضيق بكلمة صباح الخير. وقد علت ضحكاتها مع مجموعتها. تنهدت المديرة بأسى: كأن إجازتها يوم أمس لم ترحها، ولم ترضَ بها لضياع تعليم الطلاب! عقبت المعاونة بمرارة: شكاوي أولياء أمور الطلاب بدأت تتقاطر، فدرسها جسد بلا روح.. قاطعتها المديرة بصرامة هادئة: دعكِ منها الآن.. ولنرقب ما سيجود به اليوم.

بح صوت جرس المدرسة، وهو يكرر نداءه محاولًا إيقاظ ضمائر المهملات، لكن صوته ارتطم بجدار صمتهن المتعمد، لم يستجبن له إلا بعد أكثر من خمس دقائق. وضجيج الطلاب المكتظين يرتفع، وتتقاطع كطنين نحل غاضب لا يهدأ. ظهرت جاكلين وسط هذا الصخب، وهي تمشي ببطء، تجر خطاها جرًا. والمعاونة تنظر لها نظرة ثاقبة بعينين متسعتين، متأملة ملامحها الجامدة الغاضبة. قالت في سرها: آه منك يا جاكلين بل يا سعاد! تجرين قدميك منزعجة حين تتقدمين نحو القاعة حاملة حقيبتك التي هي صندوقك الأسود، أما عند خروجك من المدرسة فتكونين عداء فائز حامل بيده كأس الفوز! ثم تحركت منى من مكانها لتراقب جاكلين. رأتها وضعت حقيبتها على الطاولة المغبرة، وهاتفها لا يفارق كفها. تاركة الطلاب غارقين في بحر لغطهم، والعلم يختنق في اهمالها، تنتظر وقت انتهاء المحاضرة لا رنين الانصراف على جمر

التبرم. جمدت عينا منى على جاكلين من خلف الشباك، وضجيج الطلاب يملأ أذنيها، وجاكلين منشغلة في عالمها عيناها لا تفارقان شاشة هاتفها. تذكرت منى كلام جاكلين "انا غارقة في عشق الإنجليزية. هي ثقافتي وهويتي. نصف اسمي جاك روح بريطانية، ونصفه الآخر لين شلال، يعني أنا شلال ثقافة بريطانية؛ لذلك لا يحبني العرب". ثم يعلو صوت منى: استغفر الله. بعد أكثر من خمس دقائق من صخب الطلاب في قاعة جاكلين، ألقت بضع كلمات إنجليزية بفتور، ذابت حروفها في ضجيج الطلاب المرتفع. وطلبت منهم قراءة بعض الجمل، فتعثرت ألسنتهم بنطق مشوه، لكنها لم تكلف نفسها عناء تقويم اعوجاج السنتهم. اتجهت نحو المنصة بخطوات وئيدة، ثم شرعت في شرح القاعدة باقتضاب مخل. زاهدة حتى في استخدام الطبشور لتوضيح معالم الدرس على اللوحة. أمرت الطلاب بتدوين كلمات في دفاترهم، ناسية أن تلك الدفاتر ما زالت سجينة غرفة المدرسات. وحين أرسلت طالبًا لإحضارها، عاد الطالب بخفي حنين، فقد عجز عن معرفة دفاتر شعبته التي اختلطت مع دفاتر الشعبة الثانية والمرحلة الأخرى التي علاها بقايا فنجان قهوتها وفتات البسكوت. بعد أن أخبرها الطالب، جلس على كرسيه، وهي اندمجت مع هاتفها حتى قاطع خلوتها صوت طالب يسال بتردد: ست، ما نتيجة اختباراتي؟ دون أن ترفع عينيها عن شاشة هاتفها، قذفته بنبرة باردة مسمومة: الأوراق ما زالت قيد المراجعة. لم يستسلم الصغير، بل أردف بحرقة: لكن أمي تسألني كل يوم عن النتيجة ولا تصدق أنك لم تصححي الأوراق بعد. انتفضت جاكلين، ساحقة صوته بزئير عاصف، ونظرة تقدح شررًا: قلت لك قيد المراجعة، يا غبي، كفى، وتأدب.

بعد أن وضعت المحاضرات الأربع أوزارها، ألتقت رغد وبيان في تلك الاستراحة القصيرة التي تسبق نهاية الدوام. يتغلب بريق الشغف على ملامحها المتعبة. وقبل أن يلملم الدوام أطرافه بساعة، سحبت رغد من حقيبتها ورقة، واضعة إياها أمام عيني بيان. وعدلت نظارتها على جسر انفها بحركة تنم عن تركيز عالٍ. مدت يدها التي تحمل القلم نحو بيان، وبصوتها المتهدج بالحماس، قالت: انظري يا بيان، لقد حصرت الضمائر في لغتنا في هاتين الورقتين، وأريد منكِ أن تسكبيها في قالب الإنجليزية. جلس القلم في يد بيان متأهبًا للتدوين لملء الفراغات التي تركتها لها رغد، بينما تتلو رغد بوقار: في لغتنا، يسكن الضمير أربعة أركان حصينة؛ شخصية تمثل الذات، وإشارة ترسم الحدود، وموصولة تنسج الروابط، واستفهامية تفتح أبواب السؤال.

الضمير الشخصي في لغتي ليس مجرد سد فراغ، بل هو كيان مخلص من ثقل تكرار، يحل محل المتكلم بزهوه، والمخاطب بحضوره، والغائب بسابق ذكره بلفظ أو وجدان. ولا يختلف الضمير (Personal Pronoun) في الانجليزية. لقد جعلت الإنجليزية للضمير حصونًا، منها

المنعكس المرتد على صاحبه، والتوكيدي المشد أزر المعنى، وتملكي المحافظ لكل ذي حق حقه.

يتميز الضمير في لغتي العربية: يتبختر بدلالته على الحاضر أو الغائب، ومعناه بقرينة يتضح ، ويؤدي أغراضًا غير النيابة عن الاسم. لقوته واعتمادنا عليه، فقد حمل في طياته أربع إشارات: الإعراب، هوية الشخص، صبغة الجنس، ميزان العدد. هويته ثابتة لا يتبع الأسماء في تثنيتها وجمعها. فكل صيغة منه تدل على فرد أو حشد. لضميرنا يا بيان، كبرياء المعرفة مجبولة بفطرته التي تعجز تنوين التنكير من اقتحامه، ولا تحتاج إلى ال التعريف، ولا إلى مضاف إليه، لم يتعالَ في بروج عاجية، بل تواضع ليكون مضافًا إليه.

ضحكت بيان، وهي تقرأ. ثم رفعت صوتها، وقالت: اسمعن يا مدرسات. فأعادت عليهن ما قرأته. وما إن قالت الضمير، حتى علقت جاكلين، وهي تلوح بيدها بالهواء، وترفع شفتيها: وهل للعرب ضمير! عجيب، العرب عاشوا ويعيشون دون أن يعرف من الضمير إلا اسمه! أجابتها فتون، وهي تهز رأسها: حتى لو كان العربي يعرف الضمير، فلن ينتفع به أبدًا! ردت جاكلين: ضمير العربي مفعل جدًا في سلوك العرب منذ ان قتلوا ملكهم كليبًا بناقة، وتخلوا عن قبلتهم لليهود. نظرت بيان إلى جاكلين بطرف عينيها، فلحظتها فتون التي قالت فجأة: اخبرينا عن الضمير عند الإنجليز يا دكتورة بيان الجميلة. دارت بيان عينيها إلى رغد، وقالت بنبرة حادة جادة: لم يختلف كثيرًا موضوع الضمير في الإنجليزية عما هو في العربية. ورجعت إلى الورقة لتقرأ فيها:

ضميرنا صخرة صماء ثابتة كالجبال، لا تصريف له ولا اشتقاق منه. مستقل مستغنٍ عن تجميله بالصفة. يزهو برتبة المكان والمكانة مقدمًا ومؤخرًا بحياء. يخصص فخرنا بنا–نحن المعلمين–تنهض الأمة. رفعت بيان صوتها رغم قرب رغد منها، وقالت: الضمير العربي لم يختلف كثيرًا عن الضمير الإنجليزي يا ست رغد! كلاهما يتميز بما يتميز به الآخر. هو عند الإنجليز صخرة صماء، مستقل مستغنٍ يفصلونه بفعل مساعد عن الوصف بعده لا قبله، لم يقتصر الاختصاص عند العرب، بل (we women know our friends). يختصر المسافات ويحفظ بريق الإيجاز. علقت رغد بصوت مسموع، وقد رفعت بصرها نحو جاكلين: ضميرنا عزيز النفس، مبني على كبريائه، يرفض أن يكون تابعًا لصفة.. قاطعتها بيان، وهي تلحظ جاكلين

تنظر بضجر: كذلك الضمير في الإنجليزية، يا رغد، فالضمير (I) يتكبر على كلمات الجملة بزهو. همست فتون لجاكلين: هذا الضمير هو أنت يا أم الجاك.. ساد صمت مفاجئ. وعينا جاكلين متسعتان.

رمت بيان القلم، ونظرت إلى فتون، وهي تقول: يا رغد، نحن لا نشرح قواعد اللغتين، بل نحن نقشر غلاف الكلمات؛ لنصل إلى روح الإنسان الواحد. سحبت رغد نفسًا عميقًا، وهي توزع نظرها على فتون وبيان: نقشر ذلك الغلاف لذلك الإنسان، لنعريه من كل مظاهره وأغطيته. يا دكتورة بيان، من ضمائرنا ما هو سيد يختص بمقام الرفع والرفعة كتاء فاعلنا نحن، وهي وهن الغائبات في حضورنا. هناك يا بيان، من رضي بمنزل نصب وجر ككافِ خطاب وهاء غيبة وياء متكلم. وقهقهات بيان تعلو حتى دخلت منى على تلك الضحكات الجميلة التي تسكر فيها بيان. سألت منى، وهي مبتسمة: يا مشاكسات، ما الخبر؟ فطلبت بيان من رغد إعادة ما قالته. ضحكت منى وهي تستمع لرغد، بينما كان ملامح جاكلين حادة أخافت فتون ونرجس وإسراء من مشاركة الضحك أو الابتسامة مع بيان ومنى ورغد. ثم سألت منى بيان: اشرحي ضمائر الرفع في الإنجليزية. استجمعت بيان قوة جديتها: تقسم الإنجليزية ضمارها الشخصية على ضمائر فاعل كـ(I, He, She, They, We)، ومفعول به ومفعول حرف الجر كـ(Me, her, his, them, us)، ومنها ما هو مشترك بين الرفع والنصب والجر (You). ردت رغد: مثل (نا) في العربية مشترك للرفع والنصب والجر.

ابتسمت بيان: يا رغد العربية، أحب مساواة ضمير الإنجليزية بين الجنسين (you, they)، وأكره تفرقة العرب التي قد تمنح أطريمش وحناش الأفضلية على الخنساء. ضحكت رغد ومنى التي سألت: من أطريمش وحناش؟ هما معنا أو أين! ردت رغد: لغتي تستر الاثنين معًا فهما مشترك، ولكن لو أساء جماعة لهذين الاثنين حينها يجب معرفة المسيئين رجالًا أو نساءً. علقت منى: نحن نميز بين الجنسين؛ فنساؤنا ورود البيوت، ورجالنا شهامة أمننا. أجابت بيان: الإنجليز يخافون على الفرد الذي هو مركز اهتمامهم؛ لذا خصصوه بـ(he) وهي بـ(she).

تنهدت رغد وهي تنظر لجاكلين وزميلاتها المقربات: لغتي الإلمام بالتفاصيل الدقيقة كي أفهم كل شيء؛ لذا أعرف العدد من الضمير، وأقدس الاثنين، وأخصص لهما ضميرًا فأنتما حبيبتاي لا هما، وجمعنا مبارك نساؤه ورجاله أنتن وأنتم. علقت جاكلين بسرعة بنبرة حادة: من ذوق

الإنجليزية وتحضر أهلها ينصهر الاثنان بالمجموع؛ ليغطوا إساءته إذا كان مسيئًا، ولحبهم للخير والجمال، يشاركونهما خيره وجماله. استجابت فتون لكلامها وعلقت بابتسامة، وهي تنظر لها، وتصفق: احسنت يا ست جاكلين التحضر والذوق. الإنجليزية لغة تحضر، فالواحد وحتى الاثنين لا راحة له أو لهما إلا أن يدخلوا بالمجموعة.. قاطعتها رغد بجدية، وهي تنظر لبيان: يا دكتورة بيان العلم، الإنجليزية تبتلع الاثنين في الجمع، بينما العربية لغة البيان والدقة تصنف الكل حسب حجمهم الحقيقي، وإبراز العقل والمنطق في كل شيء. ردت بيان مبتسمة: يا رغودتي، عند غيرنا نحن العرب، أقصد الإنجليز، لا يرون أنفسهم مثلنا، بل يسند ضمير فاعلهم ضمير مفعول، ولا بد من مثال كـ(She doesn't see herself)ن وهذا هو (Reflexive pronouns). ردت رغد: بضمير واسم تستقيم جملتنا فنرى أنفسنا، وهم بضميرين بلا اسم. ونحن نحترم الاسم ونؤكد به، ولا نحترم إلا المؤدب نفسه. ردت بيان بابتسامة، ونظرة ترمق جاكلين: لا يعرف الكثير الإنجليزية، فهي تهمل الاسم لتؤكد باعتمادها على الضمير (Emphatic Pronouns) كـ(I will do the preparation myself). وتبين الملكية بالضمير من دون الاسم (Possessive pronouns) كـ(This is my car. where is yours). ردت رغد: التملك في لغتي، هو عناق لغوي، يحتضن الضمير الاسم، فتلتف يد الاسم حول الضمير، فيصيران كيان واحد.

قطع صوت منى سحر نقاشهما، هي تقول: ألعن الشيطان، واذكرن الله. يا سيبويه وتشومسكي، ألم تشبعا من النقاش واللغتان؟ فخرجت جاكلين وفتون وإسراء ونرجس وبعض المدرسات. ضحكت رغد، وهي تلملم أوراقها الملونة: أنا ذاهبة يا شرطي المدرسة، سأؤدي فرضي في بيتي. ارتفعت ضحكة منى، وهمست: الحمد لله أن شارون المدرسة قد غادرت دون أن تفتعل مشكلة. علقت بيان: فلنتعالَ على صغائرها. ضحكت منى: أي تعال هذا! وأنتما كنتما تقذفانها وفتون بوابل اللغتين كبندقية بفوهتين. مدت رغد يدها على سنسالها، وقالت: صدقت والله هكذا علمني أبي، وما زال عقاله المزروع هنا مرسوم في مخيلتي يؤكد عليّ بالتعالي والتسامح. حزمت بيان حقيبتها، وقالت: رحمة الله عليه. وأردفت: دعينا نسرع يا رغد، زوجي ينتظر رسالة مني تطمئنه على وصولي إلى البيت. قلبي يتقطع عليه ألمًا، وهو يقضي نهاره في المختبر الكيميائي لجامعة دلهي، وليله بين بطون الكتب. يا رب، وفقه؛ ليحصل على شهادة الدكتوراه.

ردت رغد بنبرة هادئة وبلهجة حانية وأخوة مساندة وكلمات تشجيعية: حبيبتي، هونيها وتهون. أنتِ الجندي المجهول خلف شهادته التي تزرعين معه التعب والسهر، وستحصدين معه الثمر بإذن الله. علقت منى بصوت خفيض يقطر رقه بعد أن وضعت يدها على كتفها بحنو: هذه ضريبة النجاح الذي ستفتخرين به، تذكري أن القمم تحتاج تضحيات. وردت رغد بجد وصدق: نحن أختاك وسندك، والمعين الله. فلا تحملي همًا. ردت بيان، وهي تهم بالخروج: شكرًا جزيلًا. رغد حبيبتي، جهزي الضمائر الباقية (الإشارة، الموصولة، الاستفهامية). مع السلامة. صاحت منى: اهتمي بالضمير، اطعميه ودفيه جيدًا.

الفصل الثالث
عمدة النبل وفضلة الزيف

ما إن وطئت قدما بيان عتبة بيتها، حتى أرسلت رسالة خاطفة لزوجها تطمئنه بوصولها وتعبر عن شوقها له. وتوجهت لخشوعها في صلاتها ودعائها مع أبنائها بعد أن خلعت عباءتها الإسلامية كخلعها لعباءتها الأكاديمية؛ لترتدي ثوب ربة البيت ببراعة مايسترو يقود سمفونية المطبخ العراقي الذي يستقبل القادم له برائحته. تحركت بيان في المطبخ بخفة طاهٍ ونظام اكاديمي؛ بذات اليدين اللتين فككتا قواعد اللغة الإنجليزية في الصباح. كانت تقلي اللحم بالزيت في قدر الكبير، ثم مدت يدها نحو الرف الذي يصطف عليه الهيل والزعفران والدارسين ونومي البصرة المجفف والليمون الأخضر والنعناع، تناولت حبات هيل وعود الدارسين وطحنتها بالهاون النحاسي اللامع، ومدت يدها نحو رف التوابل الهندية فتناولت الكاري وورق الغار وقليل من الفلفل المطحون. وضبطت المعادلة بدقة بين درجة حرارة النار والوقت عبر تلك الساعة الجدارية في المطبخ، مهتمة بالمقادير بدقة. وتوجهت نحو تلك العلب الشفافة التي تظهر مخللات الخضروات والفواكه؛ لتضع منها في صحون.

كانت ابنتها إيمان تراقبها بتركيز تلميذ يسعى للتفوق، تساعدها في تزيين المائدة بصحون الخضروات الطازجة والمخللات. ملأت رائحة الأرز ومرق البامية أرجاء البيت. سلمت الطعام إلى سحر النار؛ لينضجه، وخرجت من المطبخ وأغلقت الباب من جهة مدخل البيت، جرت بيدها تنور الخبز من الزاوية المركون بها، وشرعت بالخبز. بينما كانت أبواق الركشة والدراجات النارية تهاجم سمعها، والغربان تنظر لها من الأعلى. وبيان تستمتع بشم رائحة الشجرة المزروعة في حديقة الجيران. بعد أن جهزت الخبز، ونضج الطعام، مسكت المغرفة وسكبت الأرز ومرق البامية في الأطباق، وهي تعيد النظر في كمية الطبخ في الاطباق بحيث يكون متساويًا. جلست وحولها أبناؤها أمام سفرة الطعام الممدودة على الأرض، ترمق بقلبها مقعد زوجها الخالي لانشغاله في مختبر جامعة دلهي. صارع الشوق داخلها رغبة في رؤيته عند المغرب، وقالت في سرها: "ليتك تعي شوقي لك". احست بدنو ابنها عمر الذي مال بجسده نحوها ملاصقًا لها، يترقب أول ملعقة تضعها في فمه كالمعتاد. ابتلعت غصتها مع رشفة ماء. انتبهت له والتفت،

وبابتسامة حانية، جذبته إلى حضنها رغم أنه شب حتى صار طالبًا في الصف الأول المتوسط. وضعت أول ملعقة أرز في فمه، والثانية تناولتها بعد أن كحلت عينيها برؤيتها تناول إيمان ومحمد الطعام.

منحت بيان أبناءها استراحة قصيرة من عناء الدروس في مدرستهم؛ لتعود بعدها وتشرع في مدارستهم حتى مالت الشمس نحو المغيب الذي اعتادوا فيه على صوت ترتيل القرآن الكريم بصوت الحافظ خليل إسماعيل المنبعث من هاتف بيان. انفتح باب بيتهم؛ ليدخل الأب مثقلًا بتباريح التعب. بمجرد إطلالته، يهب الأبناء لاستقباله، انحنى عليهم وتعانقوا متبادلين القبلات، وأخذوا من يديه أكياس الفاكهة وعلب الحلوى، وحافظات الطعام الفارغة التي أعدتها له زوجته صباحًا؛ وانهالت عليه عبارات الشوق: بابا حبيبي.. الله يساعدك، كم اشتقنا إليك. وبينما كان يغسل عنه وعثاء العمل، أودعت بيان سمكتين في جوف التنور المستعر، ثم داعبت أصابعها العجين. كانت إيمان تراقب النار، بعد أن أعدت صحون السلطة والمقبلات. وبعد أن أنهت بيان صلاتها، عادت إلى المطبخ؛ لتطبع أصابعها فوق أقراص الخبز الساخنة. وتوجه الجميع إلى صلاتهم. مد الابن الأكبر محمد السفرة على الأرض. وجلس الأب والأبناء حولها بجلوسهم المتلاصق. كانت لقمات الطعام التي يضعها الأب بيده تتوزع بين أفواه الصغار وفمه. أما عمر فقد يترك حضن أمه؛ ليرتمي بين ذراعي أبيه الذي ترك مختبر عمله وصار في مختبر كيمياء عاطفي. مع غليان الشاي المهيل في الاستكانات الزجاجية اللامعة، بدأ وقت سمرهم؛ حيث يوزع الأب قطع من الحلوى وضحكاته مع الجميع. كانت بيان تجلس بهدوء وابتسامة رقيقة، تنظر لهم. لا تتلاشى ابتسامتها إلا مع رنة هاتف زوجها لتلقيه رسائل. وما إن انصرف الأب؛ ليقلب كتابًا، حتى انشغل الأبناء باللعب، وتوجهت بيان لترتب خارطة محاضراتها ليوم غدٍ، واعدادها للموضوعات التي ستناقشها مع رغد.

اقتحم عمر خلوة أمه يطارده أخوه محمد في سباق صاخب كاد أن تطيح بطبق الكيك. لجأ عمر إلى حما أمه هاربًا، فارتفع صوت بيان بنبرة حازمة أملتها لحظة تعب: محمد، عمر، كفى.. هذا بيت، لا ساحة سباق.. التزما الهدوء وإلا حرمتكما من الحلوى واللعب. غمز محمد أمه محاولًا استمالة قلبها: أمي، لقد سرق قطعتي، يظن أن كل شيء له وحده! ردت بيان، وقد

غلبها انحياز الأم للأصغر: هي قطعة صغيرة يا محمد، أنت الكبير، كن أوسع صدرًا. غدًا سأعوضك. غادر محمد مكفهر الوجه.

بينما كانت بيان تغرق في مطالعة كتاب قواعد اللغة الإنجليزية استعدادًا لمناقشة رغد، انزلقت من بين صفحات الكتاب صورتان باهتتا الألوان إلا أنهما تضجان بالحياة، ووجعهما طازج. صورتان جمعتهما بعائلتها في ذلك الزمن. مررت أناملها المرتجفة فوق الوجوه. فأرجعتاها إلى ماضيها. نظرة في الأولى، وهي ترى خمسة إخوة كانوا أعمدة قوة، وثلاث أخوات كن سحائب تمطر سرورًا. تذكرت بيتهم الواسع، بممراته، والأرائك الخشبية المنقوشة، والتحفيات والأنتيكات التي تملأ البيت، والسجاد المنسوج بيد جداتنا. أطالت النظر إلى صينية لمتهم بالشاي والكعك التي تظهر في الصورة، وصورت أمهما يتردد في مسمعها حول قصة ليلى والذئب، وبصوت أبيها، وهو يرويها لهم حين يجلسون معه في حديقة بيتهم التي يفوح منها عطر الرازقي والجوري.. ثم انصرفت عيناها إلى ما تظهره الصورة من شهادات أبيها المعلقة على الجدار، شهادة الدكتوراه في الرياضيات، وشهادات تقديرية علمية وتربوية. وهي تهمس في سرها: "أعدموك بشبهة سياسية لم ترتقِ ليقين، لم تشفع لك شهاداتك، ولا تاريخك التربوي. وحرموا أمي حتى من تغسيل جسدك، وتشييع نعشك. كانت جنازتك مخنوقة ووداعك مسروقًا. يا أبي، لقد ماتت أمي حسرة وكمدًا عليك بعد أسبوع واحد من إعدامك". قاطعها صياح ولديها، وهما يتشاكسان، وقد دخلا عليها، صاحت بنفاد صبر: تأدبا! كفا عن هذه المشاكسة التي تزعجنا. انسحبا إلى غرفتهما مخلفين وراءها صمتًا ثقيلًا، وبقي عمر في حضنها. فجأة قطعه دخول الأب، وملامحه بدت مثقلة بتعب، وهو يهتف بغلظة: ما هذا الصياح والضجيج يا بيان! ألا يهدأ البيت أبدًا! لم تجبه. اقترب منها، فلاحظ ملامحها قد تيبست فوق الصورة. انطفأت فورة غضبه حين أبصر الصورتين، ورأى انكسار عينيها. سألها بهدوء بنبرة غلب عليها الحذر: أما زلت محتفظة بها! لم تجبه فورًا. تحشرجت الكلمات في حنجرتها، فسكتت.

لحظ زوجها دمعة سقطت من عينها لتمتزج بشعر عمر. طبع ضياء قبلة على رأسها، وقال: كفى يا حبيبتي يا أم محمد! بيان.. ردت بنبرة منكسرة: كيف لي أن أنسى سيارات الأمن تحوم حول بيتنا كغربان مشؤومة مانعة حتى البكاء! هل تعلم أنهم طالبوا أهلي بثمن الرصاصات التي قتلوه بها؟ وأجبروا أمي على مواصلة دوامها الرسمي في وظيفتها بشركة النفط، ودم أبي لم يجف

بعد. حتى جاؤوا بها جثة هامدة. هل تعلم! أهذه حياة أهذه! تعثرت كلمات زوجها، فجذبها إلى صدره، وهو يغالب دمعًا غلب كبرياءه: اهدئي، يا حبيبتي.. حسبنا الله.. قاطعها ضياء بسرعة قائلًا: بيان، أرجوك فقد أخبرتني بكل شيء مرارًا. تصلبت نظراتها، وهي تلتفت إليه، وقالت بصوت متهدج يغالبه البكاء والعتب: دعني أفرغ ما بداخلي وأشكو لك! رد ضياء بحنان: والله أنا أخاف عليك من حزن ذكرياتك. ثم سكتت فجأة، وارتمت في حضنه الذي احتضنها بصمت. في تلك اللحظة، غادر خيالها الغرفة بعيدًا؛ ليعود إلى ذلك اللقاء الذي جمع شتاتهم بعد سنين. كانت تنظر إلى يد زوجها التي تمسك يدها. فتقارنها بأيدي أخويها التي شققتها العتالة، وحفرت فيها السنون أخاديدًا من القهر. بحثت في مخيلتها عن شعرهم الأسود الفاحم ، فلم تجد سوى ثلج الشيب الذي غزا رؤوسهم قبل الأوان.

تذكرت جملة أخيها التي ما زالت تنهش قلبها: "والله قلبي تفطر عليه ألمًا. ولكن والله ما عندي". قالها وهو يبكي عجزًا أمام ابنه الذي كبر، ويريد الزواج من حبيبته، بينما والده لا يملك غرفة في بيته الصغير، ولا مصاريف زواجه. تذكرت ذلك الأخ الذي كان يفضل الذهاب إلى مدرسته مشيًا على أن يطلب المال من أبيها، واليوم يقول بمرارة بعد أن سحقه الفقر وهُدرت كرامته بلا ذلك الخجل "ما عندي". سحب ضياء يده بهدوء ورقة، وتمدد بجانبها وأصابعه تتغلل في شعرها. تاركًا إياها وحيدة تنظر إلى خارطة محاضراتها لغد، تتراقص أمام عينيها الكلمات الإنجليزية، بينما كانت تختنق في صدرها رائحة الرازقي القديم وثمن الرصاصات. تسلل السكون أرجاء البيت. قبلت بيان كل إفراد عائلتها في الصورتين، وارجعتهما في الكتاب، وأغلقت كتابها ببطء. ومسحت دموعها، وهي تردد "حسبنا الله ونعم الوكيل. يا ربي، ارحمهم". ثم نهضت بتثاقل لتتفقد أولادها. وعادت إلى فراشها. دست جسدها دون أن تلتفت لزوجها، واستسلمت لجفنيها. بينما كان النوم يغزو وعيها تراءت لها أيام اعتقال أخيها الأكبر، وهروب اثنين من إخوتها مذعورين، ومضايقة الحزب لهم بحث عنهما، ومعاناة أخويها الآخرين حين فُصلا من دراستهما الجامعية، ولحاق أختها بهما، وطرد الاثنين من وظيفتيهما. ومصادرة بيتهم، وخذلان الأقارب لهم خوفًا من بطش الحكومة، وطرد عمها الأصغر الذي آوانا أيامًا، وطرد عمها الآخر من الحزب لمجرد أنه شقيق معدوم.

استيقظت بيان مع أول خيط من ضوء الصباح شاعرة بثقل في عظامها، لكنها أغمضت عينيها، وهي تقول في سرها: "صحيح أننا دفعنا ثمنًا باهضًا عاطفيًا وإنسانيًا، ولكن لا بد من التفاؤل بالحياة والنظر إلى الجانب الجميل. رغم ضغط الحياة علينا، بقينا محافظين على أخلاقنا. لله الحمد". ازال الماء البارد الذي غسلت به عينيها من بقايا دمع الليلة الماضية. واعدت الفطور لأولادها وزوجها، وجهزت الصفر طاس المملوء بوجبة غدائه المعتاد ليأخذه معه إلى المختبر في جامعة دلهي، وهمست في سرها "ليته يأكله وحده، لا مع زميلة". ثم ارتدت ملابسها، وحملت حقيبتها. وخرجت برفقة أولادها متوجهين إلى المدرسة، وبداخلها صوت يقول: فلنبتسم ونعش، فدقات قلوبنا تتناقص.. لله الأمر.. يعز عليّ أن تُرى بي كآبة.. لك مني أيتها الحياة العنيدة صلابة الصخور وقساوة والنسور، وتحمل الجسور.

ما زال ندى الربيع يداعب أوراق الشجر في فناء المدرسة المستعد لضجيج الطابور بعد أربعين دقيقة، تلك الدقائق التي لا تريد رغد وبيان خسارتها الا بفعل مفيد يبقى أثره؛ لذا يشكل لقاؤهما اشتباكًا معرفيًا، ولم يكن في المدرسة إلا المديرة التي استبدلت رداء السلطة برداء راعية العلم، موظفة نفسها طوعًا؛ لتقدم لهما القهوة خدمة منها للعلم، وتقديرًا منها لعقلين سحقا ظلام الركود. ما إن جلستا في غرفة المدرسات حتى جاءت المديرة حاملة القهوة والحلوى، علقت رغد بابتسامة الأنثى وعبق الصباح: كرم عربي بحرص غربي. الله يرعاك، يا ست منار. وشكرتها بيان، ثم قالت: قهوة لذيذة منعشة تشعرنا بجمال الصباح كوجود ست منار في المدرسة. ردت رغد: يا بيان، القهوة في لغتنا اكتسبت جمالها من التأنيث، فهي موسومة بالتأنيث الذي هو رمز للجمال واستشعار الحياة. أما في الإنجليزية فهذا دورك، ردت بيان: في الإنجليزية (coffee) اسم محايد بلا جنس. علقت المديرة بإعجاب وتودد متسائلة: يا إلهي، حتى في لغتنا نحن نحب، ونؤنث الأشياء، بينما لغتهم باردة كفصل شتائهم. هل أصلح أن أكون معكما؟ عليّ قول النتيجة فقط، لا شرح القاعدة؛ لأنني مدرسة تاريخ لا أعرف قواعد اللغتين. ضحكن والود يملئ الفضاء معطرًا أريج عطرهن، وطاغيًا على رائحة القهوة. بعد رشفة من القهوة، ردت بيان: ولكن هذا الحياد في الجنس يمنح الإنجليزية سهولة ومرونة بعيدًا عن جماليات التذكير والتأنيث ومعانيهما، وتركيزًا على الفعل. نطقت دقة رغد: يعني بساطة على حساب الجماليات والمعاني، إذن العربية أدق عينًا كجهاز كمبيوتر بسيط بمواصفاته كبساطته في خدماته، وجهاز آخر تعالى على بساطة

الموصفات فنتج خدمات أكثر وأدق. بابتسامة رقيقة وصوت دافئ قالت المديرة: كسيارة لادا الروسية التي تقدم الاحتياجات الاساسية فقط، وبي إم دبليو الألمانية التي تتجاوز الاحتياجات الأساسية إلى الجودة العالية، والأداء القوي، والتجربة الفاخرة في القيادة. رغد ضاحكة قائلة: أحسنت الايجاز والتشبيه. والآن، يا ست بيان، الجملة هي كلمات مضمومة لبعضها، مفيدة معنى تام يحسن السكوت عليه، متوالية بترتيب معين. ردت بيان: كذلك الجملة (sentence) في الإنجليزية، هي مجموعة كلمات تؤدي معنى تامًا ومفيدًا، ويجب أن يكون فيها فعل سواء فعل رئيس أو مساعد كـ(.She reads a story)، (.She is a student). قالت المديرة متأملة: نحن النسوة في المدرسة مثل جملة بيان؛ فكل واحدة منا تسند الأخرى، ولولا هذا الإسناد لانفرط الدوام وتهدم التدريس. ردت رغد: ولولا هذا الإسناد في بيتنا لانفرط البيت وتهدمت العائلة. ولولا إسناد القوي للضعيف، والغني للفقير لانفرط المجتمع وتهدمت ملامحه. علقت بيان: الفرد كالكلمة يكتسب قيمته من وظيفته الاجتماعية ومدى مساهمته في إتمام المعنى العام. علقت رغد: جيد جدًا، يا منار الثقافة. وشرط تركيب الجملة إفادة المعنى، وإلا كانت عبثا؛ فلا معنى لقول (أركضْ لا)، ولا (الدرس السيارة يضحك). ردت بيان: كذلك في الإنجليزية فلا معنى لقول (a story do are reads). قال تأمل المديرة بلسانها: يعني حشد كلمات في طول حديث يعطي معنى تامًا لثرثرة المجتمعات وأزمة هويتها؛ لذا يجب أن يفيد معنى ثقافيًا للوصول إلى المتلقي والتأثير فيه. ردت رغد: ولا بد من الترتيب وحفظ رتب الكلمات، فالمبتدأ سابق الخبر، والفعل سابق الفاعل ونائب الفاعل، والفاعل سابق المفعول به. ردت بيان: كذلك في الإنجليزية، المبتدأ يسبق الفعل المساعد الذي يتبعه الخبر كما يسبق الفاعل الفعل الرئيس ويتبعه المفعول به. علقت المديرة: أي كأولوية الدور في المجتمع التي يتصدر فيها من يقوم بالدور الوظيفي الأهم اجتماعيًا أو سياسيًا في لحظة القول؛ لتأدية الوظيفة على أكمل وجه. ناداهن رنين الجرس قاطعًا حبل أفكارهن الجميل، موجهًا لهما دعوة لإشباع شغفهما المتجدد في التدريس. نهضت المديرة بسرعة، وبنبرة مستعجلة: شكرًا لكما. أشعر أني دخلت محاضرة في فن الحياة بعيدة عن الرتابة، لا تتضمنها المناهج بهذه الأربعين دقيقة، وكسبت فائدة لغوية ممزوجة بخبرة مجتمعية عميقة. خرجت وهي تبتسم قائلة: هيا بنا، توكلن على الله؛ لنسند عقول هؤلاء الطلاب قبل أن ينفرط عقد انتباههم مع الجرس. أعاد الجرس هيبة الاصطفاف، فخرجت المدرسات إلى باحة المدرسة حيث ترتفع الأبصار تلقائيًا؛ لتلاحق بإجلال علو العلم العراقي الذي يصافحه هواء

نقي كأنه هو من يحرك ذلك الهواء، أو كأن الهواء يتحرك راقصًا فرحًا به، متربعًا على عرش ساريته. يتوسط ساحة المدرسة كأنه أم حنونة يجتمع حولها أبناؤها ومظلة يحتمون بها، لا يكون إلا مبتدأ واجب التقديم أو أداة لها الصدارة لا يُقدم عليها متقدم، وهي من تحدد ما بعدها. كأنه فاعل الجملة المرفوع يوم الخميس ذروة الحزم على الجميع؛ لتجعله يبدو ساعة سويسرية في محطة الاختبار الأخير لهيبة الأسبوع. بعدها انصرف الجميع إلى القاعات الدراسية.

أبهجت ألوان سجلات الخطة اليومية لرغد وبيان ناظري المديرة كلوحة فنية، حتوت هندسة معمارية بخارطة طريق توصل إلى عقل الطالب، كما هو حال كل خميس. رفعت رأسها لرغد وبيان، وهما تقفان باتزان العارفين، قائلة بنبرة فخر: يفرحني وضع توقيعي وختمي على أوراق سجلاتكما التي هي وثاق عشق مهنة التعليم. كلي فخر بكما. وأود أن أبلغكما سلام أولياء أمور الطلاب وشكرهم لكما على ما تبذلانه مع أبنائهم. لقد أزحتما عني تعب الأسبوع، وبعثتما في الأمل لإنجاح مدرستنا. رن الجرس معلنًا نهاية الفرصة التي وقعت فيها المديرة سجلات رغد وبيان وثلاثة مدرسات أخريات، وبداية المحاضرة الثانية. كما اعتادت المدير، أجرت جولة استراتيجية في الساحة والصفوف؛ تلصص تربوي تمارسه ببراعة من غرفتها، تراقب بيتها المدرسي جاسوسية عبر شباك الإدارة.

لفت انتباها في فرصة الدرس الثاني عمر يندفع نحو وليام الذي سقط أرضًا صارخًا قبل أن يصله عمر. بصوته المعدني الرتيب الذي ينادي إلى الجميع للاستقامة والانتظام، قرع جرس الدرس الثالث متصادمًا مع صرخة مدوية مزقت سكون الأروقة؛ صرخة حادة لم تكن غريبة على أسماع المدرسة كما هو حال جاكلين دائمًا يسقط غضبها رزانتها ويفضح جوهرها. اندفعت كقذيفة طائشة محملة بكلمات لاذعة استهدفت دك حصون بيان ورغد، متهمة إياهما بتحريض ابنيهما على ضرب ابنها وليام. حلق سرب المدرسات والمعاونة نحوها، بينما كان وليام محمولًا بين أيدي زملائه كأنه جنازة مصغرة. توجه الجميع نحو غرفة الإدارة في موكب صاخب، كانت المديرة تراقب ما يجري بهدوء. فامتصت الموقف بحكمتها، باسطة الهدوء في الممرات، ومعيدة عجلة الدروس إلى الدوران قبل غلقها لباب الإدارة.

اكتظت غرفة الإدارة بالجميع، توسطت جاكلين المكان وصراخها يدوي في الآذان. وتحلقت حولها فتون ونرجس وإسراء في استنفار مبالغ فيه. انفجرت جاكلين بالبكاء ملوحة بمناديلها

المعطرة في الهواء: يا مديرة، أهذه مدرسة أم غابة؟ ابني الذي لم يعتد على هذه البيئات الخشنة. فقد تربى في أجواء مختلفة عن ثقافة العنف التي يرضعها هؤلاء المشاغبون. وأردفت بنبرة منكسرة: رغد وبيان تنتقمان مني، تكرهاني تحضري، ونظام حياتي اللندني الضد من نظامهما الفوضوي والتخلف. والمعاونة لا تعرف إلا الانحياز لهما

قاطعتها المديرة بصوت حازم: اهدئي أرجوك، وأنا أعدك.. لكن جاكلين لم تدعها تكمل: لا تخدعيني بسحر أسلوبك، أنا خائفة على ابني منهما، قبل أن يذبحاه! ثم أسكتتها دموعها. فاحتضنتها فتون قائلة بمسمع من المديرة: اهدئي يا ست جاكلين، فست منار هي المديرة العادلة التي ستأخذ حقك من هذين الشقيين، ستأخذ لك حقك من هذين الولدين الشقيين. وأضافت إسراء: دموعك غالية علينا. يا شمعة المدرسة. وتعلق نرجس: الست المديرة ستعاقبهما أشد عقوبة، لا تقلقي. تعود جاكلين لبث شكواها: رغد وبيان تغارن مني، ومن مستواي العلمي والأخلاقي وثقافتي، فينصبن المكائد لي.. أنا خائفة على وليام وروز الغريبين المنكسرين وسط هذا العداء. سارعت فتون بتقديم قدح ماء لجاكلين كأنها تخدم أميرة، قائلة: هل رأيت، يا ست منار، ما تفعله الغيرة؟ إنهما لا تحتملان وجود الجمال البريطاني بيننا. ما هذا الإحراج الذي نحن فيه أمام زوج جاكلين البريطاني! أيدتها نرجس بنظرة تعالٍ: بالتأكيد، هما تريان في جاكلين مرآة تفضح تخلفهما؛ لذا قررتا كسرها. انهت إسراء مسح الغبار عن حقيبة وليام، وقالت: مسكين أيها الطفل، تربية القصور والمدن العالمية لا تحتمل خشونة الشوارع. يجب طرد من تجرأ على لمسه حفظًا لرقي مدرستنا.

ردت المديرة بصوت حازم ونبرة جادة، وهي تلقي نظرة حادة ألجمت الجميع: سنشكل مجلسًا تحقيقيًا اليوم بعد انتهاء الدروس، وسيعاقب المسيء كائنًا من كان. والآن إلى دروسكن، وسأنتظر سجلات الخطة اليومية بعد انتهاء هذا الحصة. ثم التفتت نحو جاكلين قائلة: اتركي وليام معي، أريد أن أسأله بعض الأسئلة من فضلك. ردت جاكلين بعينين لامعتين بالدموع الاستعطاف: لكنه يخاف، ويعاني انكسارًا نفسيًا، وقد لا يفهم كلامك باللغة العربية؛ لذا يجب أن أبقى معه. ردتها المديرة بحسم لا يقبل الجدل: لا تخافي عليه سيكون في أمان معي. وبعد أن غلقت احداهن الباب، ساد صمت قطعه صوت المديرة، وهي توجه لوليام بنبرة هادئة فاحصة: قل لي، يا بني، ما الذي حصل بينك وبين عمر وحسين؟ صمت وليام لثوانٍ، بلع ريقه بصعوبة،

وضم ذراعيه إلى صدره في حركة دفاعية كأنه يحمي نفسه، وعيناه هاربتان، تطاردان زوايا الغرفة أجابها بصوت متهدج ممزوج بشهقات: عومر وهوسين تضربني.. تريد قتلي أنا.. أنتَ يا ست مدير، احميني من عومر وهوسين أوكي ست. أمي يبكي هو يخاف أيزًا من عومر وهوسين ومن أمه رغد وبيان.. أنا تجب تقول بابا مشكلة. قاطعته المديرة بهدوء صبور: أوكي وليام عزيزي، لكن لماذا يريد عمر وحسين ضربك؟ أجابها بارتباك: عومر وهوسين تكرهني أنا.. ضربتني سدنلي (فجأة) لا سبب.. أنا ما يفعل شيء، كونت مع أصدقائي يحكي.. أنا تخاف منهما.

لمعت عيني المديرة، فسألته: وليام، عمر وحسين كانا يأكلان الحلوى، لماذا يتركانها ليضرباك؟ بان الارتباك عليه، وقال بشراسة مفاجئة: أنا تريد طردهم مدرسة.. لا تجي عومر وهوسين. ماما يقول ناس شقاوة! قادها فضولها التربوي لاستدراجه، فسالته: هل طلبت منهما مشاركتك بالحلوى ورفضا؟ أجابها بسرعة بانكسار مرير: نوو، عومر وهوسين تاكل فقط.. أنا ينظر هم.. لا تدعوني.

تأملت المديرة ملامحه الطفولية، ورددت في داخلها بهدوء صامت: يا للمأساة.. وليام يحن للاحتضان ومشاركة زملائه. وهو ليس طفلًا مشاكسًا، بل هو ضحية مشروع صغير لثقافة ترى الآخر عدوًا يجب إقصاؤه. جاكلين تحمي ابنها وتحمله زيف فلسفتها وتعاليها. لقد جعلته يعاني العزلة والغيرة والحسرة على قطعة حلوى يتقاسمها مع زملائه بروح صافية. تذكرت فكرة رغد وبيان في نصيحة ابنيهما بالابتعاد عن وليام وروز. وجملة وليام تتردد في داخلها (هم لا جعلوني جزء منهم).

التقطت عينا جاكلين وليام فور خروجه من غرفة الإدارة، سحبته بعيدًا عن الأنظار خلف الباب. وشرعت تمسح الغبار من ملابسه بيديها المرتجفتين، وهي تستنطقه عما دار بالداخل. نظر وليام إلى عينيها المجهدتين، وسألها بنبرة طفولية مزعت قناعتها: مامي، لماذا تضم رغد وبيان عومر وهوسين ويقبل؟ تصلبت ملامح جاكلين لثوان، وأجابته بصوت حاد: هم متخلفون، يا وليام.. يعيشون على عواطفهم القديمة، أما نحن فنعيش بنظام ورقي. إلا أنها بحركة لا إرادية غلبت فلسفتها، سحبته إلى صدرها بقوة، ضمته وطبعت قبلاتها على خديه وجبينه، وهي تهمس

بصوت مخنوق: لا أريدك وأختك أن تضيعا كما ضعت أنا في ذلك الزقاق.. أعدك سأفعل كل شيء لأبعدكما عن ذلك القاع، حتى لو اضطررتُ لحرق المدرسة بمن فيها.... أعدك. أدارت ظهرها وغادرت المدرسة، تجر حقيبة وليام، وتبعتها ابنتها روز التي كانت واقفة بجانبها، تاركة دوامها الرسمي، وطلابها المنتظرين قدومها. في هذه الأثناء، كانت المديرة تتحرك بحماس كأن في صدرها جيش من خيول جامحة؛ توجهت لصف وليام، واستدعت من شهد الواقعة. وقد صدمتها إجاباتهم الموحدة: نعم، ست، عمر وحسين ضربا وليام حتى أسقطاه أرضًا! أعادتهم إلى صفهم، وهي تكظم غضبها المستعر. ثم استدعت عمر وحسين على انفراد، بدا عمر الكلام باشتراط رجولي أدهشها: "ست، سأقول الحقيقة بشرط ألا تدخلي حسينًا في المشكلة. أنا من هاجم وليام، لأنه ضرب صديقي، لكني والله لم ألمسه. هو سقط من الخوف. ثم فعلت الشيء ذاته مع حسين، فجاء رده مطابقًا في النبل: أرجوك يا ست، وليام ضربني أنا، ولا دخل لعمر. فعاقبيني واتركيه.

قبل أن تظهر قامة المعاونة منى في الباب، سبقها صوتها الجهوري الذي يشبه أداة جزم لكل حركة غير منتظمة. وقفت وضيق ملامحها شكل قناعًا صارمًا على وجهها، وبنبرة حاولت تخفيف حدتها، قالت: مدرساتنا الفاضلات، زميلاتي العزيزات، تفضلن بتقديم سجلاتكن للمديرة. فالخميس يلفظ أنفاسه الأخيرة. بادرت احدى المدرسات بقطع صرامه الموقف، فتقدمت بابتسامتها، حاملة كأس من الشاي، شد الهيل شم منى إليها بقوة: تفضلي، ست منى، شاي مهيل وحلوى منزلية من يد أختك. استسلم عبوس منى لدفء الدعوة منقادة لرنين كلمتي يد أختك. تنهدت بعمق معلنة استجابتها، سحبت كرسيًا، وهي ترسم ابتسامة حانية تحمل رقة الأنوثة: سأخذ كأس الشاي، ولو أن طعامك لذيذ كروحك، لكني أحاول التقليل من السكريات. شكرًا حبيبتي. ثم أردفت بضحكة خافتة، وهي تضع الكأس أمامها: لا تظنوا أن الشاي سينسيني سجلات الخطة، كأس الشاي لا يصلح معي كرشوة.

تقاسمت شفاههن الابتسامة، فاستغلت فتون الفرصة لتسأل بخبث: ست منى، ماذا حصل مع ست جاكلين؟ هل هدأ بالها؟ أجابتها منى وهي ترشف شايها ببرود: جاكلين غادرت المدرسة، وأنت بالتأكيد تعلمين ذلك.. شهقت فتون: مسكينة بالتأكيد غادرت من فرط ألمها على ابنها المسكين. قلوبنا معها. ردت المعاونة بجفاء: سنرى كل شيء في مجلس التحقيق، رغم أنني لا

أعرف كيف سينعقد وهي غائبة؛ لذا أظن أن المديرة ستؤجله إلى الدوم عند حضور جاكلين. في غرفة الإدارة، لحضت المديرة الغضب المكتوم على وجهي رغد وبيان؛ شرر ينذر بشراسة المواجهة بعد أن سمعتا شهادة ابنيهما. لكن المديرة أكدت عليهما بصرامة: "اصبرا حتى أقرر بعد رؤية جاكلين. خرجتا منكسرتين من هدوء المديرة.

تسمرت المعاونة، وهي ترى الحيرة تهيمن على المديرة التي بقيت جالسة على كرسيها بشرود عميق، وعيناها شاخصتان نحو النافذة، وحاجباها منثنيان، يظلان عينيها الغارقتين بالتساؤلات المؤلمة. دنت منى منها ببطء، وبصوت حذر قالت: ست منار، ما الخطب؟ أأنت بخير؟ أخذت نفسًا عميقًا، وقالت بوهن: ما رأيك فيما حصل اليوم؟ سألتها منى: تقصدين سجلات الخطة أو شجار الطلاب؟ أجابتها المديرة منار: سجل خطة جاكلين لم نره منذ شهر؛ غلافه المتعذر يداري فراف أحشائه، ليس إلا ورقة مجعدة كُتبت بإهمال لتبرير الهروب. واليوم هي استغلت الحادثة وهربت من تقديمه. لكن ما يحز في النفس هو مشكلة ابنها مع عمر وحسين. ردت منى: عرفت من بعض الطلاب أن وليام هو من بدأ المشكلة، وأنهما لم يضرباه قط. ردت المديرة: يا منى، أنا أشعر بخيبة أمل تربوية ترتدي ثوبًا حضاريًا منمقًا. جاكلين تذبح البراءة قربانًا لحقدها على رغد وبيان، وكلي أمل بعمر وحسين اللذين انقذا وقار المدرسة. هل تعرفين، يا منى، إني كنت أشاهد كل المسرحية الهزلية من شباك غرفتي. ردت منى بوضوح: إذن عمر وحسين هم الصادقون. جاكلين لن تكف عن ألاعيبها القذرة، ترتدي ثوب المخادع المنكسر، وتظن أن صدق رغد وبيان غباء فطري يمكن التغلب عليه بالصراخ والبكاء.

أطرقت المديرة برأسها قليلًا، وقالت بنبرة غلفتها الحيرة والتأمل: جاكلين وابنها غلاف براق لثقافة السحق التي يراها زوجها. لقد أدركت أن جاكلين لا تكره رغد وبيان لذاتيهما، بل تكره المرآة التي تنصبانها أمامهما دون قصد. تلك المرآة التي تعكس هويتها الممزقة بين شرق تحاول التنصل منه، وغرب لا يتقبلها إلا كتابعة. تنهدت منى، وقالت بمرارة: والمدرسات.. يا لطيبتهن التي تقترب من السذاجة! يذرفن الدموع خلفها، ولا يدركن أنها تتقمص دور الضحية؛ لتنتزع لنفسها شرعية الجلاد.

ارتسمت على وجه المديرة ملامح غضب مكتوم، وأردفت بتحسر: غريب أمرنا نحن العرب تكسر حصوننا دمعة، وتطير بنا النخوة لنجدة الباكي والملهوف في دعوته قبل أن نتبين الخيط

الأبيض من الأسود. وهذا ما فهمه أعداؤنا، فعبروا إلينا منه لتحقيق مآربهم. رفعت منى رأسها بشموخ جرحه الآنين، وقالت: تجبرنا طيبة قلوبنا الموروثة على تصديق الظواهر. أما هم فيجبرهم نهمهم المحموم لمصالحهم. نحن نرى بالبصيرة، وهم يزنون الحياة بموازين نفعية وقلوبهم خواء إلا حين تكون العاطفة صفقة رابحة. فالوالدان عندهم يطردون أبناءهم عند عتبة الثامنة عشر، ثم يستعيضون عنهم بصحبة قط أو كلب. أما نحن، فنبقى نحمل هم أبنائنا حتى يغزو الشيب رؤوسهم، ورؤوسنا. أحيانً أتساءل كيف يبنون ناطحات سحاب ويفقدون بناء جسر عاطفي مع أبنائهم! أومأت المديرة بإعجاب، وقد لمعت عيناها ببريق الفهم: أصبتِ كبد الحقيقة. نحن نسقط في فخ عملتنا المتداولة، الكلمة الطيبة، أما عملتهم، فنتائج حسابات وعقود لا عهود وكلمات. سألتها منى باستغراب: ما الذي تجنيه جاكلين من هجومها على رغد وبيان؟ هما لم تبدرا منهما سوى المودة! أجابتها المدير، وهي تلملم أوراقها: إنه شعور النقص. هما تمثلان النقيض الصارخ لفلسفتها التي تنفر من الثقافة العربية. تقدمت المديرة بخطى ثابتة، وأقفلت باب المدرسة الخارجي. وحين التفتت، واجهها العلم العراقي مرفرفًا في الأعالي. فاستكانت روحها لهيبته. تسمرت عيناها على ألوانه، وخاطبته في سكون سرها: هنيئًا لنا، لقد كسبنا الرهان على الإنسان. نم يا وطني قرير العين؛ فأزقتك تورق بأمثال عمر وحسين، لا يضيرك مكر جاكلين ولا احتيال وليام. عش هكذا في علوك الشامخ؛ فطينة أرضك مهما أجذبت أو قست عليها الظروف، لن تنبت إلا سنابل الشهامة، ومهما انكسرنا في معارك الحياة، أو ادلهم ليلنا بظلام حالك، سنظل نحن الرابحين ما دمنا نحرس جوهر عمر وحسين في نفوسنا. هبطت عيناها من حمرة العَلم المتوهجة إلى خضرته الوارفة، فاستقر اللون في قاع ذاكرتها كمرساة سقطت في محطة قديمة لم تغادرها. رأت نفسها في مرارة الماضي. تلك المعلمة الشابة التي وقفت يومًا بباب مكتب المعاون الذي كانت تزكمه رائحة الطعام الممتزج بالكسل. كانت تحمل سجل خطتها الأخضر، نقيًا وسط فوضى الإهمال التي كانت تضرب أركان المدرسة آنذاك.

تذكرت وجهه المنقبض، وهو يحاول دفع مثابرتها بعيدًا بنظرات فاترة: "المدير غادر لأمر طارئ. أجلي التوقيع للأسبوع القادم". لكن ثباتها في تلك اللحظة أجبره على فتح السجل بامتعاض ساخرًا من خضرة غلافه. رأت انعكاس شاربه الأسود الكثيف يلوح على الغلاف البلاستيكي الشفاف كبقعة داكنة تشوه نقاء اللون، وخصلات شعره المهملة تلطخ ترتيب صفحات سجلها التي سهرت عليها؛ زاد كره المعاون للون الأخضر من عشقها للون الحياة. صار الأخضر هويتها الدائمة في سجلاتها الذي باركه الأستاذ مرتضى بكلمات ثناء ما زالت موشومة على صدور سجلاتها، تقاوم النسيان لسنوات طوال.

أدارت منار وجهها نحو تقاطع الشارع، تمشي بخطوات وئيدة واثقة رغم حفيف سيارات الأجرة التي تنهب الأسفلت حولها. ولم يزل وجه المعاون متسللا إليها من دهاليز ذاكرتها، تلك الذكرى التي حبستها في قنينة سوداء منذ ثلاثين عامًا. تذكرت سعيه الجاد لكسر جناحي مدرسة في أول عهدها التربوي. ثم قالت في سرها جاكلين تهاجم رغد وبيان لأنهما يؤكدان فشلها، والمعاون يهاجمني للسبب ذاته. آه.. كم كرهت أسلوبه، وتوزيع عدالته الفاشلة على الجميع. سيبقى ضياء النجاح يفضح عورات العاجزين الكسالى. شعرت بضيق يغزو في صدرها من سواد تلك الذكرى. فأطلقت زفيرًا حارًا سرعان ما بدد الغمام أمام بريق انتصارها الحالي، وقالت لنفسها: لقد فتح ويليام بمكره قنينة أوجاعي القديمة؛ ليطلق عطر كفاحي في الأفق. سأحمي نفسي من عدوى سلوكه؛ لأرتقي بإرادتي لسلم الإنسانية، بمدرجات الأخلاق، وبمصاف النبل الذي جسده عمر وحسين.

وجدت نفسها أمام سيارة أجرة، اندفعت نحو السائق كأنها تريد الهروب والتخلص مما هي فيه، وقالت: بيا (أخي)، لاجبت نكَر (Lajpat Nagar). رد عليها: يس ماما (نعم، يا سيدة). ركبت سيارة الأجرة متوجهة إلى بيتها، جلست في الكرسي الخلفي من الجانب الأيسر على العكس من كرسي السائق الأيمن. ما إن تحركت السيارة حتى راح السائق يطلق صرخات غاضبة باللغة الهندية وبعض الكلمات الإنجليزية على بعض سائقين السيارة من حوله. لم تفهم كلامه، لكنها ظنت أنه منزعج منهم لأنه يراهم في نظره لا يجيدون السياقة. أخذها وجهه بسكوته المنزعج وملاحمه الحادة، وصياحه الغاضب إلى وجه المعاون حين يرى التزامها وجديتها في العمل، ثم ارجعتها ابتسامة السائق حين رأى صديقًا له؛ لتذكرها بابتسامة المعاون فور رؤيته لبعض المدرسين والمدرسات من المهملين. واوصلتها فرحة السائق بأخذه أجرته منها بفرحة المعاون بإهمالها غير المتعمد في عملها وبإظهاره خطأ لها من وجهة نظره. وبعد أن عد الأجرة حتى انفجرت عيناه غضبًا، بنبرة هجومية، فهمت منها أنه يريد زيادة على الأجرة التي اعتادت أن تعطيها يوميًا. رمت عليه بعض الروبيات، ونزلت، وهي تتذكر استغلال المعاون وانتهازيته وتلاعبه بالقانون حسب هواه.

بخطوات مثقلة من يوم مزعج، نزلت من السيارة تاركة وراءها ضجيج السائق واحتجاجه المفتعل الذي يطن في أذنيها كصدى صوت المعاون، مشعرها بظلام تلك القنينة الخانقة

لأنفاسها. دخلت بيتها عاجزة عن طرد الغضب عن وجهها الذي انعكس قساوة على زوجها وأولادها. دخلت غرفتها لتغير ملابسها، مزقت خيط أزرارين من قميصها، ورمت ملابسها الرسمية على الكرسي بإهمال غير معهود لفت نظر زوجها الذي باردها بسؤال معتاد عن يومها في محاولة منه لكسر فيض غضبها. فجاءه ردها المقتضب الحاد. ازدادت حدتها التي أثارها زوجها بهدوئه وسكونه المذكرة لها ببرود المعاون أمام التزامها واستقامتها في عملها، فاعتلت كلامها نبرة دفاعية. دخلت المطبخ، وأخذت تقطع الخضروات بضربات سكين سريعة وقوة. صوت اصطدام السكين والأواني ببعضها. وحين وقع نظرها على أولادها وهم يلعبون، صرخت طالبة انتظامهم وكفهم عن الإهمال واللعب. أدرك زوجها أن ثمة خطب. فاقترب منها ونجح في تهدئتها وارجاعها إلى صوابها. وبعد دقائق، جلسوا على مائدة الطعام، فانتبهت إلى ملوحة الطعام وحدة التوابل. ضحك الزوج من تعبير ملامح وجهها المقاوم للملوحة والحدة؛ فتجيبه بضحكتها، وتطعمهم باعتذارها وتقبيلها أولادها.

نجت جودة الشاي من غضبها كأن غضبها انصب على الهيل؛ ليعطر فضاءاتهم. توجه إليها زوجها قاصًا عليها ضغوط عمله المرهقة، فتكلم حلمها قاصًا عليه يومها؛ ليعلق زوجها: جاكلين هجومية كأنها تريد سحقهما. وإيثار عمر وحسين قصيدة تتردد أصداؤها في نفوسنا قبل أروقة المدرسة. طغى شعورها بالظفر، وتدفق الضوء إلى عروقها كفلاح رأى زهرة نادرة متفتحة في بستانه، أو نحات وقف مفتخرًا أمام تمثاله الأتم حين أخذ فكرها إلى عمر وحسين. ارتسمت على ثغرها ابتسامة، بانت لمعة عينيها ببريق الزهو، رفعت رأسها قائلة: أنا أفتخر بأستاذينا اللذين نلقنهم الدروس، بعمر لهيبة الحق فيه التي لا تُجامل، وبحسين كرم التضحية لا تُساوم.

فيض الحكمة جعل عينيه مغرورقين، بصوت يرتجف إجلالًا قائلًا: برجولة ونبل، كل منهما يجد نفسه مسؤولًا عن المشكلة ويحمي الآخر، كل منهما عرف قدر اسمه، فسعى أن يكون له من مسماه نصيب من عدل فاروقي، ومن إباء وفداء حسيني. أجابته: كأن كلماتك إيجاز للتاريخ، يا حبيبي. أجابها بنبرة عميقة يسكنها يقين ثابت: تمتلك الحقيقة رغم صمتها رنينًا يهز الأرواح. لقد حمى عمر وحسين هيبة التاريخ، وأثبتا أن الرجولة العربية ما تزال متوارثة، والوحدة الإسلامية ما تزال عصية على من يريد شقها. ثم التفت إليها بجدية تامة وبحدية واضحة: لي إليك طلب، يا زوجتي الحبيبة. ردت متفاجئة بجدية وحب: تامر.. قله، فهو مجاب بلا تردد. فقال: أرجوك أن تجعلي ذاكرتك تعج بمديرك أستاذ مرتضى عبد الجليل الشمري، وتمحو ضلال سواد المعاون. قامت همتها بها معتذرة له عن إهمال وضع ملابسها؛ لتضعها على خطوط دائرة الانضباط. بدأت بالترتيب، فسرحت في ذكريات فضاءات عطرة، وبمخيلة نُقشت بها صورة

مديرها الشمري الجسدية قبل أعماله الإدارية في ذلك الماضي الذي كان أول سنوات تعيينها. فعرضت ذاكرتها عليها شاشة مرئية فيها: يغزو البياض رأسه مشكلاً إكليل وقار كمقاتلٍ خاض معارك الحكمة، يمتزج فيه فجر الشيب بسواد الشباب. لم تكن قامته المتوسطة إلا ميزانًا؛ فرأسه يتطلع لمعالي الأمور بشموخ نخلة عراقية تمتص الغضب دون انحناء، وقدمان متشبثتان بجذور الأرض. عيناه حارستان لليقين، تسكنهما صرامة المدير وحنان الأب، يظلهما حاجبان كثيفان كسياج هيبة لا تكسره إلا ابتسامةٌ دافئة، تمنح المخطئ 'صك غفران' وتعبر باليائس جسر الأمان. يمشي بوثوقٍ يصنع للأرض هيبةً، بملامح محفورة كأخاديد سومرية، وجبهةٍ رحبة تحصر كبائر المشكلات في حيز الحل الصغير. منكباه عريضان يحملان همّ المدرسة والوطن، ويداه أخشنهما غبار الطبشور، لكن أنعمتهما لمسات الحنان على رؤوس اليتامى. ملابسه البسيطة تستمد أناقتها من ترتيب روحه، كجدول حصصٍ لا يقبل الخلل. أغمضت عينيها وهي ترتب ملابسها، وكأن يد أستاذ مرتضى هي التي ترتب الآن فوضى الأفكار في رأسها، لتستعد ليوم الأحد القادم.. يوم المواجهة الكبرى في مجلس التحقيق.

بعد أن دخلوا بيتهم، كالمعتاد افترقوا كل منهم إلى غرفته، ذهبت جاكلين إلى فراشها، وهي تنتظر انتهاء وقت الدوام كي تتصل بها صديقاتها، فرددت في نفسها: سأنتصر منتقمة من اللعينات رغد وبيان ومنى ومنار بحقد عربي وتخطيط بريطاني. سأعوضك يا نفسي، عما حرمكِ منه سعيد وإن ماتت سعاد في داخلك، وولد التحدي والصمود والقوة جاكلين التي لا تنكسر ولا تلين.

بينما رمت روز حقيبتها، وقد بان منها كتاب قواعد اللغة العربية للصف الثاني المتوسط الذي مُزق غلافه. وشرعت بنزع ملابسها البريطانية الصنع؛ لترتدي ملابسها المخصصة للبيت. أما وليام فدخل غرفته، والقى بنفسه على فراشه دون أن يخلع حتى حذاءه. رن هاتف جاكلين قبل الساعة الواحدة ظهرًا، قاطعًا خلوتها، وهي ما زلت بملابسها الرسمية. نظرت لشاشة هاتفها، وجدت اسم فتون، أسرعت في إجابة الاتصال، وهي تنهض من فراشها: هلو فتون.. ردت فتون: هلو ست جاكلين البطلة وإن كنتُ أنا وباقي المدرسات حزينات لأجلك، ومنزعجات من شلة رغد وبيان. سألتها جاكلين، وهي تمشي ذهابًا وإيابًا من غرفتها إلى المطبخ مرورًا بغرفة الطعام ذات الجدران الزمردية: ماذا حصل بعد مغادرتي المدرسة؟ أجابتها فتون بسرعة بنبرة استغراب: ماذا أقول لك يا ست جاكلين، لا أريد أن أزعجك أكثر.. ولكن قلبونا تتقطع ألمًا عليك وعلى وليام

المسكين من هؤلاء اللعينات. انتبهت جاكلين إلى اتصال نرجس أثناء مكالمتها مع فتون، ثم اتصال نرجس. فعاودت الاتصال بهن واحدة بعد الأخرى. وجدت نفسها أمام باب المطبخ عندما انهت الاتصال الأخير. دخلته، وجلست قليلًا على الكرسي أمام مائدة البلوط اللامع العاكسة لضوء الثريا الخافت مفروشًا عليها مفرشًا كتانيًا بألوان هادئة.

شعرت بدوار، فتركت الكرسي وجلست على الأرض مستندة على الجدار، أحست باحتياجها لتكيدة تقيها صلابة الجدار. تذكرت تلك الوسائد في بيت أبيها التي كانت احداهن تحتضن رأسه حين يعود بعد عودة أمها ليلًا من العمل. كانت وسادة محشوة بالقطن، قد تغير لون قماشها وهزل. على فراشه البسيط القديم الشتوي الصيفي باهت اللون لقدمه كبقية مفارشهم على سطح خشن متشقق بفرط التعب لغرفة خربة بابها خشبي عتيق يروي كفاح سنين عجاف من بيت صغير شققت السنين جدرانه أمام سياجه الخارجي نخلة يتيمة كريمة بحلاوة تمرها الذي يعرّفها بالفاكهة، ويداوي مرارة عيشهم، في زقاق مدينة منسي، تكثر فيها النفايات والحيوانات كالأغنام والجرذ. سقطت منها دمعة مكتومة. ثم اتسعت عيناها، وهي تتذكر زميلاتها في الثانوية اللاتي كن يعيرنها بفقر أهلها، ويسخرن من أبيها. دخلت روز المطبخ، رمقت أمها بنظرة خاطفة. وتوجهت نحو ذلك المكان الذي اعتادوا على وضع الكيك الجاهز والبسكويت والشبس والحلويات، أخذت منه ما تريد، ثم تناولت علبة عصير برتقال جاهزة. ورجعت إلى غرفتها. وبعد قليل جاء وليام وأخذ من الحلويات والعصير ورجع إلى غرفته. كانت جاكلين تنظر لهما. وتهمس لنفسها: أين انتن يا أخواتي! تعالن لي وواسينني. لن أهرب منكن هذه المرة، بل سأقسم تلك الحلوى التي يجلبها لي أبي على حصة لي وثلاث حصص لكل منكن واحدة.

أحست بخدر في رجلها اليسرى، مدت يدها لتحرك رجلها برقة، وبعد دقائق نهضت. وتوجهت نحو ذلك الرف الممتلئ بالحلويات الجاهزة وأكياس الأندومي والمعلبات. أخذت كيسي أندومي، لكنها لم تجد قدرًا لتغليه به. ففتحت ماء مغسلة المطبخ؛ لتغسل القدور والأواني التي تصدر رائحة طعام متعفن أغلق مجرى ماء المغسلة. نظفته، فتصرف الماء، وغسلت القدور والأواني، وهي تحاول غلق أنفها من تلك الرائحة التي جعلتها تترك الطبخ. فغلت الشاي بالغلاية الكهربائية التي تغير لونها بلون الغبار. وسكبت قليلًا من الماء الساخن فوق السكر في كأس شفاف

تلتصق به بقع القهوة والشاي، ثم حركت الكأس لإذابة السكر كي لا تحضر ملعقة. وتناولت قطعة كيك جاهزة؛ لتعوضها عن وجبة الغداء.

بعد أن نامت في فراشها، استيقظت؛ لتجهز وجبة العشاء استعدادًا لقدوم زوجها جيمس المنهمك في عمله منذ أول الصباح حتى أول الليل. وما إن دخل البيت، ووضع حقيبته، واستحم وغير ملابسه حتى جهزت مائدة العشاء. رتبت الأطباق على المائدة بمسافات مقاسة، والملاعق مصفوفة بجمودٍ عسكري. جلس جيمس في رأس المائدة بتصلبٍ إنجليزي موروث، يقابله صمود جاكلين التي بدت كتمثالٍ من الشمع، ظهرها مستقيمٌ لدرجة الألم. ملئت كأس زوجها بالخمرة، وكأسها بعصير البيمز وكأسي روز ووليام اللذين يجلسان على الجوانب مع قرب روز من أبيها كعادتهم جميعًا في الجلوس. رفعت جاكلين السكين، وهي تجلس في الطرف المقابل لزوجها بيدٍ ثابتة ببرود، تحركها بشكل عمودي نحو فمها دون أن تحني رأسها قيد أنملة. كانوا يأكلون الطعام، والمرافق مباعدة بمسافات محسوبة، والصدور مشدودة كأوتارٍ توشك على الانقطاع. أخذ جيمس قطعة سمك وبطاطا مقلية وملء طبقه كما فعل جميع الأفراد، وبدأوا يتناولون الطعام، والسكين في اليد اليمنى، والشوكة في اليسرى. فرض الصمت سطوته التي تقطعها رنة شوكة على صحون الخزف الرقيقة، والموسيقى البريطانية تراقص أسماعهم. بلهجة آمرة، قال جيمس: "Pass me the salt" أي: مرري لي الملح؟ وحين سكنت نبرة صوته الحاد، خفضت عينيها في حياء عتيق، وارتسمت على ثغرها ابتسامة خجولة، وعزفت حنجرتها:

Certainly, my dear. Is there anything else I can do to make your meal perfect?

(بكل سرور يا حبيبي. هل هناك شيءٌ آخر أصنعه لتكتمل لذّة مائدتك؟) ثم أكمل طعامه حتى أخذ منديله من على فخذيه، ووضعه إلى يسار الطبق بشكل غير مطوٍ تمامًا ودن إلقائه بإهمال؛ ليعلن الانتهاء مثلما فعل بعده الجميع.

بعد أن انتهوا من الطعام، وعلى الفور، انشغل جيمس بهاتفه يغرق في عالمه الرقمي ببرود إنجليزي موروث معتاد، أرادت كسر حاجز الصمت، فكلمت جيمس إلا أنه متن الجدار بإجابته الباردة المقتضبة دون أن يرفع رأسه من هاتفه وينظر لها، رمقت قنينة الخمرة أمامه، ثم لمحت

طرف حقيبته التي أعتاد على إخفائها منها، وهي تتذكر كلامه حين رأت الأموال (الدولار الأمريكي) فيها "هذه أموال الشركة، فلا تفكري بها، وأحاديثه الغاضبة عن أبيه الذي لم يسال عنه يومًا، وتخلي أمه عنه وانشغالها بعملها وأصدقائها على حسابه، وهو طفل، وخذلان حبيبته له حين أحبها رجل غني، وطلاق زوجته له حين مرض". ثم التفت إلى انصراف روز ووليام إلى ألعابهما القافزة بصخب الطفولة في زاوية الغرفة بترقب صامت من جاكلين لهما.

أبحرت بها وحدتها إلى عالم ذكريات طفولتها لترجع إلى أعوام مضت وانقضت حيث تحسرها على لعبة واحدة لا ألعاب متعددة متنوعة، وقطعة حلوى لا تستقطع منها أخواتها الثلاث واثنان من أخوتها الأربعة التي تجلبها لها أسبوعيًا أو بين أسبوع وآخر أمها التي لا ترتوي من حنانها إلا في الليل بعد أن تعود من عملها كعاملة خدمة في مدرسة، ويداهما الكادحتان الخشنتان تزداد عليهما كدحًا وخشونة يدا أبيها المتشققتين. وتنهدت، وكلمت نفسها في سرها:

لقد كنتُ سعيدة بأمي الصابرة وأبي الكادح وأخوتي السبعة، فرحتي لا توصف بعودة أمي وأبي وجمعة أخوتي، لكن عدواتي كن يعيرنني بأبي وأمي وببيتنا وفقرنا؛ فخطفن مني فرحتي وسعادتي حتى أُلقيتُ في بئر سعيد الذي لا يعرف إلا سعادة نفسه على حسابي وحساب ألمي.. آه.. كم تحملت منه ضربًا وشتمًا وسخرية. أيها اللعين، أنت الفقير البخيل الأمي وليس أبي الذي تفانى بالكسب الحلال وعزة النفسي والتمسك بالقيم العربية والتعاليم الدينية. أبي الفقير الأمي متعفف متسامح أكثر غنى بإيمانه منك أيها الغني بجيبه. ثم أدارت وجهها نحو جيمس وغرقه في هاتفه، فأخذتها الأمواج الهائجة في عاصفة هوجاء على مركب ذكرياتها الضائع؛ لترميها على صحراء سعيد المهجورة القاحلة الذي كان يغرق في هاتفه في لياله الحمراء مع العاهرات أمامها كاتمًا أنفاسها بضربات كفه الملاكمة؛ ليجعل دم صمتها يسيل كاسرًا بذلك حبها له وغيرتها عليه، حتى صارت موسيقى غزله لهن ورجولته وكرمه معهن صوت رعدًا تتمنى صاعقته أن تصيبها. ثم تلمست أثر كسر ذراعها، وقالت: آه، يا سعيد، كم تمنيت أن أقطعك جسدك بسكين وأنت حي تتألم بقدر ألمي النفسي من إلقاءك إياي تحت جناح جيمس، واستبدال سعاد بجاكلين، أنت السبب. وآه، منك يا منار ومن مجلسك ليوم الأحد. فافترشت وجعها، والتحفت بدموعها كأنها مضروبة على رأسها ضربة كما كان سعيد يضربها أفقدتها وعيها وأحالتها إلى نوم كابوسي، وهي جالسة على كرسيها.

استيقظت بيان أول الصباح، لكنها بقيت في فراشها حتى يستيقظ زوجها ضياء في صباح يوم الجمعة. لم توقظه، تركته نائمًا. كانت تحاول منحته وقتٍ كافٍ من النوم والاستراحة، وتنهض بنشاط بنهوضه كعادتها منذ أن تزوجا. وحين نهض من فراشه أعدت له فطوره الذي يحبه في يوم عطلته خبز الأرز والبيض المقلي وكأس الحليب بالزعفران والعسل، وبعد ذلك الشاي المهيل المغلي على نار هادئة. قرأت بيان في ملامحه–كما اعتادت–أمرًا يثقل كاهله، فبادرته؛ لتكسر حاجز حيرته، اقتربت منه بلهفة صديق وسكينة زوجة، وصوت يملأه الحنو والود والحب والتفاني: نور عيني، وأبو أولادي، ما يعكر صفو صباحك؟ نظر إليها وقد غلبته رقتها وتفانيها اللذان لا ينضبان: لا شيء، يا أمل حياتي.

- بالله عليك، قل ولا تخفي عني.
- آه، يا ضياء روحي، ماذا أقول، وكيف أخفي، وأنت حبيبتي!
- ما دمتُ أنا ضياء روحكَ، فلا مهرب لك. قل إذن.
- صدقتِ. ولكني متردد أخجل من أن أطلب منكِ، وأنت لا تنامين إلا لتستيقظي على خدمة أحلامي. أعرف مدى تعبك وأريد راحتك ولكن...
- لكن ماذا؟ وهل اشتكيت لك تعبي! فقل، يا عمري، ساعدني في كشف ما يسعدك كي أعمله.
- الأمر لله. زميلتي سارا أثنت على طبخ العراقيات وكرمهن، وإصالة طعامهن، فشعرتُ أنها تطلب مني طعامًا عراقيًا.
- ابشر، هذا فقط! الحمد لله الذي منحنا شعورًا نتحسس به الآخرين، ومنحنا قدرة على إسعادهم. أحسنت، يا روحي. ولا تنسَ أن ضيف زوجي، لهو ضيف روحي. اتصل بها فورًا، ها أنا ذا متوجهة إلى المطبخ من عيوني.

لم يقل ضياء شيئًا، لكن عينيها قرأت في ملامحه حين أثنى على زميلته طيفًا غريبًا وخز قلبها بآلة سوء الظن القاتلة الذي تخافه دومًا إلا أنها كظمته بصعوبة، لم تندفع لمهاجمته كما كانت حين تتعثر حصونها أمام غيرة الأنثى. لجمت هواجسها بكياسة مصطنعة؛ لترى بأم عينها ما يطفئ نيران فضولها الذي لا يكاد يهدأ حتى وهي تروضه لساعات قليلة. ثم نادته وهي تنسحب نحو المطبخ بصوت رخيم يخفي خلفه نظراتها المتوقدة: اليوم مبارك، فادعُ من تحب من

معارفك إلى سفرة نعم الله، ولك كل الأجر. كانت ترعد في سرها، وتتوعده كأنها تنصب له كمينًا: والله لأنتقمن منك شر انتقامٍ لو بدر منك ما يؤكد لي خيانتك. لن أغفر لك خيانة جديدة تضيفها إلى آلامي القديمة التي ما زال قلبي يئن منك ومنها. تحملت غضبك وهجوميتك ولكن نفد صبري. ستكون هذه خاتمة صبري، يا من كدرت صفو حياتي، ولم تقدر تعبي معك.

بتسلل هادئ، بدأت شمس يوم الجمعة التي لم تكن شمس البهجة المتدفقة بالنشاط والحيوية المعتادة، ولا شمس راحة يوم العطلة التي هي موعد بقائه زوجها معها وتجمع العائلة. بل كانت شمسًا ايقاظ الغيرة الأنثوية المستعرة، والخوف الجاثم من شبح معتاد ينسج خيوطها زوجها مع زميلته؛ كيقظة الحواس عند الخطر، فارضة سكونًا تامًا على جسدها لفسح مجال لضجيج الأفكار. وعيناها المغطيتان بستار هدبيين كثيفين، كأنه يحجب ضوء اتزانها وحرصها ويفتح نوافذ روحها؛ لترى جحيم حياتها مع زوجها، كانتا تجريان جردًا حسابيًا دقيقًا مبنيًا على معطيات شاهدتها وخلفات عاشتها سابقًا، فراحت تتأمل كل تفصيلة مريبة بدءً من تلعثمه في نطق اسمها، وانتهاءً في هدوئه غير المعتادة وتجنبه الإلحاح بالمناقشة الزوجية بعد مغادرة زميلته، وكثرة تودده لها وهروبه المتكرر لملاعبة الأولاد كدرع يحتمي به من كلامها ونظراتها له. لم تكن بيان تعرب الكلمات وتحلل الجملة، بل كانت تعرب خلجات قلبه وتحلل حركاتهما. تناقش نفسها، قائلة: لقد قدمها لي بصفة زميلتي في الدراسة، لكن نظراتها تتعدى الإطار الوظيفي، فهي تجوب تفاصيل بيتي، وتفحص ملامحي كأنها تقارن بيني وبينها، وتستقر عليه بملكية مستفزة. تمامًا كما فعل حين قدم لي ست مريم التي التقينا بها في المطعم بالبصرة. قال يومها إنها زميلته، ثم تبين أنها حبيبته. نعم، عاد إلي مرة أخرى قناع الزمالة. ثم أن سارا تحدثت عنه بإعجاب قائلة لي: إنه الركيزة الأساس في المختبر، بذكائه نصل للنتائج بدقة. وحين أجبتها ببرود لها: جيد. سارع هو بارتباك وتلعثم: هذا بفضل زوجتي بيان. حتى مدحها للطعام ملغوم: طبخك جيد وطعامك لذيذ، فعلًا كما قال زوجك أنت عمود المطبخ. ليسرع هو: بل عمود البيت. لقد رميتُها بكلمات لعلها تفهمها تلك الأفعى الناعمة: الكرم في أصلنا حتى مع أعدائنا، والحاسة السادسة في عقولنا لا تنام. أخبرتُها أنني باحثة لغوية، أفتش عن تفاعلات الكلمات المخفية في الجمل، وتحدث خلف السطح، تمامًا كما تفعل هي في مختبرها. ولكنه بدلًا من أن يغضب كعادته حين أناقشه أو أهاجمه ضحك وقال: ما أجمل تعليقاتك! بلا شك أن ضحكاته لإخفاء جريمته، وعدم غضبه هو الإدانة الكبرى. هو خانني معها، نعم، إنه خائن. ولكن ما الحل؟

عجز الستار الهدبي اخفاء غضبها وحيرتها، نظرت إليه بملامحها المستسلمة وهو نائم في فراشة بجانبها، ومرارة التأمل والتساؤل تخنق أنفاسها، فانهمرت الاسئلة كحمم في عقلها: ماذا

سيقال عني؟ وعن أبنائي؟ هذه المرة لو عرفت عائلتي وعائلة زوجي وزميلاتي في المدرسة، أن سارا أفضل مني، أو أن في نقص؟ ماذا سيقولون عن المرأة التي تضبط إيقاع الأجيال في صفوفها، وتفلسف النحو والمنطق مع رغد، وربة بيت لا يُشق لها غبار، قد اخفقت في ضبط إيقاع زوجها؟ أو لم تحافظ على ممتلكاتها واستقرار بيتها العائلي؟ ثم ماذا عن أبنائي؟ هل سيقتدون بأبيهم الخائن؟ وماذا عن جاكلين وشماتتها وسارا؟ أكيد سيقال إن سارا هزمت بيان وأخذت منها زوجها. لا، لا لن أكون أنا وأولادي خبرًا يتداوله الناس، لن أمنح فرصة شماتة لكل من يكرهني.

ملامح بيان الغاضبة تطارد استقرار زوجها الذي استيقظت روحه واسكنه خوف انفجارها، فهي أخذت منه عهدًا أمام عائلته بترك خيانته لها حين كانوا في العراق، فردد في نفسه: لقد أخطأت حين قدمتها لبيان، ظننتُ أنها لن تشعر بشيء. كلاهما خدعتني؛ فسارا قد احرجتني بضحكاتها الساخرة مدعية أني أخاف زوجتي التي لا تثق بي، وبيان التي أغدقت علي كل الحب والاهتمام مع ثقتها بي. ولكن لو لم أعرفهما ببعضيهما، لربما التقينا نحن الثلاثة ببعض وحصلت كارثة، فقد تراني سارا مع بيان لاندفعت نحوي بغيرة الأنثى وفضحتني، ولو رأتني بيان مع سارا لكان القدر المحتوم. يا ربي، ما هذه الورطة التي نصبت بيان قاضية لغوية لكلامي وسارا، ومحلل نفسية لحركاتي وسارا! لم أكن أعرف أنها بهذا المستوى من الذكاء في الالتقاط لأدق التفاصيل وتحليلها. خلصني، يا رب، من هذا الحصار.

محنت عطلة رسمية مرتقبة رغد وبيان مكافاة ثمينة تتجسد في لقائهما في غرفة مكتبة بيت رغد الذي صار بتعليمها لأولاها وبحثها في الكتب صومعة علمية؛ لتحيلها من ممارسة هواية التدريس وإداء رسالة العلم إلى امتداد شغف لا يهدأ في الغوص ببطون مجلدات رغد العربية التي تملأ طاولة مكتبتها المغطى سطحها بمفرش مطرز يدويًا، تعاضدها بيان عبر شاشة حاسوبها الممتلئة بملفات على سطحها في ملاحقتها لمصطلحات قواعد اللغة الإنجليزية، كأن تلك الغرفة مختبر تشتعل فيه أفكارهما؛ لتعيدان صياغة عالم بنتائج تتوصلان إليها، وتتفجران حيوية معهودة وجدية مخلصة وسرعة بديهة منذ الساعة الثامنة صباحًا، تركيزهما يشبه تركيز الصوفية في أورادهم، تعطر أنفيهما رائحة البخور والكتب القديمة التي تضمها مكتبة خشبية خالقة مكانًا يوحي بطبيعة صاحبته.

بعد أن قدمت رغد وجبة فطور متنوعة وألعاب مسلية لأولادها الستة، وأولاد بيان الثلاث، جلستا وجها لوجه اتزان رغد كأنه جزالة الشعر الجاهلي، وحيوية بيان كانسياب الأدب الإنجليزي الحديث مشكلتين صومعة اللغة وعبق القهوة، وتناديهما أوراق العمل وهوامش الأهمية؛ لتسرعا بتشكيل زهو الضاد مع رشاقة الأبجدية اللاتينية. قبل أن تضع رغد ورقة مكتوب شرحها لقواعد اللغة العربية، قالت، وصلنا إلى مكونات الجملة التي تُقسم في اللغة العربية على ركن أساس يُسمى العمدة، وركن ثانوي يُسمى الفضلة. فردت بيان: كذلك في الإنجليزية العمدة (Obligatory)، والفضلة (Optional). علقت رغد: العمدة ككيان الدولة القائم على مؤسساتها السيادية الذي لا يقبل الخلل والحذف كي لا تختل الدولة، بل باستقراره تستقر الدولة ويطمئن الشعب، والفضلة كمكملات الدولة من الخدمات والتحسينات. فأردت رغد بقولها: أما العمدة فهي أركان الجملة التي تتكون منها وبها تقوم، ولا يسوغ حذفها من أجزاء الكلام إلا بدليل. والعمدة هي: المبتدأ، الخبر، الفاعل، نائب الفاعلِ. الفعل الرئيس، الفعل الناقص إلا في الزمن الحاضر لأن العربية يمكن أن تستغني عنه في هذا الزمن. لتجيب بيان: كذلك في الإنجليزية:

subject, predicate, doer, substitute of the doer, main verb, auxiliary verbs

لا تستغني الإنجليزية عن الفعل المساعد في الجملة في كل الأزمنة. أجابتها رغد: والركن الثاني يُسمى الفضلة: هو ما يمكن أن يتألف الكلام من دونه، أي ما يمكن حذفه من الجملة، والكلمات الفضلة، هي: المفعول به، والمفعول المطلق، والمفعول له، والمفعول فيه (ظرفا الزمان والمكان)، والمفعول معه، والحال، والتمييز، والمستثنى، والنداء. وأكملت بيان: كذلك في الإنجليزية (Optional words):

object, cognate object, object of motive or cause, adverb of time, adverb of place, object of accompaniment, adverb of manner, specification, exception, vocative

علقت رغد: المبتدأ كالدستور يتقدم على الخبر الذي هو كالأحداث والقرارات المناقشة للدستور. وصدارة الفعل في العربية كأن العرب يهتمون بإنجاز الحدث لا بمن قام به، أي يقيمون الأفراد حسب عطائهم لا حسب أسمائهم. وفي تقديمهم الفاعل على المفعول كأنهم يحملونه

المسؤولية قبل النتائج فضولًا منهم في معرفة الفاعل وتقديرًا له أو محاسبته، كي يقدمونه الصفوف قبل نتائج فعله خيرًا لهم أو شرًا عليهم. وتعلق بيان: وتقديم الفاعل على الفعل يعكس ثقافة البريطانيين المقدسة للفردية (Individualism) التي يبادر فيها الفرد كصانع قرار مسؤول متحمل تبعات فعله.

ثم تردف رغد: ما يحل محل العمدة هو كالعمدة؛ فمثلًا يمكن حذف الجار والمجرور، مع بقاء الجملة تامة واضحة كـ(نجحَ محمدٌ في الامتحانِ) فتكون (نجحَ محمد). ولكن لا يمكن حذف الجار ومجروره من الجملة (محمدٌ في الامتحانِ). ترد بيان كذلك في الإنجليزية كـ(I saw him in the house) تكون (I saw him)، ولا يمكن حذفهما في (I was in the house). رفعت بيان رأسها، وقالت: كالقائد المنسوب إليه نجاحه دون أهمية التفاصيل المكانية وغيرها، أو أنه إنسان بغض النظر عن التفاصيل الباقية، على العكس من وجود الجار المجرور كعمدة في الجملة كأن ظروف الشخص الفاعل المحيطة هي التي تحدد هويته الشخصية ووجوده، فقيمته هنا مرتبطة بتفاصيله من مناصب وثروات.

تعود رغد وتقول: تميز العربية بين الركن العمدة من الأسماء بعلامة الضمة التي تعني ضم الشفتين ورفعهما، فالرفع دليل الإسناد أو العمدة، فلا يمكن حذف المبتدأ، أو الفاعل، أو نائب الفاعل، وميزت الفضلة (الركن الثانوي) من خلال حركة النصب. فترد بيان: أما الإنجليزية، فتميز الأسماء العمدة من خلال الرتبة أي موقع الاسم في الجملة، فجعلت الفاعل أو المبتدأ في أول الجملة الخبرية، والمفعول بعد الفعل الرئيس. تعلق رغد: علامة الضمة كمعدن الأصيل للإنسان لا يتغير مهما تغير مكانه أو تأخر ترتيبه في الصفوف والأمكنة، تبقى قيمته معه لا تنحل عنه كالقائد يُعرف بلبسه المميز للقيادة لا بتقدمه وجلوسه على كرسيه. على العكس من الإنجليز الذين يركزون على الترتيب الوظيفي المؤسساتي الصارم كأن المكان هو المحدد للرتبة. وبعد هذه المناقشة الكلامية، تعود رغد فتعرض أوراقها المكتوب فيها قواعد اللغة العربية كي تملئ بيان ما يقابلها في الإنجليزية:

المبتدأ والخبر

المبتدأ: هو الاسم المرفوع في أول الجملة الاسمية، ويُسمى مبتدأ لأننا نبدأ به الكلام. ولا بد للمبتدأ من خبر له، فانهما متلازمان. أما المبتدأ Subject في اللغة الإنجليزية فهو "اسم يُبتدأ

به الكلام. ولا بد له من خبر، ورابط يربطهما كالأفعال المساعدة (Auxiliary verbs)، والأفعال الرابطة (Linking verb) كـ(seem)، فالجملة الاسمية في اللغة الإنجليزية لا تخلو من وجود الفعل المساعد في جميع الأزمنة. إذ لا يتم المعنى إلا بكلا الركنين المربوطين بهذا الفعل، مثل: She is a good student. She seems a good student.

أما الخبر، فهو الاسم المرفوع الذي يستفيده السامع ويصير به المبتدأ كلاماً. أما في الانجليزية فالخبر predicate: هو ما يأتي بعد الفعل المساعد ليكمل معه الجملة وليخبرنا عن المبتدأ، ويُربط الخبر بالمبتدأ بفعل مساعد أو رابط.

الأصل في المبتدأ أن يتصدر أول الجملة الاسمية، مثل: زيدٌ أخوك (المبتدأ وخبره معرفتين)، الطالبُ مهذبٌ (المبتدأ معرفة وخبره نكرة)، المحتاجُ عاونه (الخبر طلب)، الذي يأتيني فله درهم (اقتران الخبر بالفاء)، من يقم أقم معه، لزيدٌ قائمٌ (لازم الصدارة)، أما زيدٌ فعالم (المبتدأ بعد أما).

أما في الإنجليزية، فما كان قبل الفعل الرابط فهو مبتدأ، وما كان بعد الفعل الرابط فهو خبر.

ويعتمد تقديم المعرفة وتأخيرها على محور الحديث فمثلاً لو كان الحديث عن الشخص، يقال (Tom is the teacher)، وإذا دار الحديث عن المعلم فيقال:(The teacher is Tom)، ووجوب تقديم مبتدأ في مثل: I`ll be with you when We are all at Sally`s place. وكـ(Who is in my office?)، و(He gave me the book which was torn)، و(I don’t know if **Eris** is at home)، و(Neither the boss nor his secretary is flying to York). ويُقدم الخبر على المبتدأ في اللغة العربية جوازا، أو وجوبا". كما في: متى الامتحان؟ (ألفاظ الصدارة)، ما عادل إلا ربي (حصر الخبر)، عندك ضيفٌ (المبتدأ نكرة والخبر معرفة)، وكقوله تعالى : (أم على قلوب اقفالها)، (في المبتدأ ضمير يعود على الخبر)، أما عندك فالخير (اقتران المبتدأ بفاء الجزاء). كذلك في الانجليزية كما في الجمل الاستفهامية كـ (Where is Mary?)، وحصر الخبر كـ (.No one is my friend except Nada)، أي: (Nada is my friend)، وإذا تصدر الجملة حرف جر (أو ظرف) كـ: (Among the guests were Jalal and his wife.)، وإذا تصدرت الجملة الظرفية (So) متبوعة بصفة أو ظرفية أخرى كـ(So great, so well, so wonderful, so vividly)، والاجابات القصيرة كـ(All the boys are here for the rehearsal.' So are the girls). وفيما عدا هذه

الحالات يجوز تقديم المبتدأ وتأخيره كـ(قائم أبوه زيدٌ)، و(السلامة في التأني. في التأني السلامة). كذلك في الإنجليزية يجوز تقديم المبتدأ وتأخيره كـ(The beautiful girl is you).

فعل الكينونة

في العربية، (كان وأخواتها) هي أفعال ناقصة تدل على الزمن فقط دون الدلالة على الحدث، لأنها لا تكتفي بمرفوعها، وإنما تفتقر إلى المنصوب. وليس لها فاعل ولا مفعول، ولا توصف بالتعدي واللزوم كما هو الحال مع الأفعال الرئيسة. ولا بد من الفعل الناقص إذا كان المبتدأ وخبره في زمن الماضي، مثل: كان محمد ناجحاً، أو في زمن المستقبل، مثل سيكون محمد ناجحا، كذلك في الأمر، مثل: كن مجتهداً. لكنها تُحذف إذا كان المبتدأ والخبر في الزمن الحاضر. كذلك في الإنجليزية الأفعال المساعدة (Auxiliary verbs) والتي هي (am, is, are, was, were)، والأفعال الرابطة (Linking verbs) كـ(become, smell). هي أفعال لا تتضمن حدثًا، وإنما تتضمن زمنا فقط؛ لذلك ليس لها فاعل، ولا توصف بالتعدي واللزوم، وليس لها مفعولا به، والغرض من هذه الأفعال هو ربط الخبر بالمبتدأ. في العربية، يلي الاسم الفعل الناقص ثم يليه الخبر (VSP). أما في الإنجليزية فالاسم (المبتدأ) يسبق الفعل الناقص (SVP)، أما الخبر فيتبع الفعل الناقص. في العربية، يجوز تقديم الخبر على الأفعال الناقصة التي ليس في أوله (ما)، مثل: منطلقاً كان زيدٌ"، ومثل: أين كان زيدٌ؟ كذلك يمكن تقديم الخبر على المبتدأ والفعل المساعد بحسب الأهمية كـ(In the garden he is)، ويُقدم كما في الاستفهام كـ(Is she now a student?).

الفعل الرئيس: هو كلمة تدل على حدث يحدثه الفاعل، وزمن من الأزمنة الثلاثة. كذلك Main Verb في الإنجليزية: هو الحدث نفسه الذي يحدثه الفاعل، مثل: (ask, wake, play). ويوصف الفعل الرئيس بأنه لازم أو متعدٍ؛ فاللازم كـ جاء زيدٌ، و(.He went)، والمتعدي كـ(كتبَ زيدٌ دروسه)، و(She reads it). ويُبنى للمعلوم وللمجهول. والفاعل: هو اسم مسند إليه فعل تام، أو شبه الفعل، وذكرناه بعد فعل. كذلك الفاعل (Doer) في الإنجليزية: هو اسم يسبق فعله الرئيس الذي هو ليس فعل مساعد (Auxiliary verb) ولا رابط (Linking verb).

في العربية، يجب تقديم الفعل على فاعله أو شبه فعله، مثل: قام الزيدان، قام زيدٌ. ولا يجوز تقديمه على رافعه؛ فلا تقول: الزيدان قام، ولا زيد قام. "على أن يكون (زيد) فاعلا مقدماً، بل على أن يكون مبتدأ، "والفعل بعده رافع لضمير مستتر، والتقدير (زيد قام هو). أي أن هيكل الجملة الفعلية في العربية هو (فعل + فاعل + مفعول به أو تكملة). أما في الإنجليزية، فيسبق

الفاعل فعله الرئيس؛ فتركيب الجملة (فاعل + فعل رئيس + مفعول به أو تكملة)، ولا يمكن تقديم الفعل على الفاعل. في العربية، الأصل أن يتقدم الفعل على الفاعل كـ(قدم سعيد)، لكن يمكن أن يُقدم الفاعل على الفعل كـ(سعيد قدم) للتخصيص أو الحصر، وتحقيق الأمر وإزالة الشك كـ(هو يغيثُ الملهوفَ)، أو لتعجيل المسرة أو المساءة كـ(أبوك عاد)، أو لإظهار تعظيمه أو تحقيره كقوله تعالى: (الله يستهزئ بهم)، أو لغرابته كـ(المقعد مشى، الأخرس نطق). أما في الإنجليزية، فالأصل تقديم الفاعل على فعله الرئيس، لكن يمكن التغير، فيُقدم الفعل على فاعله، مثل:

Has **she** a smart hat?

I cannot do all this work today" **said Jalal**.

المفعول به: هو اسم دل على شيء وقع عليه فعل الفاعل كـ(بريتُ القلم). كذلك في الإنجليزية كـ(I read the story). في العربية، يجب تقديم الفاعل على المفعول، إذا خيف التباس أحدهما بالآخر، كما إذا خفي الإعراب فيهما، ولم توجد قرينة تبين الفاعل من المفعول كـ(ضرب موسى عيسى). أما إذا وجدت قرينة تبين الفاعل من المفعول جاز تقديم المفعول وتأخيره، مثل: أكل الكمثرى موسى، ضربتْ موسى سعدى. كذلك يجب تقديم الفاعل وتأخير المفعول إذا كانا ضميرين متصلين مثل: أكرمتك. كذلك في الإنجليزية يجب تقديم الفاعل على الفعل والمفعول به كـ(Ahmed saw Maher)، ولو قُدِمَ الفاعل على المفعول لتغير معنى الجملة وتحول الفاعل إلى مفعول به، والمفعول به فاعل (Maher saw Ahmed). في العربية، الأصل أن يتأخر المفعول به ويتقدم عليه فاعله وفعله. كذلك في الإنجليزية يجب الالتزام بالأصل كما في مثل: Why did you lock the door?، لكن قد يتقدم وجوبًا كما في (أياً تضربْ أضربْ)، (من رأيت؟)، كقوله تعالى: (فأما اليتيم فلا تقهر)، (إياك نعبدُ)، (وإذا ابتلى ابراهيم ربه)، (إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ)، (زيداً فاضرب). كذلك في الإنجليزية يجب تقديم المفعول به في بعض المواضع كما في مثل:

Whom do you know in this group?

What did you see?

What a good time we had!

That Mary sees.

Which book do you like?

I cannot do all this work today" said Jalal.

وفي بعض الحالات يجوز تقديم المفعول به وتأخيره كـ(ضرب زيدٌ عمراً)؛ فتقول: عمراً ضرب زيدٌ. كذلك في الإنجليزية كما في مثل: Best joke I ever heard.

You are very good I think.

I think you are very good.

The window was broken by Charlie.

يُقسم الفعل الرئيس على نوعين؛ فعل لازم، وهو ما يكتفي بفاعله ولا يحتاج إلى مفعول به كـ(جلس محمدٌ). ولا يصل إلى مفعوله إلا بحرف جر كـ(جلس محمدٌ على الكرسي). كذلك في الإنجليزية كـ(We went)، ومع الحرف كـ(We went to Reno on our honeymoon)، فعل متعدٍ، وهو ما لا يكتفي بفاعله، وإنما يحتاج معه إلى مفعول به، ويصل إلى مفعوله دون حرف جر كـ(فهم الطالبُ المسألةَ). كذلك في الإنجليزية كـ(She reads a story). والفعل المتعدي يُقسم على قسمين؛ أولهما فعل متعدٍ لمفعول واحد، وثانيهما فعل متعدٍ لمفعولين كـ(اعطيتُ بكرًا ثوبًا). كذلك في الإنجليزية كـ(I gave Ali my pen). المفعول به الأول هو مفعول غير مباشر، أما الثاني فهو مفعول به مباشر. والأصل فيهما أن يسبق المفعول غير المباشر.

تتميز اللغة العربية الفاعل والمفعول من خلال الحركات الإعرابية، أما الإنجليزية، فتفتقر للحركات الإعرابية، معتمدة في بيان محل إعرابها للاسم على مكانه في الجملة. وهذه الحركات الإعرابية التي تتمتع بها الكلمة العربية تمنح المتكلم سعة في التعبير بذلك يكون المتكلم حرًا في التقديم والتأخير ودقة في التعبير عما يريد المتكلم فمثلا: (كتبَ الكسولُ الدرسَ)، إما إذا غيرنا رتبتيهما المكانيتين في الجملة لتغيرت دلالتهما الدقيقة، أو لجلبا معنى آخر كالتعجب والدهشة والاستغراب مثلا (الكسولُ كتبَ الدرسَ)، أو التوكيد كـ(الدرسَ كتبَ الكسولُ). كذلك الحال مع المفعولين في الجملة التي فعلها متعدٍ لمفعولين التي يمكن صوغها في عدة صور مع بقاء المعنى العام واحداً، وجلب معنى جديد كـ(اعطى محمدٌ خالدًا كتابًا) إذا كان المخاطب خالي الذهن عن الموضوع، فيمكن التغيير كـ(محمدٌ اعطى خالدًا كتابًا) المخاطب لا يعلم المعطي، (خالدًا اعطى محمدٌ كتابًا) المخاطب يجهل هذا الشخص، (كتابًا اعطى محمدٌ خالدًا) المخاطب لا يعلم الشيء الذي أُعطي، (كتابًا خالدًا أعطى محمدٌ) المخاطب لا يعلم الشيء، ولا الشخص، (أعطى خالدًا

كتابًا محمدٌ) قُدِمَ المفعولانِ لأنهما المهمان، (أعطى خالدًا محمدٌ كتابًا)، لأن الكتاب معلوم. وفي كل ذلك معلوم من المعطي ومن الآخذ دون لبس، ولكن المعنى الدقيق مختلف في كل جملة من الجمل التي ذكرناها آنفاً. في حين لا تستطيع اللغات المبنية كاللغة الإنجليزية التعبير عما تعبر عنه اللغات المعربة كالعربية كما مثلنا آنفا، بل أنت مقيد بصورة واحدة ضيقة لا تتعداها؛ فهذه الجملة يقابلها جملة واحدة فقط في الإنجليزية، ولا تُصاغ لها صورة ثانية، إلا بتغير أساس في الجملة، أو بتغيير في المعنى.

نائب الفاعل: هو المسند إليه بعد الفعل المجهول أو شبهه كـ(يُكرم المجتهدُ)، ويدل على من وقع عليه فعل الفاعل المحذوف. ولا يمكن بناء الفعل اللازم ولا الأمر للمجهول. كذلك Substitute of the doer في الإنجليزية كـ(The weather was considered nasty). وللبناء للمجهول يجب حذف فاعل الجملة، وتتغير صيغة الفعل المبني للمعلوم، وذلك بضم أول الفعل الماضي وكسر ما قبل آخره، وبضم أول الفعل المضارع وفتح ما قبل آخره. أما في الإنجليزية فيجب تحويل الفعل إلى تصريفه الثالث، ويجب أن يُربط بنائب الفاعل برابط (فعل مساعد)، كـ(The coffee was poured)، أو بإضافة الفعل (Got) وتحويل فعل الجملة الرئيس إلى التصريف الثالث (اسم مفعول) كـ(Bill got excused).

متنهدة بعمق، وضعت بيان قلمها جانبًا واسندت ظهرها واتكأت ناظرة على أكوام الكتب التي حشرت قصاصات ملحوظات ملونة بين صفحاتها، والأوراق المبعثرة كخارطة معقدة، معلقة بنبرة يملأها اليقين: هل تدرين، لقد كنت أبحث عن إجابة أو إجابات بسيطة، أما الآن فقد وجدتُ طريقًا كاملًا. أشعر الآن كأننا اخرجنا غريقًا من قاع محيط، يا رغد. ردت رغد بود يغمره السرور، وعيناها تراقبان بلهفة وقلق كعيني غريق تتعلقان بمنقذ يلوح له في الأفق، قائلة: المحيط يبتلع أحلام الناس، وأنت من اخرجتني ونفسك إلى النور. والآن، أكملي، يا بيان، فالشوق يخنقني، أكملي.

الفصل الرابع
ائتلاف الحروف واختلاف القلوب

رن عامل المطعم جرس الباب حاملًا وجبة الغداء من مطعم زوج رغد كالمعتاد؛ ليعلن توقف نقاشات رغد وبيان اللغوية، وملء الفراغات التي تقارن بين اللغتين العربية والإنجليزية. جلست رغد وأولادها وبيان وأولادها على الأرض حول السفرة. كانت بيان تسرع في تناولها للطعام، ولا تلتفت لأولادها. نهضت من السفرة بعد خمس دقائق من جلوسها، تاركة الصالة، متوجهة إلى مكتبة رغد. ضحكت رغد، وهي تقول: أكملي يا بيان المقارنة، وأنا سأقضي على قطعة الدجاج، وألحقك إلى المكتبة. أجابها آدم: ماما، ألحقيها، وأنا ابنك البار الذي سيقوم بمهمة القضاء على قطعة الدجاجة بدلًا عنك. رد رغد، وهي تأكل: اشرحْ لي بالتفصيل كيف؟ فضحكوا. جلست بيان وأمام سجل رغد الذي لم تغلقه. تناولت القلم من داخله، وهي تقرأ:

تتألف الجملة من اجتماع الكلمات الآتية مشكلة بذلك صور ائتلاف الكلام:

1- ائتلاف الكلام من اسمين، مثل : زيدٌ مدرسٌ. ولا يمكن أن يكون مثله في الإنجليزية، فلا بد للفعل المساعد أن يتوسط بين هذين الاسمين لربطهما ببعض، كما هو الحال في (Pattern 3) كـ(My brother is a doctor)، أو بشرط وجود الفعل الرابط، كما هو الحال في (Pattern 5) كـ(She became a doctor).
2- ائتلاف الكلام من فعل واسم، مثل: نجح محمدٌ. همست بيان لنفسها: ائتلاف اسم وفعل، هذا في الإنجليزية هو (Pattern 6) كـ(Girls smile). كلاهما يكتفي بالنجاح أو بالضحك؛ ليعلن اكتمال المعنى.
3- ائتلاف الكلام من أداة وجملتين، مثل: إن قام زيدٌ قمت. كذلك في الإنجليزية، مثل:

It is hot, so I opened the window.

4- ائتلاف الكلام من فعل واسمين، مثل: كان زيدٌ قائما. كذلك في الإنجليزية كما موجود في (Pattern 7) كـ(James met the boss).
5- ائتلاف الكلام من فعل وثلاثة أسماء، مثل: علم محمدٌ زيدا فاضلا. كذلك في الإنجليزية كما موجود في (Pattern 8) كـ(She gave John a book).

توقفت بيان عند النقطة السادسة، مسحت جبينها، وهي تقرأ بصوت خفيض: ائتلاف الكلام من فعل وأربعة أسماء.. ثم التفتت لرغد قائلة: هل تصدقين أن الإنجليزية تفعل ذلك أيضًا؟

6- ائتلاف الكلام من فعل وأربعة أسماء، مثل: أعلم محمدٌ زيدا عمرا فاضلا. كذلك في الإنجليزية مثل : Nada is giving John a book.

7- من اسم وصفة، مثل: الطالبُ مثابرٌ. كذلك في الإنجليزية كما في (Pattern 1)، لكن بشرط وجود الفعل المساعد بينهما لغرض ربطهما ببعضهما كـ(Food is good)، أو بشرط وجود الفعل الرابط كـ(The dog smells bad).

8- من اسم وظرف، مثل: العصفور فوق الشجرة. كذلك في الإنجليزية في (Pattern 2)، لكن لا بد من وجود الفعل المساعد بينهما لربطهما ببعضهما كـ(The girl is here).

9- من اسم وجار ومجرور، مثل: الطالب في الصف. كذلك في الإنجليزية ولكن لا بد من وجود الفعل المساعد بينهما لربطهما ببعضهما كـ(The cat is under the table).

تقسيم الجملة على أقسام مختلفة حسب معايير متنوعة:

1- حسب أركانها على:

أ- عمدة لا يسوغ حذفه من أجزاء الكلام إلا بدليل يقوم مقام اللفظ به. وقد ميزته العربية بعلامة الضمة، فالرفع دليل الإسناد أو العمدة في العربية (المبتدأ، الخبر، الفاعل، نائب الفاعل). كذلك العمدة (Obligatory) في الإنجليزية هو ما لا يمكن حذفه من الجملة، وقد ميزته الإنجليزية بالرتبة أي انه يرد في أول الجملة الخبرية قبل الفعل الرئيس والفعل الرابط. فالعمدة كما في :

(SVA) مثل: Mary is in the house.

(SVC) مثل: Mary is a nurse.

(SV) مثل: The child laughed.

كذلك نائب الفاعل فهو عمدة ولا يمكن حذفه، مثل: It was written.

ب-الفضلة هو ما يمكن أن يتألف الكلام من دونه، أي ما يمكن حذفه من الجملة، وللفضلة حالة خاصة بها وهي النصب، والأسماء المنصوبة هي: المفعول به، والمفعول المطلق، والمفعول له، والمفعول فيه (ظرفا الزمان والمكان)، والمفعول معه، والحال، والتمييز، والمستثنى، والنداء. كذلك الفضلة (Optional words) في الإنجليزية هي ما يتم الكلام بدونها، أي ما يمكن حذفها، والأسماء الفضلة في الإنجليزية هي: المفعول به،

والمفعول المطلق، والمفعول له، والمفعول فيه (ظرفا الزمان والمكان)، والمفعول معه، والحال، والتمييز، والمستثنى، والنداء. وقد ميزته بالرتبة، وذلك بان يرد بعد الفعل الرئيس كالآتي : المفعول به، مثل : Mary caught the ball.

المفعول المطلق، (The Cognate Object) مثل : He died a death.

المفعول له، ومثل: Let`s go to pool for a swim.

ظرف الزمان، مثل: They are now on vacation.

ظرف المكان، مثل: I met him here/in this garden.

المفعول معه، مثل: I travelled with the night.

الحال، مثل: She sings beautifully.

التمييز، مثل: The three books are here.- I have five friends.

المستثنى، مثل: I visited my friends except James.

المنادى، مثل: John, I want you.

2- حسب الاسم والفعل على اسمية وفعلية:

أ- الجملة الاسمية: تتكون مبتدأ وخبر؛ فالمبتدأ: هو الاسم المرفوع في أول الجملة الاسمية، ويُسمى مبتدأ لأننا نبدأ به الكلام. ولا بد للمبتدأ من اسم مرفوع يتبعه أي خبر له، فانهما متلازمان. أما المبتدأ في اللغة الإنجليزية فهو اسم يُبتدأ به الكلام، ولا له من خبر.

وتدل على الدوام والاستمرار والثبات. فإذا قلت (زيد مفكر) دل ذلك على أن صفة التفكير خاصة من خواصه تلازمه في كل آن، لازمته في الماضي وتلازمه في الحاضر والمستقبل. للمبتدأ ثلاثة أقسام:

1) صريح مثل : الكريمُ محبوبٌ. The car is beautiful.

2) ضمير منفصل مثل: أنتَ مجتهدٌ. She is a teacher.

3) مصدر مؤول كقوله تعالى: (أن تصوموا خيرٌ لكم).

To travel hopefully is better than to arrive.

To sleep early is good for your health.

والخبر: هو الذي يستفيده السامع ويصير به المبتدأ كلاماً. كذلك في الإنجليزية.

ينقسم الخبر على:

1) خبر مفرد مثل : زيد قائمٌ. You are a good teacher.

2) خبر جملة اسمية مثل : زيدٌ شعره جيد. The problem is he is liar.

وخبر جملة فعلية مثل : محمدٌ كتبَ قصةً.

Her happiness is you succeed in your life.

Your death is you fail.

3) شبه جملة:

جار ومجرور مثل: صاحبك في الجامعة. John is at work now.

أو خبر ظرف زمان مثل : السفر يوم الجمعة. It was Tuesday.

أو خبر ظرف مكان مثل : الصديق أمام البابِ. He was down.

ب-الفعلية: تتكون من فعل تام مبني للمعلوم رئيس لا ناقص، وفاعل أو نائب فاعل، ومفعول به إذا كان متعديًا. وتدل على الحدوث، أما إذا قلت (فكر زيد) كان ذلك ان تفكيره في الزمن الماضي، وإذا قلت (يفكر زيد) كان معناه في الزمن الحاضر.

1) الفعل نوعان، هما: تام وناقص؛ التام: هو الفعل الرئيس المتضمن حدث وزمن، وله فاعل أو نائب الفاعل حسب بنائه للمعلوم أو المجهول، مثل: كتبَ زيدٌ القصةَ، وكُتِبت القصةُ. كذلك في الإنجليزية الفعل التام (attributive verb)، هو الفعل الرئيس (Main Verbs) يتضمن حدثًا وزمنًا معًا، وله فاعل كـ(She writes the story)

أو نائب فاعل، مثل: The story is written.

ويكون لازمًا، مثل: سلم عمر على صديقه، أو متعديًا لمفعول واحد ، مثل: فهم زيدٌ المسائلة.

كذلك في الإنجليزية يكون لازمًا، مثل: They went to the school.

أو متعديًا لمفعول واحد، مثل: They read it.

أو متعديًا لمفعولين (أي يقع فعل الفاعل على أثنين) مثل: أعطى المديرُ زيداً هديةً. كذلك في الإنجليزية مثل : I bought her a necklace.

وناقص، هو ما دل على الزمان دون الحدث، يدخل على الجملة الإسمية؛ فيرفع المبتدأ اسمًا له، وينصب الخبر خبرًا له، مثل: كان زيدٌ مثابرًا.

كذلك في الإنجليزية الفعل المساعد (Auxiliary verbs) الذي لا يتضمن حدثًا، ولا يتعدى إلى مفعول به، وإنما يؤتى به لربط المبتدأ بخبره مع الإشارة الزمنية، مثل: She is a good teacher.

2) الفاعل، هو صاحب الفعل الذي قام به أو وقع منه، ويأتي بعد فعله. كذلك الفاعل (Doer) في الإنجليزية يكون اسما. ويسبق فعله الذي هو فعل رئيس، أي انه ليس فعل مساعد (Am, is, are, was, were)، وهو صاحب الفعل والقائم به.

ليس معنى كون الاسم فاعلا أن مسماه أحدث شيئا، بل كونه مسنداً إليه على الوجه المذكور، مثل: مات عمرو. ألا ترى أن عمرا لم يحدث الموت، ومع ذلك يسمى فاعلا. ومثله : تحرك الشجر. وطاب الخبر.

كذلك في الإنجليزية مثل : He died.

3- حسب ما تؤديه من معانٍ، وهذا أمر ضروري للتعبير عما يريده المتكلم؛ لذا قُسمت الجملة في اللغة العربية على:

أ- خبرية: هي الجملة التي تبين خبرًا كـ(نجح زيدٌ).

كذلك الإنجليزية كـ(John visited Mary).

ب-استفهامية: هي الجملة التي يطلب فيها اعطاء معلومة لبيان أمر أو شرحه كـ(هل نجح زيدٌ؟). كذلك الإنجليزية كـ(Did John visit Mary?).

ت-أمرية: هي الجملة التي يُطلب فيها حصول الفعل على جهة الاستعلاء والالزام كقوله تعالى: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ).

كذلك الإنجليزية كـ(Visit Mary).

ث-تعجبية: هي الجملة التي يعبر بها عن شعور داخلي تنفعل به النفس حين تستعظم أمرًا نادرًا، أو لا مثيل له كـ(ما أعدل محمدًا). كذلك الإنجليزية كـ(!I mean I said).

ج- شرطية كـ(إن تدرسْ تنجحْ). كذلك كـ(If we hurry, we will catch the bus)

4- حسب الإنشاء أو الصدق وعدمه على:

أ- خبرية، هي جملة تحمل خبرًا أو معلومة؛ لذا تحتمل الصدق والكذب، قد يكون صادقًا، وقد لا يكون صادقًا كـ(ذهب حسن إلى المدرسة.)، ويصح وصف قائل هذه الجمل بأنه صادق أو كاذب، كذلك في الإنجليزية كـ(I went to school.).

ب-طلبية: هو طلب فعل شيء لم يكن حاصلاً وقت الطلب، أي هو ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا إذا تلفظت به؛ فما يطلب حصول الفعل هو أمر كـ(اجتهدْ)، كذلك في الإنجليزية كـ(Study hard.)، وما يطلب الكف عن الفعل هو نهي كـ(لا تهملْ)، كذلك في الإنجليزية كـ(Do not be lazy.)، وما يطلب حصول الأمر المرغوب فيه فهو تمني كقوله تعالى: (يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)، كذلك في الإنجليزية كـ(I wish I had more money.)، وما يطلب الفهم هو (الاستفهام) كقوله تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ)، كذلك في الإنجليزية كـ(Has David got a car?)، وطلب الإقبال بـ(النداء) كقوله تعالى: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ)، كذلك في الإنجليزية كـ(Where are you going, students?).

5- حسب مكوناتها على:

أ- الجملة البسيطة: هي كلام نعبّر به عن معنى مفيد بجملة واحدة، وهذه الجملة تحتوى على فعل و فاعل واحد فقط، أو مبتدأ وخبر، وتعبر عن فكرة واحدة رئيسية، مثل : درس محمد بجد. وزيد طالب.

كذلك في الإنجليزية، مثل : John is sitting at the table.

ب-الجملة المركبة: هي الجملة المكونة من أكثر من جملة والتي تعبر عن أكثر من فكرة، وكل فكرة فيها فعل خاص، مربوطين بحرف عطف، مثل : جلس زيد وكتب القصيدة.

كذلك مثل: John is sitting but he is not writing the peom.

ت-الجملة المعقدة: هي الجملة التي تتألف من فكرة أساسية، وفكرة ثانوية، وتربط بينهما أداة ربط، مثل : أ أنت زيد الذي حديقته جميلة؟

كذلك في الإنجليزية، مثل : The tree will be green when spring comes.

6- تقسم الجمل من ناحية محل الإعراب على:

أ- الجمل التي لها محل من الإعراب: هي الجمل التي يصح تأويلها بمفرد، ويكون إعرابها إعراب المفرد الذي تؤول به، فتكون:

1) مبتدأ كقوله تعالى: (إن الذين كفروا سواءٌ عليهم أ أنذرتهم، أم لم تنذرهم)

What children will say is unpredictable.

2) خبرا، مثل: زيدٌ شعره جيد. وزيدٌ كان خلقه كريم، فجملة (كان خلقه كريم) في محل رفع خبر للمبتدأ (زيد).

كذلك في الإنجليزية، مثل : The problem is that he is a liar.

3) فاعلا كقوله تعالى: (أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب)

4) كذلك مثل: Whoever took them remains a mystery.

5) مفعولا به مثل: ظننتُ زيداً يكذبُ. وأعلمت زيدا عمرا أصبح أخوه غنيا. ظننتُ محمدًا كان خطهُ حسنًا. فالجملة (أصبح أخوه غنيا) في محل نصب مفعول به ثالث، والجملة (كان خطه حسنا) في محل نصب مفعول به ثانٍ.

كذلك الجملة الانجليزية مثل:

I know where he lives.- I wonder if he went to Chicago.

6) حال، مثل: أقبل الأمير يضحك. وكقوله تعالى: (ونذرهم في طغيانهم يعمهون).

كذلك في الإنجليزية مثل: You can do as you like.

She prepared the dish in the way he liked....

7) صفة، مثل: أقبل رجلٌ يضحك. وتحدث في الحفل خطيبٌ ليس لسانه فصيح، قرأت كتاباً ليست أفكاره قيمة. الجملة (ليس لسانه فصيح) صفة للفاعل (خطيب)، والجملة (ليست أفكاره قيمة) صفة للمفعول به.

ولا يمكن مثل هذا في الإنجليزية إلا باستعمال اسم موصول وصلته، مثل:

We know a lot of people who were in London.

Maha is a girl who was with her teacher.

Everything that happened was my fault.

8) خبر لا النافية للجنس، مثل : لا رجل سوء يعاشر. ولا شيء يعدل عمل الخير.

كذلك في الإنجليزية يرد خبر الاسم التابع لحرف النفي فعل، وفاعل هذا الفعل هو الاسم التابع لحرف النفي، مثل: No student wants to leave.

9) مستثنى جملة، مثل: ما زيدٌ إلا أبوه منطلقٌ. كذلك في الإنجليزية، مثل:

He`s good-looking except when he smiles.

10) في العربية يمكن أن يكون المضاف إليه جملة، وذلك إذا وقعت بعد بعض الكلمات، مثل: قابلت زيد يوم حضر. جملة (حضر) في محل جر مضاف إليه. وتفتقر اللغة الإنجليزية لمثل هذا.

7- الجمل التي لا محل لها من الإعراب:

أ- الابتدائية، هي التي تكون في مفتتح الكلام، مثل: نجح محمدٌ. كذلك في الإنجليزية.

ب-الاستئنافية، هي التي تقع في أثناء الكلام، منقطعة عما قبلها، لاستئناف كلام جديد.

ت-التعليلية، هي التي تقع في أثناء الكلام تعليلا لما قبلها، مثل : تمسك بالفضيلة، فإنها زينة العقلاء. كذلك، مثل: We were late because it rained.

ث-الاعتراضية، هي التي تعترض بين شيئين متلازمين، لإفادة الكلام تقوية وتسديدا وتحسينا، مثل : حضر- أعتقد- زيد. كذلك، مثل:

He stole, not because he wanted the money but because he liked stealing.

ج- الواقعة صلة للموصول، مثل: لا تقل ما يذري بك. كذلك في الإنجليزية مثل:

I know who sees Mary.

The government –which promises to cut taxes– will be popular.

ح- التفسيرية، مثل: جلس الطالب أي قعد. كذلك، مثل:

The book, I need, is too important for me.

His father, who lives in Cairo, came yesterday.

خ- الواقعة جوابا للقسم، مثل: والله لأكافئن المجتهد. وفي الانجليزية يقال:

By haven, I'm going to visit you.

د- الواقعة جوابا لشرط غير جازم، مثل : إن تدرس تنجح. كذلك في الإنجليزية مثل:

If I`m going to catch the train, I`ll have to leave now.

ذ- التابعة لجملة لا محل لها من الإعراب.

ما يشبه الجملة

شبه الجملة هي الظرف، أو الجار الأصلي مع المجرور. وسميت بذلك؛ لأنها مركبة كالجمل، فهي تتألف من كلمتين أو أكثر، لفظا أو تقديرا، وهي غالبا تدل على الزمان أو المكان. وإن تعلقت بكون محذوف دلت على ضمير مستتر أيضا، فكانت كالجمل في تركيبها. ولهذا فهي تغني أحيانا عن ذكر الجملة، وتقوم مقامها. ولأن الجار والمجرور غالبا ما يفيدان معنى الظرفية المكانية أو الزمانية، فقد توسع النحاة في معنى الظرف، فأطلقوه أحيانا على الجار والمجرور، وجعلوه مرادفا اشبه الجملة. أشباه الجمل لا تستقل بذاتها في الكلام بحيث تؤدي معنى مستقلاً، وإنما يؤديان معنى فرعياً تابعاً للجمل. كذلك في الإنجليزية هناك مركبات كالجمل، وهي مؤلفة من أكثر من كلمة واحدة كما في (Verbless) مثل:

Although always helpful – then in New York

والظرف مثل : In front, along with, away from.

ويرد الجار والمجرور مثل : In your paper. – At five o'clock.

ائتلاف الحبر بالواجبات الزوجية والبيتية فرض على بيان ورغد خوض سباق محموم مع عقارب الساعة، فبيان مستجمعة كل قواها وجهدها وتركيزها؛ لتغزل من قواعد اللغتين نسيجًا متقنًا يجمل عقليهما، وتعيد رصف الكلمات بمحوها ما تركتها لها رغد من فراغات فقد صبرها لما يقابلها من ألوان قواعد الإنجليزية التي تكمل رسم لوحة المعنى في اللغتين. كأن بيان ورغد اقتسمتا سيفا حادا تقارعان به ظلام تساؤلاتهما لتكسبا انتصار معرفتهما اجابة تلك التساؤلات؛ متعاونين بإخلاص وتفاني، تعاضد أصابع بيان المتعبة للقلم وهي منحنية بتواصل تحركات رغد الدؤوبة بخفيفة وصمت، مدركة أن أي همسة تقطع خيوط أفكارها إلا في قولها: استمري، يا بيان العلم، واتركي كل شيء لي، منقسمة بين اسراعها لتفقد أولادهما وما يحتاجونه، وبين عودتها لبيان بطبق فاكهة أو قدح شاي يحل محل فنجان قهوة الباردة المنسية بالقرب من بيان بتكرار متتابع لمرات ومرات.

لم يفلح أذان المغرب–الذي كان صدى بعيدًا–في فك ارتهان بيان لشغفها ملء الفراغات، فقد غرقت في تلك الأوراق حتى جاءت نقطة قلمها الأخيرة معلنةً فك الاشتباك، فأفلتت أصابعها القلم المنهك بضغطها الذهني المتوقد طوال نهار كامل غابت به عن بيتها وتركت فيه زوجها. رفعت

رأسها المنحني طويلًا؛ لترتمي بجسدها المنهك على سجادة ناعمة ملونة ترفع جسدها عن الأرض، ممدةً أطرافها المنملة كأنها تحاول استعادة صلتها بالواقع الذي أبحرت بعيدة عنه.

بكفين قاسيتين، أطبق التعب جفني عينيها المتلون بريقهما بلون الألم حتى عجزت عن إلقاء نظرة أخيرة على ورقتها التي أنجزتها. وما عن انتزعت عينيها من قبضة سيطرة الإعياء، مدت يدها المرتجفة من انعكاسات سرعة تحركات القلم، مسكت هاتفها المحمول الذي اسكنت ضجيجه برخصة من زوجها؛ لتمنح الكتابة حقها، وإذا بها تجد هاتفها مصدر رعب لها جمدت ثلاث وعشرون مكالمة فائتة خلال الساعة الخامسة عصرًا عروقها التي بدأت تحترق بقلقها وخوفها من زوجها، وقد فقدت سيطرتها على ترويضه. هبت روحها قبل جسدها منتفضة من أسر التعب كان تيارًا كهربائيًا سرى في جسدها، مغادرة بيت رغد، وبنبرة خوف ولهجة ارتباك قالت: رغد، أنجزنا ائتلاف الكلمات، والله يستر من زوجي، فقد يدمر ود القلوب. لم تلتفت لرغد، ولم تسمع ما قالته لها. تركت معركة اللغة لتتوجه إلى معركة الحياة، ونبضات قلبها متسارعة تدق بقوة كطبل يسمعه أولادها الذين معها. شعرت في كل خطوة تخطوها إلى بيتها كأنها لا تسير على أرض صلبة، بل تقترب بخطى وجلة من نار.

تعثرت خطى بيان وهي تغادر، كانت تمضي بسرعةٍ مشلولة بالخوف، وكأن قدميها في حربٍ مستعرة مع قلبٍ يتوق للفرار في الاتجاه المعاكس. ورغم أن المسافة التي تفصل بين بيت رغد ومنزلها لا تزيد عن دقائق معدودات تقطعها السيارة في وقتٍ لا يتجاوز عدد أصابع اليدين، إلا أن الطريق في عينيها استطال بغتةً؛ تمدد كخيطٍ لعين من الأبدية، خيطٍ ينسج في نهايته وقوداً يزيد غضب زوجها اشتعالاً. استقلت سيارة أجرة في محاولة يائسة لانتزاع جغرافيا المكان من قبضة الخوف، لكن الطريق كان يمارس ضدها عناد عدوٍ وغدٍ لئيم؛ فكلما نهبت السيارة الأرض، بدا البيت كسرابٍ يبتعد، تاركاً مخيلتها فريسةً لصاعقة ذكرى مرعبة لا تكاد تنساها.

انبعث المشهد القديم–الذي تأبى شفافيتها وأنوثتها أن ترى غضبه–حياً أمامها.. يوم زارت أهلها وانشغلت بحديثها مع أمها، بينما كان هاتفها يغلي باتصالاته. تراءى لها وجهه خلف زجاج نافذة السيارة، وكأن الزجاج يهمس لها بمرارة : لقد ضرب رأسك بي. حطمني غيظاً كي يصل إليكِ وأنتِ ما تزالين محتمية في الداخل خلف الأبواب الموصدة. تذكرت ملامحه حين يغضب؛ كيف تغادر السكينة وجهه تماماً كما يغادر السماحُ إذنه، فيحرمها من أن تتأخر في زيارة أهلها أو حتى رفيقتها رغد. هناك، في ردهات ذاكرتها، فقد صوته كل رصانته؛ ليكشر عن صراخٍ

مروع ما زال يتردد في أركان وعيها حتى اللحظة. رأت كفه القوية وهي تتحول من أداة حماية إلى مطرقة تنهال عليها، ثم على الطاولة والأشياء من حوله، محطمةً مع كل ضربة كل جسور التفاهم بينهما. تذكرت كيف كان الصمت يحل حين ينهكه الصراخ، ليحل محله ما هو أدهى، نظرة حاقد منتقم يرمقها بشزر، كأنه يحاكم روحها. رفعت بيان بصرها وهي بغمرة هذا الرعب إلى السماء، وسلمت أمرها للخالق في عتابٍ خفيٍّ مؤلم: الهي، أنت تعلم صبري عليه، ومحاولاتي الجادة لأنقذه من عيبه الذي يلتهمه، والذي سيسلطه علي حين أصل عتبة الباب. اللهم، سترك من عصبيته المفرطة.

لم تكن بيان فقط تحت مطرقة غضب زوجها، بل وقعت رغد تحت مطرقة زوجها ومطرقة قلقها على صديقتها بيان التي تحاول أن تطرد غضبه عنها وعن بيتها. لم تستطع رغد الاتصال ببيان خوفًا من زوجين زوج رغد وزوج بيان، فلم يكن لها إلا أن تدعو الله لبيان وزوجها، وأن تمتص غضب زوجها. لم تستطع مدارسة حسين حين جاء إليها يطلب مساعدتها، وطلبت من آدم مساعدته. ثم دخلت مكتبتها.

أغلق زوج رغد باب مطعمه، وتوجه إلى بيته مثقلًا بتعب أعلنته ملامحه الذابلة، دخل المنزل ليجد رغد غارقة في كتبها، والإرهاق باد عليها. توقفت عيناه عليها لتسترجعا قضاءها يومًا كاملًا في مناقشات لغوية مع بيان، لم يكد يضع مفاتيحه حتى انفجر في وجهها بركان تعبه صراخًا بعد أن تجاوزت دقائق منتصف الليل: "أ هذا هو البيت الذي أكدح لأجله؟ أ هذا هو البيت الذي أعود إليه؟ يوم كامل تضيعه رغودة في جدول لغوي لا يسمن ولا يغني من جوع! بلا شك أن بيان عند رغودة أهم من الجميع! كفى كتبًا، لقد تعبت من ضياعك للوقت. اشعري بي قليلًا، فأنا منهك وأنت لاهية!" انتفضت رغد من مكانها، بعثر انفعالها هدوءها المعهود، فقاطعته بنبرة حادة وصراخ زلزل سكون المكان: "بل كفى أنت صراخًا! أنت لا تقدر تعبي! تقضي نهارك غائبًا ونحن هنا وحدنا، ومع ذلك ندعو لك بالرزق والتوفيق، أنا لا ألهو؛ أنا أسرق من الوقت دقائق لأرمم بها عقلي الذي أنهكه الروتين، وأنت تعود لتصرخ! لا ترى اهتمامي ببيتك وأولادك تربية وتعليمًا، لا ترى تضحياتي وتركي حلمي للحصول على الدكتوراه لأجلك. ما طلبت منك يومًا شيئًا، لا سفرة ولا نزهة! اشعر بي! ما كنت لك إلا عونًا سندًا. أ تريدني أن أظن أنك تغار من نجاحي! صارت جدران الغرفة تستغيث من طرق صراخهما عليها، وعلي يقف امامها كطود من الغضب متهيئًا لضربها المؤجل بجملة (أريد أن أفتخر بك) وبمنظر انهمار دموعها. وكسر كل ذلك فتحة الباب عليها بيد صغيرة خفيفة مرتجفة، وجلست في زاوية الغرفة؛ ليطلا عليها، وهي

تجلس جلسة مسكين مشرد، ثم تبعها أخواها؛ لتسقط يد رغد التي كانت تلوح في الهواء، وتخرس علي وتجمد كلماته وتكظم غضبه.

ساد صمت ثقيل. أنزلت رغد رأسها، ومسحت دموعها بسرعة وهي تجمع قواها، بينما تراجع علي خطوة إلى الوراء، شاعرًا بخيبة مريرة من نفسه، وهو يسمع كلام ابنته الباكية التي تحاول أمها تهدئتها، فتجمد دمه جملة قالتها (ماما، هل ستتركاننا وحيدين في هذه الدنيا؟)؛ كأنها رصاصة قتلت كبرياء كل من رغد وعلي؛ وتسقط روحيهما دفينتين في حب أبنائهما. صمت ثم كسر سكون الصمت، بعد أن تأمل وقعت كلماتها الصادقة كالوخز في ضميره. صمت قليلًا، وفجأة وهو يراها لاهثة، وجهها المنهك يغرق في دموع القهر، طردت شمس تضحياتها ضباب غضبه، فاقترب منها ببطء ومسح دموعها، وفي صوته رنين تراجع كبير ونبرة اعتذار بليغ: "كفى، يا عزيزتي. أعتذر لك، وها أنا أقبل رأسك. يبدو أن التعب أعمى بصري عن رؤية كل ما تفعلينه من أجلنا. أعدك ألا يرتفع صوتي مجددًا. ولن أحرمك من شغفك وكتبك". هدأت أنفاسها واستغلت لحظة الصفاء هذه، وقالت بنبرة ملؤها الأمل: "ما دمت تقدر عقلي، فأرجوك قدر مكانتك عندي؛ أريد أن أفتخر بك أكثر. كن معي شريكًا في العلم كما أنت شريك في الروح". وافق على طلبي أرجوك... ابتسم الزوج وأجابها بطمأنينة: "فهمت قصدك، وقد أجبتك، سأذهب للتسجيل في المعهد البريطاني لتعلم اللغة الإنجليزية. حاضر". حينها رسمت رغد ابتسامة دلال مشوبة بعدة انتصارات، وقالت: "ولكنك أتعبتني حتى استجبت". رد عليها: فلأقل لك سرًا، أنا أغار عليك، وأريد أن أشعر بك تنتظريني؛ لذا غضبتُ حين غرتُ من بيان، والآن غرت من الكتاب، ودائمًا أوخر ما تطلبين مني متقصدًا لأني أحبك.

لم يكن طلب رغد من زوجها علي غريبًا ولا جديدًا، بل هو طلبها القديم المتجدد الذي تردده عليه بشكل مكرر، لكن علي كان يأملها مؤجلًا موعد بد دراسته للغة الإنجليزية إلى حين حتى يشق طريقه في كسب المال بعيدًا عن مساعدة أبيه أو أحد إخوانه. وما أن نجح مشروعه، وصار مطعمه مميزًا منذ الأسبوع الأول، حتى استجاب إلى طلب رغد.

ارتفعت خيوط شمس يوم السبت في سماء دلهي، واستحالت إلى أعمدة ذهبية متصلة بالأرض كأنها تثبت الواقع وتطرد أطياف الليل، جاعلة بيان تنتفض من فراش تأملاتها الذي غدا جحيمًا لأفكارها ومرارة شكوكها؛ لتمارس طقوسها اليومية البيتية بجسد مثقل بهموم روحها. وهي تنظر لزوجها النائم بجانبها، وتهمس لنفسها: والله، لو لم تكن مذنبًا مع سارا، لما اكتفيتَ ليلة أمس بصراخ قليل، وعصبية أقل افراط. الحمد لله الذي جعل لسارا فائدة في حياتي! توقفت أمام النافذة، وقالت لنفسها: يا ربي، خيانة تجعل الزوج يقلل من هجومه على زوجته! وزوجة تلوذ

بالخيانة لتحمي نفسها من زوجها! أستغفر الله. في الجانب الآخر، يتنفس صباح منى بهدوء السكينة المعطر بعطر الحب الذي تجلس فيه منى في صالة بيتها، ترتشف قهوتها الصباحية، وعيناها معلقتان بباب غرفة ابنها وزوجته تنتظر فتحه؛ ليطل عليها ظل حفيديها جسار وشموخ. لم تكن اسما الحفيدين عابرين في قاموس منى؛ فجسار هو استحضار لروح زوجها العقيد الذي لم يمهلها القدر لتفجع بموته الطبيعي، ولم يفجعها بموته حين كان يقود الجيش ويخطط المعركة بملابسه التي يعلوها تراب المعارك، ذلك التراب الذي يعجز عن تغطية رتبته العسكرية، بل غطى جسده المدمى بالقتل الطائفي في العراق. أما شموخ فهي الندبة التي لا تندمل، سمت حفيدتها على اسم ابنتها التي خطفها انفجار غادر في بغداد حين عودتها من دراستها في قسم اللغة الإنجليزية في جامعة بغداد، محطمة أمل منى المضيء في أن ترى اسميهما متجاورين في سجل مدرسة واحدة بعد تخرجها لغة إنجليزية. فدفعها فقدها المزدوج إلى أن تحزم ما تبقى من عمرها باصطحاب ابنها ليث إلى دلهي حيث يكمل دراسته في جامعتها، هاربة من ذكريات تفيض بالدم، ساعية خلف سكن لروحها المنهكة وسط ضجيج الغربة الهادئ.

قطعت سكون فنجان قهوتها موسيقى أغنية حماسية قديمة انبعث من هاتفها؛ لتدوي في أرجاء روحها قبل أرجاء الغرفة. اهتزت يد منى، وكاد الفنجان أن يرتجف سقوطًا، وهي تستحضر صوت زوجها؛ كان يرفع صوتها عاليًا كأنه يستعيد أمجاده في الميدان مستنشقًا من نغماتها روح الانتصارات. في تلك اللحظة شنقت ذاكرتها صدى ضحكة شموخ، وهي تتدلل على أبيها بمشاكستها: أبي، أبدلها بأغنية رومانسية صباحية هادئة، لم هذا الصخب؟ لكنه كان يبتسم بوقار الواثق الذي لا يزلزله إلا إصرار شموخ، فيقول: هذه، يا بنتي، موسيقى حماة وطن المرعبين لأعدائه الذين رضعوا من أصالة هذا التراب الأبي. غصت منى بدموعها؛ لتهمس لنفسها: لقد تركتني القوة برحيل الرجل، وتركني الهدوء برحيل البنت. صرت وحيدة منكسرة. ثم يحولها الغضب إلى لبوة ثائرة منتقمة؛ لتقول: لو أني أظفر بمن قتلك يا جسار، لقطعته بيدي! كيف تقتل الرجولة والبطولة على يد الشرذمة والخسة؟ لا يكون الرماد نهاية النار أبدًا. ولكن تعسًا لهذا الزمان. تصاعد أنين روحها وهي تنادي ابنتها شموخ: آه، يا بنتي يا شموخي، لو أني أظفر بمن فجر جسدك؟ بل لو أني وجدت جسدك كاملًا لا أشلاء مقطعة! وينتقل غيظها كشرار البرق نحو أيام دراسة شموخ في قسم اللغة الإنجليزية: آه، لو أجد تلك الدكتورة المسماة بجمانة التي أتعبتك في جامعتك. لماذا لم أذهب إلى جمانة اللعينة في الجامعة وأشفي غليلي منها! استقامت منى في جلستها، ومسحت عبراتها بحزم، وعيناها تلمعان بوعيد مخيف: سنرى يوم الأحد الذي سيفضحك يا جاكلين، وسيكون لي يوم معك، يا جمانة، حين أعود للعراق. سأنتقم لك يا بنيتي. لن يضيع حق امرأة فقدت كل شيء، ولم يعد لديها ما تخسره. مسح فتح الباب دمعة طفرت من

عينيها، وهمست لنفسها بصلابة: لن أسمح لجاكلين تكرار مأساة جمانة. أنا الدرع الحامي زوجة جسار.

أعلنت عقارب الساعة العاشرة صباحًا، وما زال ضياء نائمًا. ابتعدت بيان عن مرمى نظر زوجها، ماسكة بيدها هاتفها بوقار يخفي خلفه بركانًا، وهي تحدث نفسها: الآن، ذنبه يخيفه مني، فلأتصل برغد لعلي أخفف عن نفسي وطأة خيانته وسموم جاكلين، ولأثبت شجاعتي وأكمل معها أبحاثي اللغوية التي يحاولان وأدها. ضغطت على اسم رغد. وحين فتحت الخط، سألتها بنبرة مشحونة بالقلق والترقب عن حال زوجها الغاضب. أجابتها رغد بعد أن تنهدت بعمق هز أركان الهاتف: ما زال الصمت يسود بيننا، يا بيان. كأني يوم مناقشاتنا ذنب لا يغفره لي. والله ما هذا إلا لأنني دللته؛ لذا هو لا يقدر تعبي عليه وعلى أولاده، ولا يقدر وجودي في البيت لا أكلفه لا بنزهة ولا سفرة ولا حتى عتاب على غيابه الطويل المتواصل خارج البيت. ردت بيان وصوتها يغالب انكسارًا دفينًا: بل عممي قولك؛ ليشمل زوجي أنا أيضًا. تساءلت رغد بمرارة: لا أعرف سبب غضبهما هل هو كره لنا؟ أو غيرة منا؟ أو هما يمارسان هوايتهما في إزعاجنا؟ أجابت بيان بيقين المفجوعة: كأنهما ابتلاء لنا، تمامًا كجاكلين وابنها. ارتفعت نبرة رغد: في البيت ابتلاء وفي المدرسة ابتلاء، ولله المشتكى! هتفت بيان بنبرة وعيد: اسمعي، يا رغد، دمي يغلي على جاكلين وابنها... قاطعتها رغد وكلماتها تخرج كطلقات: لن نغفر لجاكلين وابنها افتراءهما على عمر وحسين. تفاعل غضبهما كمادة متفجرة، فأجابتها بيان بصوت لاهث: أشعر في صدري نارًا أريد أن أحرق بها جاكلين. لن نسكت لها بعد اليوم. فختمت رغد بالمقذوفة الأخيرة: سنسترد كرامتنا. ولن نسكت لصراخها. موعدنا الأحد، ولتكن حربًا.

ضغطت جاكلين على زر استجابة، وهي تداعب قطتها ببرود، بعد أن أطعمت كلبها. كانت الساعة قد قاربت من الحادية عشرة صباحًا حين اتاها صوت فتون الدافئ: هلو فتونة. صباح الورد. ردت فتون بحميمية: هلو حبيبتي، صباح الياسمين. وددت فقط أن أطمئن عليك وأسمع صوتك الذي أشتاق إليه.

- ثانكس حبيبتي.
- كيف حال وليام؟
- أوة، يا فتونة، إنه غارق في اكتئاب حاد. لدرجة أنه يرفض الذهاب إلى المدرسة يوم الأحد.
- مسكين، لقد ظلماه هذان اللعينان. هذه ضريبة تميزه، وهذه حقيقة حقدهما. وهذا هو ديدننا نحن العرب نكره المتميز.

- أشعر بإنهاك شديد يا فتون، كلما فكرت في الأمر. ماذا تضمر لي رغد وبيان؟ وماذا تريد مني المديرة ومعاونتها! بل ماذا تضمر لي هذه الدنيا برمتها؟ زوجي يماطل في تأجيل سفرنا إلى بريطانيا واستقرارنا بها. وأنا كدت أختنق من العرب ومشكلاتهم التي لا تنتهي. وكما ترين لو عشنا معهم أزعجونا بمشكلاتهم المتخلفة، ولو نقدناهم لوصفونا بأننا ضد العروبة ومع الصهاينة! وهم يمشون على خطى الصهاينة.
- أفضل فرصة لك هي استقرارك هناك، حيث الهدوء، العلم، القيمة الإنسانية. هناك في بريطانيا، سيتطهر سمعك من ضجيج المصطلحات التي أتعبتنا: حزب، جهاد، مقاومة، أزمات، انقطاع الماء والكهرباء، وسحب خط المولدة، غاز، وقود السيارات، بعثي، مولاي، مؤامرة، حزب، عشيرة.
- ليس هذا فحسب، بل إن العرب ويستهزؤون بمن يحترم القانون ويقدس الانضباط، ويحاربون المجتهد، ويبجلون المنافق المحتال. حين أفكر في حالنا ينتابني ألم لا يوصف. كيف لأمة كل همتها العصبية والانسياق خلف الفوضى أن تعيش عالة على تقدم الغرب، ثم تفرغ طاقتها في لعنه؟
- فعلًا، لا انجازات تُذكر للعرب ولا مساهمة في خدمة البشرية، ومع ذلك يلعنون من يسد ثغرات عجزهم! وحين تُثار عصبياتهم، يلجؤون إلى الغرب لشراء الأسلحة، مرددين "اعدوا لهم ما استطعتم من قوة". صدق الله العظيم حين قال: (الأعراب أشد كفرًا ونفاقًا). لولا ابتكارات الغرب لكنا حتى الآن نسافر على ظهور الخيول.
- لا، يا فتون، الإعراب هم سكان البادية البدو، وليس العرب كلهم. لكن ما يدمي القلب هو أن الغرب وصل إلى الأقمار واحتل الفضاء، وبينما ما زال العرب غارقين في جدل عقيم حول قضايا المرأة، وأحكام الجلوس والقعود، والجماع والجنابة. وما زالوا سجناء الطائفية والتخلف الفكري، ثم يلقون فشلهم على شماعة الغرب!
- يبدو أنها جينات عربية. انظري إلى العراقيين مثلًا، أظنهم إلى قيام الساعة سيرمون كل أخطائهم على نظام البعث. أنا لا أبريء ذلك النظام، ولكن متى يستوعبون أنه ولى، سبع سنوات مرت وهم في سدة الحكم ما يزال اللوم يُلقى على الماضي تاركين الحاضر.
- الحديث عن مهازل العرب يطول ولا ينتهي. شعارات رنانة منذ سنين طويلة جدًا عن القوة، الكرامة، الإسلام، الجهاد، العروبة. وفي النهاية سُلبت القدس أمام عيون الجميع. هتافات فارغة هذا هو حال العرب إلى يوم الدين.

رن هاتف رغد قبل الساعة الحادية عشرة صباحًا، وهي بالكاد أنهت تدريس ابنها حسين، قالت: أهلا، ست فتون. ردت فتون بنبرة تفيض رقة وعذوبة: مرحبًا بحبيبة قلبي، وأستاذة ابنتي

الغالية. عفوا، اتصلت لأطمئن على مستوى ابنتي التي لا تقبل ان يدرسها أحد غيرك. دائمًا تردد: "الست رغد ليست مدرسة فقط، بل هي قدوة في الأخلاق والرقي".

- هذا من لطفكم. شكرًا جزيلًا.
- أنا أحبك مثل ابنتي، وأحرص عليك وأدافع عنك. حتى جاكلين حينما تذكرك أنا أقول لها رغد إنسانة محترمة وراقية.
- إن الخميس لناظرنا لقريب. وسنرى ما يقرره المجلس.
- لا أريدك أن تقلقي من يوم الخميس ومن جاكلين وابنها. عندما أتذكر يوم الخميس يضيق صدري ألمًا عليك. ولكن لا تبالي الله موجود، وأنا معك، يا بنت بلدي المتدرعة بعلمها، والمتمسكة بلغتها وهويتها.
- ولماذا أقلق؟ ويضيق صدرك!
- كيف لا أقلق عليك وجاكلين مصرة على الانتقام من عمر وحسين!
- لو ثبت ضربهما له، فليُعاقبا لا مشكلة. ولكن ماذا لو لم يثبت؟
- ممكن جدًا ذلك، فالطلاب شهدوا به. لكن جاكلين قالت لأنهم يخافون منك وبيان. مع ذلك لا تقلقي فانا معك ودعك ممن تعد نفسها بريطانية لا عراقية مثلنا.
- الله معنا جميعًا؛ لذا يجب أن لا نخاف ولا نقلق من شيء.
- يوجعني كلامها المبطن عنكما، فباللاشعور أدافع عنكما. لا يمكن مقارنة من تهتم بالطلاب ولغة القرآن بمن تنقد العرب وتمدح الغرب متظاهرة بملابسها الغربية، وقطتها وزوجها وابنها وبنتها.
- هذا هو عصر الحرية، كل منا له رأيه. ولكن نحن هنا لنؤدي رسالة تربوية تعليمية، لا لندخل في صراعات شخصية؛ لذا جاكلين زميلة، ووليام طالب.
- أنت دائمًا كبيرة بقلبك، يا ست رغد الراقية. أنت السند والقدوة، وهي عابرة سبيل تنتظر الطائرة لتهرب. فحفظك الله لنا يا رغد يا بنت العراق.

أنهت رغد المكالمة وهي تشعر بغصة غريبة؛ لم تكن غاضبة من جاكلين بقدر ما كانت مرتابة من ذاك المديح الزائد الذي سكبته فتون في أذنها، بينما كانت الكتب أمامها تشهد أن العلم لا يعرف النفاق. ثم قالت: كنا نسمع بالشياطين والآن عرفناهم.

تلاشت نبرة الرقة من وجه فتون بمجرد أن انتهت مكالمتها مع رغد، تناولت قدح ماء لتروي عطشها، وإذا بهاتفها يرن، ضغطت على زر الاستجابة قائلة: هلو هلو حبيبتي سراوي. ردت إسراء باستغراب: ماذا حصل لك يا فتون؟ أتصلت بك مرة يرن بلا إجابة، ومرتين يظهر لي أنك

تجرين مكالمتين آخرتين. قالت فتون وابتسامة السخرية واضحة في نبرة صوتها: المرة الأولى كنت استعدت لإجراء اتصال مهم، والثانية كنت متصلة بجاكلين البريطانية، والثالثة كنت متصلة بسيبويه. ردت إسراء: فتون الهزلية بين البريطانية وسيبويه. أجابتها فتون: لو رأيتني وأنا ألقي كلماتي على رغد كبنت بلدي، والقدوة، لظننت أني المتنبي. حتى أن رغد صدقت. ضحكت إسراء وقبل أن تعلق، ضغطت فتون على خاصية المكالمة الجماعية لتجمع إسراء ونرجس في خط واحد. قالت فتون بصوت ساخر: إلى قواتنا في معسكر إسراء ونرجس، مركز القيادة تسمعاني؟ أكرر: لقد انتهيت من توزيع الأدوار؛ رغد تظنني درعها الحامي، وجاكلين تظنني صوتها في بريطانيا. ضحكت إسراء ضحكة جافة ومريرة، ثم قالت وهي تضع أدوية العقم المخصصة لما بعد الغداء أمامها: داهية يا فتون. سوف نتفرج باستمتاع تفرج المشفقات عليهن وهن يدافعن عن أولادهن ناقصي التربية. ردت نرجس بصوت الحقد: سنستمتع ونحن نرى انكسار هؤلاء المتبخترات الثلاث. بل ولنرى أي واحدة منا هي التي تضع لمسة ساحرة على مجلس الخلاف. علقت إسراء ضاحكة: سوف أسمم أجواء المديرة. ردت نرجس متلهفة: مشتاقة لرؤية صراخ جاكلين، وبكاء رغد، وغضب بيان. متصنعات المثالية، وهن يلهثن خلف أزواجهن الذين يرونهن خادمات للطبخ وتربية الأولاد. تجيبها إسراء: وأنا مشتاقة للضحك على ما ستفعله فتون. تنهي المكالمة فتون: والآن، ابني جائع يريد الغداء؛ لذا سأنهي المكالمة، واتصل بكما فيما بعد كي نكمل ضحكنا. لا تنسيا موعدنا الأحد للضحك ولمعرفة ما ردة فعل كل واحدة. انصرفت فتون إلى إطعام ابنيها، لكن غصتها كانت تسبق لقمتها. فهي تحدق الفراغ وتهمس لروحها: ماذا لو كنتَ، يا زوجي، عونًا لي على صعوبات الحياة، وليس عبئًا؛ لنبني لنا بيتًا لأولادنا! ماذا لو أنك توقفت عن التهام مرتبي الشهري على الأقل لا أن تعطيني من مرتبك! ماذا لو أنك كنت مثل زوج رغد وبيان، فهم عراقيان مثلك، أو كنت كزوج جاكلين! كنت حمقاء مثل نرجس، أضعنا العمر في انتظار المستحيل حتى دعسنا قطار السنين. الحمد لله أنني اصطدتُ هذا القروي على الأقل لإنجابي ولدين منه، وإلا لكنت الآن مثل نرجس؛ وحيدة بين أربعة جدران تلهث خلف السحرة والمشعوذين، أو مثل إسراء التي تنفق عمرها في عيادات العقم وترتجف خوفاً من ضرةٍ تخطف زوجها. ثم سخرت من نفسها بمرارة: يا لسخافتي! أقلق عليهما وأنا أعيش في مهب الريح. زوجي يجمع مالي ليلهو به مع غيري، ولا يبقيني إلا لأنني دجاجة تبيض ذهباً، يخشى تبعات طلاقي المالية. يبدو أننا غارقات في مركب واحد، وكل واحدة منا تتمنى غرق الأخرى لتعلو هي قليلًا.

لم ينجح ضياء في كسر جمود وجه بيان منذ أول استيقاظه حتى أثناء جلوسهم على سفرة الغداء، وأثناء فترة تناول الشاي. كانت حركتها آلية، تضع السكر في كأسه دون النظر إليه كأنها

تحلل جملة ميتة. حاول ضياء استعطافها ومصالحتها ببعض الكلمات مبتسمًا، وحاول تلطيف الأجواء بمزحة، لكنها لم تلتفت له كأنها مبنية على السكون. طلبت منه بلهجة حازمة ونبرة غاضبة أن يتركها تهدأ. وانسحبت إلى حديقة البيت الصغيرة. بعد الساعة الثانية ظهرًا، أمسكت هاتفها، واتصلت برغد. جاء صوت رغد بقلق: كيف حالك؟ هل هدأ الإعصار عندك؟ تنهدت بيان بعمق، وقالت: الزلزال الخارجي هدأ، وتحول إلى موسيقى غزلية تسعى لاستمالتي. لكن في داخلي بركان لا يهدأ. اخبريني أنتِ، ما أخبار الإعصار عندك؟ أجابتها رغد: لقد تصادمنا، ثم صالحني معتذرًا. ردت بيان: عجيب أمرهم يهاجموننا ثم يلحون علينا بالصلح! دعينا من ازعاجاتهم.. قاطعتها رغد: لقد اتصلت بي أداة الجزم محاولة إيهامي بأنها فعل مساعد لا فعل رئيس.. تخيلي أني شعرت بالدوار، وتقززت نفسي من نفاق مدحها لي. بادرتها بيان بسؤال: فتون؟ صح؟ ردت رغد: كيف عرفتِ.. فقالت بيان: لأنها اتصلت بي أيضًا.. ثم ضحكت، واكملت: فتون هي الجملة الاعتراضية التي تفسد سياق حياتنا. واغدقت عليّ المديح. علقت رغد بحدة: واضح أنها تريد أن تتدفأ على نار تصادمنا مع جاكلين. أضافت بيان، وهي تقطع أوراقًا من الشجرة، وتكسر أعوادها اليابسة: ما ضاق حق وراءه امرأة لا تملك ما تخسره دفاعًا عن ابنها وكرامتها. أجابتها رغد متوعدة: الأحد لناظره لقريب. سنجعله يومًا لمواجهة صلافة جاكلين، وافتراء وليام، ونفاق فتون. أنهت بيان المكالمة، وهي تشعر بدقات قلبها في عينيها، وتسمع قرقرة أمعائها. وأدارت وجهها فرأت ضياء يقف في الباب ينظر لها مبتسمًا. اقترب منها، وقال: ينتابني ذلك الشعور الذي كنت أشعر به حين كنت ألتقي بك في حديقة مدرستك في البصرة في أول خطبتنا. كأنكِ أنت فقط امرأة في هذه الدنيا. انظري يا روحي إلى لمعة عيني، وأنت تملئينهما. ابتسمت بيان ابتسامة خجولة..

بعد أن تناولوا القهوة والحلوى في أجواء غلفها هدوء حذر، استأذن ضياء من بيان برقة، وقد طبع قبلة على جبينها، وشرع في المطالعة استعدادًا ليوم غدٍ. بينما اتصلت بيان برغد، كانت نبرة صوتها تشع فرحًا غريبًا اخترق سماعة الهاتف. فاجأ هذا السرور رغد، فسألتها بابتسامة: قبل ساعتين لم تكوني بهذه السعادة؟ ماذا حصل؟ تكلمي.. اخبريني.. ضحكت بيان: استمرار موسيقى الغزل على مسمعي جعلتني أرقص لا فرحًا، بل هروبًا من واقع مضطرب. وشغفًا في اكمال مؤلفنا، كتابنا المشترك في مقارنة اللغتين. ردت رغد: فلنركز على الموسيقى لنندفع نحو المقارنة اللغوية. قبل أن أنسى يدور في ذهني سؤال. (book) اسم معناه (كتاب)، فكيف يكون فعلًا؟ أجابتها بيان بحماس: هو تحول وظيفي نحوي (functional shift). الإنجليزية لغة ضيقة، تعتمد على تركيب الجملة في بيان معنى الكلمة؛ فـ(I want a book) معناه (أريد كتابًا)، أما (I want to book a room) فمعناه (أريد أن أحجز غرفة). كأننا أخذنا جوهر

الكتابة والتوثيق، وحولناه إلى حدث. علقت رغد: مذهل.. تحويل الاسم (كتاب) إلى فعل (يحجز) بدلالة الموقع وحذف أداة التنكير. أضافت بيان بنبرة واثقة: تمامًا كما سنفعل نحن غدًا. ستحول أسماءنا من معلمات إلى فعل قوة يحجز مكانه في الصدارة مغيرين مجرى الجملة، ولا أداة تنكير تتقدمنا.

الفصل الخامس
تضادُّ الظلِّ والجوهر

تترد أصداء الصمت في المدرسة صباح يوم الأحد الساعة السابعة، فلم تصل إلا المديرة كعادتها كأنها ميعاد صلاتها، ثم لحقتها رغد في التبكير، فطل عليهما وجه بيان الشاحب. دخلتا إلى غرفة المدرسات، ورغد تحدثها عن موضوع اليوم الذي أعدته قبل هجوم زوجها عليها ليل أمس، وهي تضحك كمحاولة منها لكسر حاجز حزن بيان. فتحت رغد سجلها، قائلة: بيان حبيبتي، هذا ما كتبته عن اشتراك الكلمة في اللغة العربية. خذيه، والآن، أيها الفارس اللغوي، أبرز قلمك وقطع سلاسل كل الفراغات. ابتسمت بيان، وهي تنظر إلى رغد التي تحرك يديها وعينيها وتضخم صوتها كأنها فارس يرتجل. قاطع ارتجال رغد وضحكة بيان، طرقت باب سريعة كالعطر الأنثوي الهادئ الذي وصلهما وهو يحمل رائحة القهوة المحتفظة بفورانها التي تتغالب مع عطر الهيل، وتتمازج مع عبق الصباح؛ لتداعب الحواس وتقتحم الصدور وتفتح مغاليق القلوب، بفناجين خزفية رقيقة تتوسط صينية خشبية مزخرفة برفق، واستقر طبق كرستال صغير شفاف مجاور للفناجين استمد حلاوته مما فيه من حلوى لا يقاومها حتى المصاب بداء السكر، الحلوى الهندية اللادو، وحبات تمر محشوة بالجوز. رحبتا بالمديرة، جلست بقربهما، ودعتهما لصينيتها بابتسامة وقار يمتزج بالرجاء تفضلا، مرارة قهوة وقطع حلوى تتلألأ. تبادلتا اشعاعًا بريقيًا بنظرة سريعة مركزة بينهما، ثم علقت رغد: قهوتك منعشة وحلواك شهية، يا ست، منار. ردت بيان: بل قولي الصينية كلها تفتح النفس. وشكرتاها على القهوة والحلوى. راحت المديرة تداعبها وتمازحها لدقائق قليلة، ثم قالت بصوت انخفضت نبرته: لقد راهنتُ نفسي، وجئت إليكما بطلب شخصي، أريد العفو عن وليام وجاكلين والآن. أريد أن أعالج كسر القلوب، فساعداني؛ لأن التصالح هو أسمى لغات البشر. كل أمل بعدم رفضكما طلبي. رغم تبادلهما نظرات الرفض المكتوم، قالت رغد: يا ست، الأمر ليس شخصيًا ، بل هو حق لعمر وحسين. وأيدتها بيان بهزة رأس حازمة. ثم أردفت المديرة، ظننت في نفسي أن لي قيمة وقدر عندكما، فيا رغد، كلامك لم يعجبني لأول مرة، وأقول لك كلميني أنا شخصيًا بمنطق جنوب العراق. فأكملت قاطعة صمت رغد: ما هذا السكوت، يا رغد؟ أنا فهمت؛ لذا أضيف إلى طلبي الأول طلبًا آخر، وهو التصالح مع جاكلين. ردت بيان، ما رأيك، يا رغد؟ اجابت رغد وهي تلمس سنسال في عنقها: لعيونه وعيون ست منار أنا أسامح وأصالح. فردت بيان: وأنا لعيونكما معًا أصالح وأسامح بشرط أن لا يكرر التجاوز.

وقفت المديرة لتحتضن كل من رغد وبيان، ثم قبلت سنسال رغد الذي صاغته بشكل عقال أبيها المفقود في المستشفى في دلهي، وطلبت منهما قراءة سورة الفاتحة على روحي أبي رغد وبيان. فدخلت منى، قالت بحزم تخفيه بابتسامة: صباح الفل والياسمين. صمتت قليلًا وهي تراهن يتمتمن ولا يجبنها. ثم سمعة منهن صباح الورد. تأملت منى وهي واقفة ملامح رغد وبيان المستسلمة لهدوء القهوة، فاستشعرت شيئاً غريباً. بادرتها المديرة بابتسامة تحاول امتصاص الغضب القادم: "أهلاً بالست منى، تفضلي. لقد جاءت القهوة في وقتها لتهدئة النفوس. قالت بصوت أجش: "اليوم أنا متحمسة جدا لأرى كيف سيُقص الحق من جاكلين اليوم. أليس كذلك؟ نظرت المديرة إلى رغد وبيان نظرة استنجاد، ثم التفتت إلى منى قائلة بهدوء حذر: "يا ست منى، لقد حسمنا الأمر. رغد وبيان، بكرم أخلاقهما وبطلب شخصي مني ومن أجل مصلحة المدرسة، قررتا العفو عن وليام والتصالح مع جاكلين. لقد طوينا صفحة الخلاف بالملح والزاد." سقطت الكلمات على مسامع منى كصاعقة. اهتزت ملامحها، وتوسعت عيناها بذهول، وهي تنظر إلى رغد ثم إلى بيان، صرخت بنبرة مخنوقة: "تصالحان؟! بطلب شخصي؟ وبضحكة مريرة أردفت: هي ستعتبر صمتكما ضعفاً. وستكررها ثانيةً؛ لأننا لم نعاقبها.

خرجت المديرة ومنى إلى غرفة الإدارة، توجهت منى بسؤال وهي تتأمل وجهها: ست منار، هل تظنين أن جاكلين تستحق العفو؟ لو كان الأمر بالعكس، فهل ستعفو جاكلين عن رغد وبيان؟ وهل تظنين أن جاكلين سوف تكف عن افتعال المشكلات؟ قاطعتها المديرة مبتسمة: على مهلك، اهدئي. استنشقي عبق الصباح. وشكر الله على نعمته فلربما متنا أو تمرضنا فعجزنا عن التنفس. وإليك رأيي الصريح: جاكلين مخطئة وتستحق العقوبة، ورغد وبيان على حق. ولكن صلاحياتنا في العقوبات هي فصل الطالب وانقاص علامات السلوك، وتوجيه اللوم إلى جاكلين. قاطعتها منى بحزم وغضب: يكفي أن تُفضح أمام المدرسات. أردفت المديرة: لذا أنا أريد أن أجعل من خطأ جاكلين حلًا جذريًا للحقد بينهن. والأهم هو أن نبعد المدرسة عن الفوضى، ونبعد أنفسنا عن تصادم بين جهتين غير متكافئتين أخلاقين، أو قد تجرهما جاكلين إلى مستواها الهابط. أما لو أنها لم تكف عن افتعال المشكلات، فثقي أنها ستتمادى وستفعل الأكثر والأكبر، وبذلك ستلقي بنفسها بتهلكة أكبر فنقتص منها بانتقام. وإن كفت واستقامت، فالله غفور رحيم.

بعد أن تجاوزت الساعة الثامنة بعشر دقائق، دخلت جاكلين إلى المدرسة بخطوات تشبه خطوات عارضة أزياء، تطرق الأرض بكعبيها كأنها تدق مسامير الوعيد، تمر مجتازة ما عُلق على الجدران من الخرائط والرسومات كأنها في استعراض عسكري، بجسد متأهب، كأفعى تستعد للفتك بفريستها. وخصلات شعرها الطويل الأصفر تنسدل على كتفيها فتلامس سترتها غير

الرسمية الحمراء، تمسك بيدها حقيبتها البريطانية وهاتفها الحديث كحداثة مكياجها. تصلب وجهها وعلت شفتها وارتفعت أنفاسها حين لمحت المعاونة قائلة لنفسي: أي صباح أسود هذا الذي أراها به كسواد سترتك الكحلية! هاجم عطرها المميز رائحة القهوة التي تملأ المكان. تجعد أنفها بحركة لا إرادية ورفعت شفتها وهزت يدها معترضة على رائحة القهوة، فقالت بصوت منزعج: هذه مدرسة وليست مجلس تخلف لأناس أميين همجيين! افهموا وعوا يا عرب. ثم ذهبت إلى قاعتها وقد نقص عمر المحاضرة اثنتا عشرة دقيقة، وقبل أن تصل قاعتها، توقفت نظراتها بنظرات رغد وهي في قاعتها شامخة خلف منصتها تشرح الدرس بوقار، فلم تجد الانكسار في عينيها كما توقعت. تحشدت جيوش القلق والغضب في داخلها إلا أنها لم تستطع التحمل حتى نهاية الدرس، فقطعت الدرس، وجاءت إلى المديرة في غرفتها.

تفاجأت المديرة باقتحام جاكلين لمكتبها، جلست أمامها دون دعوة للجلوس، وعطرها صار يشبه رائحة البارود قبل الانفجار. رمت هاتفها على مكتب المديرة بصلابة، وتوجهت للمديرة بصوت حاد يقطر سمًا وتعاليًا: إلى متى يبقى هذا العبث؟ إلى الآن وأنت لم تحاسبيهما كأنكِ لا تشعري بوليام جيمس، ولا بأمه... قاطعتها المديرة، بابتسامة قائلة: يا ست، أنا أنتظرك، فمرحبا بك. وأنا جاهزة ما دامت معاونتك المنحازة لهما غير موجودة. فسمعتها المعاونة التي كانت مارة من أمام غرفة المديرة، وجهت المعاونة كلامها إلى المديرة: يا ست، ما هذا الذي أسمعه! ثم انفجرت جاكلين بغضب: لست أنت من يتعالى علي، بل أن من يتعالى عليك ولا يكلمك. بدلًا من كبريائك الزائف انتبهي لواجباتك في المدرسة يبدو أنكِ نسيتِ دوركِ كمعاونة للمدرسة! يجب أن تحاسبي صديقاتكِ رغد وبيان على سوء أدبهما، أم أنكِ تريدين ممارسة هواية التحيز المعتادة للعرب؟" رفعت منى بصرها ببطء، وفي عينيها برود القضاة قبل النطق بالحكم. حاولت جاكلين استدراجها أكثر. قامت المديرة ومسكت منى من يدها وأخذتها خارج الغرفة. وجاكلين لم تسكت في هجومها على منى. رجعت المديرة إلى جاكلين في غرفة الإدارة، حاولت اسكاتها وتهدئتها ولكن بلا جدوى. ثم انقضت منى على الباب ودخلت، وهي تصرخ بنبرة حادة: تتحدثين عن العدالة والانضباط والأخلاق! وهل تعرفي معناهن، يا سعاد!

بعد هذه الصرخة، ساد وجوم ثقيل، اسم سعاد كان كخنجر قديم نبش من تراب الذاكرة؛ ليغرس في صدر جاكلين، اهتز كيانها الطاووسي الأحمر، وانكسرت الوقفة المتغطرسة لتتحول إلى اندفاعة وحشية جريحة نحو منى، لولا تدخل المدرسات اللواتي صنعن جداراً بشرياً من الدهشة والذهول. انطلقت صرخة مخنوقة منذ سنين من أعماقها، ومكياجها الفاخر يهرب من أمام دموعها، وصوتها يرتجف بالانكسار: نعم.. سعاد! سعاد التي لا تعرفينها يا منى، وتجرؤين على

نطق اسمها بسخرية بكل وقاحة! ليتكِ تعرفين أنها كانت أيقونة للعدل، تذوب حباً في الصدق، وتقدس النظام كأنه صلاتها. لم تكن تحمل في قلبها ذرة حقد، ولم تطلب من هذا العالم القاسي إلا ستراً وأماناً وحباً"! أوقفها الانفعال والشهيق، واجلستها المديرة وفتون ونرجس وإسراء على الكرسي بعد أن تركته ووقفت. ثم أشارت بأصبعها ويدها ترتجف مبتلة بدموعها: أنتم من قتل سعاد! التي كانت تعرف كل المعاني الإنسانية التي تدعونها الآن.. لكنكم أنتم! أنتم من طعنتم سعاد، أنتم من خذلتموها وقتلتموها بجهلكم وقسوتكم، حتى اضطررتُ أن أحرق جثتها بيدي لتولد 'جاكلين' من رمادها! ولدتُ جاكلين لكي أستطيع العيش في عالمٍ لا يرحم الضعفاء مثل سعاد"! والآن تأتين أنت لتعيريني بسعاد! سعاد التي كانت شمعة احترقت لتضيء لكم، ونوراً أطفأتموه بأيديكم؟ سعاد لم تكن خائنة يا منى.. سعاد كانت الضحية التي ترفضون الاعتراف بدمها"! سعاد اسمها الآن جاكلين.. فقط لكي أستطيع العيش في عالمٍ يدهس الضعفاء أمثال سعاد"! أرخت رأسها بين يديها، وغرقت في نوبة بكاء مريرة، بينما تراجعت منى خطوة إلى الوراء، وقد تجمدت الكلمات في فمها؛ فالحقيقة التي نطقت بها "سعاد" كانت أثقل من أن تُحتمل، وأعمق من أي رد.

تقدمت المديرة نحوها بخطوات وئيدة، وتناولت منديلًا ورقيًا؛ ومسحت به دموعها النازفة نقاء الصدق وظلام الكحل على وجنتي جاكلين التي أوقف شهيقها زلزال صمت الغرفة، دافعًا المديرة إلى احتضانها كاحتضان أم لابنة ضالة. ألقت نظرات عيني المديرة الحزينتين المنكسرتين الباكيتين بنظرات منى الممزوجة بدمع كحل عينيها، ذلك الدمع الذي غسل عيني منى ليطهر صورة جاكلين. تقدمت منى باعدة ظهرها المستند على الجدار إلى المديرة المحتضنة جسد جاكلين، وضعت يدها على كتف جاكلين، وضغطت برفق كأنها تحاول إعادة تجميع شتات تلك المرأة التي احترقت لتولد من جديد. استجابت جاكلين ليد منى التي تمسك كتفها بحزن كأنها تواسيها، واستسلمت لها منفجرة في نوبة بكاء كأنها تتقيأ نفسيًا، فرمت برأسها على صدر المديرة كأنها تستغيث. ثم أمسكت المديرة بيد جاكلين برفق أبوي، ويدها الأخرى على كتف جاكلين، قادتها إلى الكنبة التي اعتاد أن يجلس عليها الطلاب وأولياء أمورهم حين يتطلب الأمر تكريم طلاب أو محاسبتهم ومعاقبتهم. سارعت المعاونة بالاقتراب من جاكلين التي كانت أنفاسها تتلاحق كمحرك يحترق، وبحركة هادئة وحازمة، بدأت تخلع عنها سترتها الحمراء الرسمية المستوردة، وما إن انزلقت السترة حتى كُسرت قيود قفصها الصدري، وتحررت ذراعاها من ضيق الأكمام، فهوت جاكلين. تناولت المديرة تلك السترة ورمتها خارج الغرفة؛ لأنها رأت لونها في عيني جاكلين حين دخلت عليها. غاص صفار شعر جاكلين يغوص في لون الوسادة الأكريمي

الكاسر لحدة اللون الغامق للكنبة الذي امتد سواده إلى عينيها، غطت المديرة أطرافها بعد أن طلبت منها، وجلست المديرة والمعاونة عند رأسها.

دخلت رغد وبيان والمدرسات إلى غرفة الإدارة، فوجدن المديرة متألمة منكسرة عاجزة عن إخفاء حزنها ودموعها. تفاعلت المدرسات مع حالة المديرة، ففتون تأسفت قائلة: لقد بالغت جاكلين كثيرًا في المشكلة. الأمر لا يستحق كل ذلك. وردت نرجس بحزم: صدقت، جاكلين ممثلة بارعة. وهزت إسراء رأسها مؤيدة كلامها، وهي تقول: إن كل هذا تفعله جاكلين للانتقام لا أكثر. فعلقت فتون: مسكينة منى صدقت تمثيل جاكلين وذهبت معها إلى المستشفى. ورابعة قالت: فعلًا مسكينة منى. وخامسة قالت: لا بد للست المديرة من وضع حدًا لهذه المسخرة. حتى انفجرت المديرة وهي زجرتهن: كفى هراء. اذهبن إلى قاعات دروسكن. وركزن على عملكن. اشتدت نظرات غضبهن، وما إن خرجن حتى قالت نرجس: لقد بالغت أنت يا فتون، ومع ذلك فنحن سندناك وأيدناك كي لا تدعي اننا نخذلك، رغم أن مشهد جاكلين وهي منهار قد آلمني. وأجابتها أخرى ممازحة: هذه فتون ومشاكساتها حتى في الألم. وصمت رغد وبيان ثقيل كأن كل كلماتهما قد عجزت عن إعراب ما تشعران به في تلك اللحظة. بقيت عيونهما لامعتين ونظراتهما متبادلة. لم يبق في غرفة المديرة إلا رغد وبيان. كسر حاجز الصمت كلام المديرة: سأذهب إلى جاكلين المظلومة في المستشفى. فردت بيان وهي ترى رغد تتلمس سنسالها الذي في عنقها الذي هو عقال والدها: خذيني معك، وعلقت رغد: وأنا معكما.

اقتلعت آيات من سورة البقرة (وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) قلاع صمت جاكلين، التي ترتلها منى بصوت يتهدج بخشوع، فرن سمعها ليوقظ روحها وعينيها ما زالتا ملتحفتين بظلام جفنيها، اهتزت أكتافها تحت شرشف أبيض من شراشف المستشفى في دلهي كأن المرضى ينامون على ضجيج أحلامهم، في منتصف ليلة الاثنين التي أُدخلت بها المستشفى على أثر انهيارها الجسدي من نقص السكر لامتناعها عن الأكل منذ يوم السبت، والإجهاد والقلق، وصدمة المواجهة نتيجة للانفجار العصبي. في جناح يغرق في ضوء خافت يميل إلى الزرقة، أزال جفني جاكلين ذلك الأنيين السماوي؛ لترى منى بسترتها الكحلية وتحتها قميصها الأبيض جالسة عند رأسها متشحة على سجادة، وهي ترتل باقي السورة بصوتٍ ينساب كالنهر في فيافي الروح الظمأى. ثم رفعت يديها المرتجفتين نحو السماء داعية بقلب أم مفجوعة: "اللهم ارحم شموخ وجسار.. اللهم، إني استودعتك دماءهما التي سُفكت ظلماً، فخذ لي حقي ممن استباح طهرهما ويتم قلبي بعدهما، يا جبار السماوات والأرض، أنزل السكينة على من كُسر

خاطره، واشفِ كل نفسٍ متعبة". ثم ادارت وجهها وما زالت يداها مرتفعتين مرتعشتين: "اللهم، اشفِ هذه الروح المعذبة، وردّها إليك رداً جميلاً، وانزع من قلبها مرارة الغربة، واهدها إلى صراطك القويم. إنك سميع مجيب. تجيب.... فقاطعها سمعها بالتقاط شهقات، وبصرت عيناها بحركة يد جاكلين من تحت الشرشف إلا أن وخز الإبرة المغروزة في وريدها عرقل حركتها؛ لتفزع منى نحوها خائفة من تحركيها للإبرة وذلك الأنبوب البلاستيكي الرفيع الشفاف الموصل بزجاجة المغذي. وصوت جاكلين المبحوح الذي يغالبه البكاء يدوي بـ"آمين، آمين، يا أرحم الراحمين. يا منى... فتسكتها منى بصوت دمع محاولة إخفاءه بوضع كفها على فم جاكلين المرتجف. ثم تقبلها، فتشعر جاكلين بدمعة سقطت من عين منى على جبينها؛ لتشد عزمها محاولة اسكات دموع منى بمد يدها الأخرى لتلمس وجه منى. يمزج دمع منى بارتعاش يد جاكلين قبل بزوغ فجر الاثنين.

تعكس عيني كل منهما شفافية دموع عيني الأخرى، ويصمت كل منهما ألم الأخرى، لغة عينيهما تكثر من الكلام حتى انهاه وصول المديرة ورغد وبيان، وقبلاتهن لرأس جاكلين. ثم تتوجه المديرة إلى منى بسؤالها عن عدم الرد على الاتصالات التي وردت إليها منهن الثلاث، فتنظر منى لهاتف وتجد أربعة وأربعين مكالمة فائتة، وتجيب بأن هاتفها صامت لانشغالها بمراقبة حالة جاكلين. تلتفت رغد إليهن قائلة: "لنرَ أيًا منا طعامها أطيب"، فتحاول كل منهن جعل جاكلين تتذوق الطعام الذي جلبته لها بابتسامة حب ونظرة ودودة. وبعد ملاطفاتهن، واطمئنانهن على جاكلين، تطلب المديرة من منى الذهاب إلى المدرسة؛ لتكون هي برفقة جاكلين في المستشفى إلا أن منى تصر على مرافقتها لجاكلين. ثم يتركن المستشفى متوجهات إلى المدرسة، وبعد وصولهن للمدرسة الساعة السابعة وعشرين دقيقة، يرجعن ومعهن وليام وروز. داعب أنفي منى وجاكلين عبق مزيج مثير من نكهة النهر وعمق البحر؛ فقد قُضي على رائحة المعقمات والمنظفات برائحة برياني الدجاج بعطر الزعفران الملون لحبة الرز الطويلة المتناثرة، وسمكتين مشويتين مسكوفتين تفوح منهما نكهة الليمون وعبق دخان الحطب، مكسوتين بلون ذهبي ضارب إلى السمرة، تتناثر فوقهما جزيئات الملح وحبات البهارات كرمال شاطئ عتيق، تغلغلت خلطة سرية هندية عراقية نسيج لحمها الأبيض خلطة الطري، ملمعتين بشحمهما السائل. يلون هذه السفرة التي مُدت في حديقة المستشفى برتقال بلون الشمس، وتفاح بلون خدود الأطفال، وعناقيد عنب كحبات لؤلؤ منثور. أكتمل الطعام على السفرة، ابتسمت بيان قائلة: يا رغد، أنت المضيفة لنا؛ لذا نحن ناكل، وأنت لا تأكلين، بل تشبعين حين يشبع ضيوف. ردت رغد بابتسامة: بل يجب ان تأكل المضيفة أولًا. فعلت المديرة مبتسمة: أنا جائعة، ولا يستقيم حال القلب والمعدة خاوية. سأكل أنا ومنى وجاكلين ونستمتع لنقاشكما، اكملا. بدأن بتناول الطعام

والمناوشات بالمزح متزايدة. وضعت بيان أول ملعقة طعام بفم وليام، وما إن قدمت قطعة دجاج لروز، حتى الفتت على وليام ليجده ينتظر منها المزيد، فتوجهت له، مرة بملعقته تطعمه، وأخرى بملقتها تأكل. تنبهت منار لروز، فعملت معها ما عملته بيان مع وليام. ثم صارتا تأكلانهما سمك بأيديهما تضعان اللقمة في فمي وليام وروز. عدة مرات انشغلت نظرات وليام بالنظر بدقة وعينيه مستغربتين إلى روز التي تجلس بالقرب من منار التي تطعمها، وتناديها هيا هيا روزتي هيا. وروز هي الأخرى تنظر إلى وليام وبيان تطعمه، وتناديه بوليووم ماما، افتح افتح فمك جاءت جاءت. وانصرفت رغد ومنى بالاهتمام بجاكلين التي تحاول كتم نظرها عما يحصل من تناغم بين ابنها وليام وبيان، وابنتها روز والمديرة، وابناها يجمعان نظرات استغرابهما ويوجهانها لها. انتهى الطعام وما شبعوا. قُدمت الفواكه، وقدمت رغد مناديل ورقية لجاكلين لتمسح يدهما من شحم السمكة والدجاجة، ثم مسحت منى يدها التي كانت فيها الإبرة. وبعد الغسل، احتلت رائحة الهيل والورد المحمدي الطاغيتين على رائحة الشاي، وتقدم بيان صينية حلوى. وقبل حلول الغروب ذهب منى إلى بيتها، وبقيت المديرة معها، ووليام وروز ذهبا مع رغد.

لم يودع وليام وروز أمهما جاكلين حين تركاها، ولم يترك وليام يد رغد التي مسكت به حين خرجوا من المستشفى، وبقيت يده ملتصقة بيدها، ولم تبتعد روز عنهما، تقترب من رغد كأنها تطلب منها وضع يدها على كتفها كما فعل معها قبل ركوبهم بالسيارة. نزلت رغد ومعها وليام وروز عند باب مطعم زوجها، وحين رآها زوجها وهي تنزل الأواني والطباق، جاء إليها مسرعًا، تبادلا السلام، ثم قدمتهما له، فقبلهما، وأدخلهم إلى المطعم، وسألهما عما يحبان أن يأكلا إلا أنهما لم يجيباه بوضوح. ثم قال لرغد؛ فلنذهب إلى البيت، ويكون عشاءنا هذه الليل مع ضيفينا الجميلين وليام وروز. وصلوا إلى البيت، ففرح أولادهما بقدوم أمهم وأبيهم. وبعد الانتهاء من العشاء، رجع علي لمطعمه، وتولت رغد تدريس الأولاد ومعهم ضيفيهما. ليحل وقت اللعب لا النوم الذي غاب عن عيونهم، يتبادل الأولاد رمي الكرة حتى جاء صوت وليام، فضربها باتجاه حسين؛ ليردها حسين بضربة وهو حذر من وليام، وفي عينيه شرارة حقد، ثم بدأ اللعب يذيب جليد علاقتهما؛ لينغمسا في اللعب. رجع علي من المطعم في منتصف الليل، ووجد الأولاد يلعبون فلعب معهم. وفي الصباح ذهبوا جميعًا إلى المدرسة معًا.

ودعت خيوط الغروب النهار، وبينما كانت منار منشغلة في صلاتها. واستسلمت جاكلين لسكون المستشفى الذي يلف المكان. جلست قرب نافذة المستشفى المطلة على الحديقة، ترقب الهدوء المخيم على النفس قبل الممرات. تراءت لها بالأسفل صورة رغد وهي تمسك بيد وليام، وتضع يدها الأخرى على كتف روز، ضاحكة معهما. فأغمضت جاكلين عينيها، ودار في سرها

تساؤل حائر: ما سر نظراتهما المستغربة لي؟ ولماذا كانت خطواتهما متسارعة كأنهما يخطفان رغد أو يفران مني؟ ماذا يفعلان الآن؟ أيعلبان كما كنت أنا ألعب مع إخوتي وبنات خالتي حين مرضت زوجة خالي، وحل أولاد خالي عندنا ضيوفًا؟ آه، يا زمن، كم كانت حياتي حينها رحبة سعيدة، وكم كان النهار طويلًا ببهجة! تذكرت يومها زميلاتها، وتلك الوليمة والسمك الجنوبي؛ كان يومًا ممتعًا ولكنه مر كخطف البرق! تمامًا كأيامها الخوالي في كنف أهلها، حين كانت منى تحيطها برعاية تشبه حنان الأم، تخاف على موضع الإبرة في يدها، وتمسح عليها برفق. داهمتها فكرة قاسية: أكان كل ذلك الحنان إشارة لأتنبه لتقصيري مع أمي؟ أنا أحب أمي كثيرًا وأبي أيضًا، ولكني أعتب عليهما لأنهما هم من سلماها لسعيد. ذلك الزوج اللعين الذي استنزف روحي، وقتل سعاد في أعماقي.

عكرت صفوها ريح سوداء هبت عليها بصورة سعيد، تعالت أنفاسها الحارة، وانفتحت عيناها، فرددت بحسرة وحقد: أنتم يا أهلي من ألقى بي في قعر سعيد، وأنتم أيها الجيران والأصدقاء من سكب الوقود علي. وأنتم كلكم من ألقيتموني في جليد جيمس وأنانيته. جيمس، نعم، المخلص القاتل. زارني في المستشفى واقفًا عند طرف السرير يوزع نظراته بين ساعته وهاتفه؛ كأنه صديق لا زوج، لم يتظاهر حتى أمام الناس بمسؤوليتي اتجاه كما فعل سعيد. ثم غادر ببرودٍ يوازي صقيع الخارج، مسافراً وتاركاً خلفه "وليام وروز" كأنهما طردان منسيان، لولا يد **رغد** التي امتدت لتنتشلهما من ضياعهما. قطعت عليها منار شريط ذكرياتها وسلسة أقوالها في سرها بوجه رحب وابتسامة حب: الحمد لله أكملت صلاتي ودعوت لك. وها أنا مشتاقة لك. اخبريني كيف وجدت طبخ مطعم زوج رغد؟ ردت عليها والابتسامة تتمنع على شفتيها بنبرة حادة: ما أجمل جمعة الأحباب التي تنعش النفوس! اليوم عشت أجواء عراقية أنعشت نفسي. قالت منار بنبرة ملؤها الحنو: تبدين كمن خاض حربًا في دقائق؟ ماذا يا عزيزتي؟ سألتها جاكلين: لماذا تفعل رغد لي كل هذا؟ حبًا بي أو تكفيرًا عن ذنب لا أعرفه؟ ردت منار باستغراب: أي ذنب! بلا شك حبًا بك. لمعت عينا جاكلين: هذا هو الوجع الحقيقي. ظننتها كزوجي الأول سعيدًا في كلامها المثالي، فكرتها حاقدة عليها، ولكن انصدمت بأن فعلها هو كلامها. ردت منار بنبرة جادة: تصوري أنني ما سمعت رغد وبيان يذكرانك بسوء، بل تدافعان عنك دائمًا خصوصًا عندما تتأخرين عن وقت الدوام. تجمدت جاكلين في مكانها، وساد صمت ثقيل في الغرفة. ثم تنهدت بعمق وبنبرة منكسرة ردت: يا ست منار، كيف لرواحنا تحمل كل هذا الأذى وهذه الصدمات! فعلًا نحن عمالقة بصبرنا وقوة تحملنا. منار بمواساة علقت: هذا هو قانون الحياة منذ وجدت، وهذا مصيرنا منذ ولدنا. والآن، يا عزيزتي، انسي الهم، ولنعش بحب وتعالي على الجراح.

أجابتها جاكلين بحسرة وألم: كلامك هذا ذكرني بما كنت أومن به حين كنت شابة وبقي معي حتى أول فترة زواجي من زوجي الأول سعيد. ما زلت أتذكر تلك الليلة التي مرت علي قبل خمس عشرة سنة وما زلت أعيشها بكل تفاصيها. كانت الخلافات بيني وبين سعيد كثيرة والفجوة كبيرة. زوجني أهله له، وهو أكبر مني سنًا، رغبة منهم في عيشي واستقرار بأمان وسعادة؛ كونه رجلًا أربعيني مدرك للحياة، وحالته ميسورة من سيارة وبيت وأموال لكنه كان رجلًا لا يعرف معنى الحياة الزوجية؛ فكان لا يُطاق في البيت. وبعد أن وجدت أنه لا مخلص منه، قررت أن أتحدى نفسي وأحتويه بتوددي وأنوثتي وجمالي. ففي احدى الليالي، تجملت له بحليتي وملابسي الأنثوية المثيرة، بعد أن أعددت كل الأجواء التي يحبها الرجال. وحين دخل الغرفة ورآني وأنا مبتسمة منتظرة له، رد علي بفتور: ما هذا الذي فعلته! قومي من سريرك وتركي الكسل، خذي جواريبي وملابسي واغسليهن الآن. فانتفضت بسرعة محتفظة بابتسامتي وتوددي، قلت: نعم، حاضر، يا حبيبي، تدلل. فأخذت ملابسه، وغسلتها، ثم رجعت له، وهو يدخن، قدمت له كوب الشاي كما يحب. فرد علي بزجر: لم يعجبني مذاق الشاي كملابسك هذه التي تظهرك كأنك غجرية. فأجبته وما زالت ابتسامتي على وجهي: كل ما يحب زوجي سأفعله، أنت الملك وأنا زوجتك المطيعة بحب. رد علي غيري ملابسك ونامي. أريدك غدًا مستعدة لإعداد وليمة غداء لأصدقائي. فأجبته سيكون كل شيء كما تحب. فذهبت إلى فراشي، ودموعي تمسح مكياجي. ثم غلق باب الغرفة وخرج. لم يمنحني انكساري وخيبة أملي فرصة للنوم، شعرت أني إنسانة فاشلة، وزوجة غير مرغوبة. ثم هاجمني صوت ضحكاته كأنها صواريخ، فنهض بي فضولي ليريني سبب ضحكاته، ففتحت باب الغرفة بهدوء، واقتربت منه في مكان جلوسه في غرفة الضيوف؛ لأسمعه يحكي لأحدى عشيقاته ما فعلته معه، وهو يردد عبدة خادمة اسمها سعاد وهي أعجز من أن تصنع السعادة لي ولنفسها. كأن سماعة هاتفه جاسوس أمين لي تنقل كلام عشيقاته بكل وضوح وأمانة. وهو مستلق مبتسم. لم تستطع ضرباته لي قبل يومين أن تخيفي، فارتدع من الدخول عليه. فدخلت عليه ودموعي تصرخ بوجهه قبل صوتي: أتجعلني أضحوكة أمام عشيقتك! لم أكمل كلامي الذي كان يغلي بداخلي حتى قطعه علي بلكمة قوية على وجهي تتلوها ضربات افقدتني وعيي، وأراحتني بنوم لا أشعر فيه بشيء إلا أن صوته الحاد وكلماته الغليظة ايقظتني في الساعة السادسة صباحًا: قومي أيتها اللعينة الكسولة المتمردة. خذي هذا السمك والدجاج نظفيه، وطبخيه. أريد هذه المرة أصدقائي أن يتلذذوا بوجبة الغداء لا كما تطبخين من طعام لا طعم له. قاطعتها منار باستغراب: وماذا عن أهلك أمام معاناتك معه؟ فأجابتها بحسرة: آه من أهلي ومن معارفنا وجيراننا، كلهم يلقون اللوم علي، ويمجدون به دون حتى أن يسمعوني. دعيني أكمل لك القصة. ما زال اصراري يقهر ظلمه لي. فقد أعددت كل شيء على أتم وجه قبل الساعة الحادية عشرة. وصل أصدقاؤه، بعد صلاتهم مباشرة، مُدت سفرة الطعام. وأنا خلف الباب أسمع كلامهم،

قال احدهم: والله، غن الطعام لذيذ جدًا لا كما تذم طبخ زوجتك، يا سعيد؛ لذا سأكل اليوم كثيرًا. فعلق الآخر ممازحًا: بلا شك أن سعيدًا يذم طبخ زوجته؛ لأنه يريد التهرب من دعوتنا لتناول الطعام في بيته. فعلق الثالث: والله، أنا لن ألبي دعوته ثانية إن دعانا في المطعم، وسأكون أول الحاضرين إن دعانا في بيته. فأيد قوله الباقون. كنت أنظر إلى سعيد وهو معهم، وأنا أتمنى أن أكون منهم؛ لأرى ابتسامته وأسلوبه المهذب. مدت منار يدها المرتعشة نحو عيني جاكلين، ومسحت دموع ألمها بمنديل ورقي ثالث بعدما ابتل المنديلان.

كنت من فتحت الباب الصغيرة أمعن النظر في وجهه الأسود المحفور بالتجاعيد، وهو مع أصدقائه حتى ذهبوا، لحيته البيضاء المهذبة بدقة التي توحي بالتقوى، وعينيه الغائرتين المحيط بهما بريقهما المرحب بالناس، ومسبحته السوداء في يده التي يسبح بها كأنه في المسجد الذي يتردد عليه يوميًا. تصوري يا منار، أني كنت أفتش في جبهته الواسعة عن تقلصها الذي يصبح كتلة من العقد النفسية معي، وعروقه التي تبرز حين يثور. مدت منار يدها المملوءة بالحنان والمواساة لتلمس يد جاكلين المرتعشة المتعالية عن ألم وخز الإبرة. نعم، يا منار، كنت أستمع لصوته المحبب في المجالس مع الناس، لكلماته المعسولة المكثرة لأحاديث الدين والمرددة لقيم العرب. كنت أستمع لكلماته وأبحث فيها عن كلماته السليطة السوقية التي يقولها لي. ولكني لم أجدها عنده وهو مع الناس. اغرقت دموعها المنديل الخامس المرتعش بيد منار، ويدها الأخرى تضغط على يد جاكلين التي سحبتها لتلمس جرح ذراها من ضربة سعيد القديمة المنقوش أثرها. انظري يا منار، هذا ما أهداني إياه سعيد لا كما يهدي الزوج لزوجته المخلصة المطيعة له من ذهب، بل جرح التمسه حين تضيق بي الدنيا وتشد الصعاب علي، فأقول في نفسي: لا شدة أقسى علي من هذا الجرح. فأصبر وأصمد.

قطع صرير الباب صمت المكان، فتحت فتون الباب بحذر والقلق مرسوم على وجها، تتبعها نرجس بعينيها اللتين تجوبان الغرفة، وإسراء بابتسامة باهتة تزم شفتيها، وهن يقتربن من سرير جاكلين. قالت فتون بنبرة ودودة: جاكلين حبيبتي، الحمد لله على سلامتك. كيف صحتك الآن، يا عمري؟ طمنيني. القلق أكلني عليك. وتقول نرجس: عزيزتي، الحمد لله على سلامتك. فترد إسراء: ألف الحمد لله على سلامتك، يا عزيزتي. متنا قلقًا عليك. أعذرينا انشغلنا عنك، ولكن قلوبنا معك. ردت فتون: العافية يا رب، إن شاء الله المرض لأعدائك لا لك. فتقاطعها منار بنبرة حادة: فتون! أهلًا بكن. وضعت نرجس سلة فواكه، ووضعت إسراء علبه حلويات، وفتون وضعت باقة ورد على الطاولة. ثم قالت نرجس: أعذرينا، تأخرنا على زيارتك، ولكننا لا نحب أن نراك بهذه الحال. فترد فتون: انظرن إليها، وجهها الجميل صار شاحبًا كقلوبنا عليها. نظرت

جاكلين إليهن بنظرة جاكلين المتعالية، وردت بصوت خافت ومقتضب: الحمد لله. أنا بخير. ثم قالت المديرة بنبرة جادة: غدًا إن شاء الله ستخرج معافاة من المستشفى. فأجبنها: إن شاء الله، معافاة وأحسن من الأول. ثم علقت إسراء: لقد اشتقنا لست جاكلين بيننا. لأختا غاليتنا، فبدونها نشعر بوحشة وغربة. لمعت عينا فتون ونرجس، وقالت فتون: هذه أول مرة منذ استقرارنا في الهند، نشعر بغربة. حاولت نرجس كسر الجمود، فقالت وهي تلمس طرف اللحاف الذي يغطي جاكلين: بصراحة، صُدمنا بما حدث في المكتب. لم نكن نعرف أن خلف هذه القوة جاكلين تسكن روح رقيقة كروح سعاد. لماذا أخفيتِ عنا هذا الاسم الجميل؟ خطف شحوب جاكلين المفاجئ واتساع عينيها انتباه المديرة، فثار صوتها بعينين غاضبتين: نرجس! قدمي الحلوى لصديقتيك. فارتبكت نرجس، حاولت فتون استعادة زمام المبادرة بتغيير الموضوع وهي تنظر لوجه جاكلين وقد أصابه شحوب مفاجئ، واتسعت عيناها: الحلوى نأكلها بوجود حبيبتنا بيننا. ثم خرجن كأن عيني المديرة تطاردنهن.

ذهبت رغد وأولادها إلى المدرسة صباحًا كعادتها لكن هذه المرة، تمشي هي وابنتها الكبرى وروز، وحسين ووليام والباقين أمامهم. رن جرس المدرسة معلنًا انتهاء الدرس الأول، فخرجت المدرسات من قاعاتهن متوجهات إلى غرفتهن. وما إن جلسن حتى جاءت فتون بأكواب الشاي مبتسمة، ثم قالت: تناولن مني الشاي المهيل. اليوم أنا نشيطة. لم تأخذ رغد وبيان منها الشاي، ولم تعلقا سوى أن بيان قالت: نحن نحب القهوة في هذا الوقت. فردت إسراء بابتسامة: أكيد شاي منعش في هذا الصباح؛ لأنه من يديك الكريمتين. فسألتها إسراء: ما سبب نشاطك اليوم؟ فردت فتون وقد تلاشت ابتسامتها: أحاول أن أبتسم رغم أن قلبي يعتصر على مسكينة المستشفى التي لا يسأل عنها أحد غيري. بان اتساع عيني رغد، فقالت بحدة: يا ست فتون، لو سمحت لا نريد سماع هذا الموضوع مرة ثانية. فاشتد صوت فتون بنبرة هجومية: يا رغد، لماذا أنتما تكرهان المسكينة المنهارة في المستشفى! نحن نذكرها بألم، وأنتما لا تريد حتى ذكر اسمها أمامكما. أنتما لا تعرفان معنى الصداقة، وتريداننا أن نكون مثلكما. فنهضت رغد واقفة كأنها ترتعد: بل أنتن السبب في كل ما حصل، تقتلن القتيل وتمشين بجنازته. متى تخجلن مما تفعلن. ما دمت تعرفين أنها مسكينة وراقدة في المستشفى، فكفي عنها. تدخلت نرجس وإسراء والأخريات في إبعاد فتون من رغد وإخراجها إلى خارج الغرفة. وبيان همت لتلحقها لولا تدخل المدرسات. ونرجس تتوسل رغد بالهدوء. ثم تتدخل الإدارة وتصرفهن إلى قاعتهن. لتصالحهن بعد ساعة باعتذار فتون وقبولها لشرط رغد في عدم ذكر اسم جاكلين أمام رغد وبيان. ثم تقص أحداهن لرغد وبيان ما رأته في الفرصة بين الدرس الأول والثاني: خرجت من القاعة متأخرة، فلمحت وليام يجلس مع حسين وعمر يأكلون الحلوى. فردت بيان: لكنهما في العادة يأكلان في الفرصة بعد الدرس الثاني

والثالث! فرمت نظراتها إلى عيني رغد. رجعت بيان من غرفة الإدارة إلى غرفة المدرسات، فوجدت رغد تختنق بدمعة حزن. استغربت بغضب، وهمست لرغد: هل عدن لمضايقاتهن واستفزازهن لنا! والله لألقنهن درسًا قاسيًا. مسكتها رغد من يدها وجرتها لتجلسها، ثم قالت: يا بيان، لقد جاءت إلي روز، وقالت: أنا يجوع، ماما رغد. تصوري يا بيان، حتى وهي في بيتي ليلة أمس مع أولادي، ونفسي كانت تنازعني بحقدها عليها وعلى أمها. وأنا ألجم حقدي، وأتعوذ بالله من الشيطان. والآن هي عندما جاعت أتتني أنا، ونادتني بماما رغد. يا لحقد الإنسان! وخسة الحقد! هدأتها، ثم خرجتا في نهاية الدوام؛ لتجدا روز تمسك بيد بنت رغد منتظرتين رغد للذهاب إلى البيت.

وصل زوج رغد إلى بيته مسرعًا قلقًا، فهو لم يراهم كالمعتاد، وقد تجاوزت الساعة الواحدة ظهرًا بعشرين دقيقة، والغداء ما زال في المطعم. دخل بيته فوجد الأولاد يلعبون، وما إن رأوه حتى ركضوا نحوه مستقبلين ووليام وروز يقلدانهم، وهو استقبلهم كلهم وقبلهم. ثم سأل عن رغد، فقالت ابنته: هي نائمة في الغرفة. فتوجه إليها؛ ليجدها نائمة بملابس الدوام. بان القلق على وجهه: رغد حبيبتي، ماذا بك؟ قولي أخبريني. فأجابته بدموع. رد بغضب: أنت تقتلينني، قولي ما بك؟ فأجابته بما حصل معها من روز. ثم قالت: لقد قتلني براءة روز، يا علي. لقد أخجلتني، شعرت أني كنت وحشًا. لقد علمتني هذه الطفلة درسًا بليغًا. مسح دموعها، ثم قال بابتسامة: أنا واثق من إنسانيتك وتسامحك، ولكني لم أكن أعرف بضخامة حبي لك، لقد مت قلقًا عليك. لا عليك، يا حبيبتي، فأنت أم أولادي، وأمانة أبيك لي، ووصية أبي لي. الحمد لله، يوم بعد يوم أكتشف معدنك الأصيل، وأحبك أكثر، وأعرف معنى وصية أبي. ما رأيك بسفرة؟ أجل أنت قرري وخططي وأنا أنفذ. أما موضوع مناقشاتك اللغوية مع بيان، فهذا أمر مفروغ منه، ولك كل الحرية فيه.

ما هي إلا دقائق حتى رن جرس باب البيت، فتحه حسين، فدخلت بيان وأولادها. استغراب رغد انساها الترحيب، ردت بتلعثم: بيان! كيف جئت! وزوجك! ابتسمت بيان: أولًا رحبي بي! ام أنك لا تحبين زيارتي لكم! جرت ابتسامة لوجهها بقوة الحرج وقالت: أهلًا أهلًا بكم. قاطعتها بيان: لقد اتصلت بزوجي، فسمح لي بزيارتكم وانا أحمل أوراقًا وقلمًا. بعينين مفتوحين: كيف سمح لك؟ أنا أخاف منه أن يزعجك. ردت بيان: لا تخافي، هو يحاول أن يرمم ما كسره في قلبي، ويسعى جاهدًا ليعيد لقلبي حبه. بل هو سيأتي لنا هنا، في بيتكم. زاد استغرب رغد: هل هي أحجية! أخبريني ما الموضوع؟ زادت ابتسامة بيان: لقد اتصلت بك مرارًا حتى أجابتني ابنتك، يلقنها أبوها، قالت: تعالوا لنا الآن مع الأوراق والقلم، وسيكون عشاءكم عندنا بمناسبة

ذكرى وفاة جدي لأبي. والآن اعطني أوراقك لملأ الفراغات الموجودة فيها عن الكلمة. اسرعي قبل أن يحين وقت العشاء وإلا توجب علي أخذ الأوراق إلى بيتي لأكملها في الليل. أخذت بيان الأوراق وجلست في مكتبة رغد. ورغد انصرفت لتدريس الأولاد. وضعت بيان الأوراق أمامها، وبدأت بالقراءة واصابعها متعطشة للكتابة كأنها ترى نفسها تلك الطالبة المثابرة في ذلك الامتحان الذي تميزت به. ردت رغد بنبرة جادة: لن أتي إليك بعد أن أخرج، وقد تركت لك الماء وحافظة شاي وقهوة وحلوى. على الأقل أكمل الفقرة الأولى كاملة اليوم، وخذي الأوراق معك لتكملي الباقي في بيتك.

الكلمة: هي مجموعة الحروف الهجائية المرتبطة معًا، والتي تشكل لفظة واحدة. أي هي أصغر صيغة حرة. لكل كلمة طريقة لتوليدها، وشكل أو بنية خاصة بها، ولها عدة أقسام حسب معناها.

وسائل توليد الكلمات

يمكن توليد الكلمات بطرائق عديدة ومختلفة، ومنها:

1- **الوضع:** هو أول وسائل توليد الكلمات وأقدمها إذ وضع بداءة في مرحلة متقدمة من حياة اللغة وضعا غير اشتقاقي أي بطريقة الارتجال، وأغلب المفردات آتية عن هذا الطريق، مثل: شمس وقمر. كذلك في الإنجليزية، مثل : Book.

2- **القياس:** هو مقارنة كلمات بكلمات أو صيغ بصيغ أو استعمال باستعمال؛ رغبة في التوسع اللغوي، وحرصا على إطراء الظواهر اللغوية. كذلك في الإنجليزية.

3- **النقل:** هو عملية نقل كلمة من معناها الأصلي إلى معنى آخر كنقل كلمة من معناها الاصلي إلى معنى آخر لوجود مناسبة بين المعنيين، مثل: الحج. فهي الكلمة الموضوعة للقصد ثم نُقلت لقصد مكة المكرمة. كذلك في الإنجليزية، مثل كلمة (Crane) ومعناها طائر الكركي التي استعملها الإنجليزي للآلة الحديثة الرافعة.

ومن أشكال هذا النقل، نقل كلمة من اللغة نفسها، وقد يكون النقل:

أ- من معنى إلى آخر مع الحفاظ على نوع الكلمة، فالاسم يبقى اسما بعد نقله، مثل: نجاة، صباح، نور، نقاء، وتين، صفوان، جامعة. و(عنترة) نُقل من دلالته على الذبان إلى معنى البطولة. كذلك في الإنجليزية كـ(Tom) هو ذكر القطة نُقل إلى العلمية. ومثله (Swan)، (Fox)، (Rose).

ب-نقل كلمة من اللغة نفسها من معنى إلى آخر مع اختلاف نوع الكلمة، كأن يتحول الفعل إلى اسم بعد نقله، مثل: يعرب، يزيد، أحمد. أي اسم علم منقول عن فعل مجرد عن

الفاعل. كذلك في الإنجليزية يُنقل الفعل إلى اسم كـ(Fry) الذي هو فعل مضارع، ويُستخدم كاسم علم، ويُجمع ويُعرف للإشارة إلى العائلة، مثل:

The Frys are coming to dinner.

كذلك : (Bond)، مثل: Bond is a character.

كذلك: Roaring Forties, Jack.

منقول عن وصف كـ فاضل، مسعود حسن، شريف، أو اسم تفضيل كـ أشرف، أكرم أمجد. كذلك في الإنجليزية كـ(Brown) وهو لون، (White)، (King)، و(Walker)، (Frank) صفة.

وقد نقلت من المثنى والجمع كـ زيدان، سعدون، سعادات، أنمار ، أزهار. كذلك في الإنجليزية كـ(Times)، (Johns). ومنقول عن المُصغر كـ حسين، زهير، سهيلة. كذلك مثل: Rosie, Tommy, James, Jamesy.

ومنقول عن النسب كـ حنفي، سعدية. كذلك كـ(The Victorian)، (The Punjab).

ونقل للكلمة أو اقتراض من لغة إلى لغة أخرى كـ سندس، استبرق، هيلين، نيفين، جيهان، سوسن. وقد نقلت العربية من العديد من اللغات ومنها السريانية، والرومية، والحبشية، والعبرية، والفارسية، والهندية وغيرها. كذلك نجد النقل في الإنجليزية، مثل:

Sofi , Marco, Francis, Samuel.

Isabelle: Isabel, hélène: Helen, marie: Mary, Élise: Elisa

والنقل كثير في الإنجليزية، ومنه: نقل من العربية (Sheikh)، من اللاتينية (Campus)، من الهندية (Guru)، من الاسبانية (Alligator, mach)، من الفارسية (Bazaar)، من الصينية (Chow mein)، من اليابانية (Sake).

4- التصريف: هو أخذ كلمة من كلمة مع عدم تغيير نوع الكلمة المأخوذة، وذلك بإضافة وحدة تصريفية للكلمة، أي هو عملية خلق كلمة جديدة تحمل معنى جديد مع الحفاظ على نوع الكلمة؛ للحصول على معنى جديد كالحصول على دلالة الشخص أو تغيير زمن الفعل، مثل: أكتبُ، ويكتبُ، كتبَ. كذلك (Inflection) في الإنجليزية، مثل:

Write, writes, wrote.

أو العدد أو النوع (الجنس)، مثل : مهندس، مهندسون، مهندسة، مهندسات.

وكذلك في الإنجليزية، مثل: Boy : boys – write : writes – want : wanted

ومن أغراض التصريف:

أ- تثنية الاسم المفرد، مثل: كتابان. Two books.

ب- جمع الاسم المفرد، مثل: مهندسون. Children.

ت- تصغير الاسم، مثل: كُتيب. Booklet.

ث- تغيير جنس الاسم، مثل: مهندسة. Actress.

ج- مقارنة الصفات، مثل: أجمل. Faster.

ح- مفاضلتها، مثل: الأجمل. Easiest.

خ- الإشارة إلى الشخص الثالث الغائب المفرد في الزمن الحاضر، مثل:

أكتب: يكتب : تكتب، Writes, studies.

د- تغيير زمن الفعل من الزمن الحاضر والزمن الماضي، مثل :

يدرس : درس، Go : went.

وكل ذلك مع المحافظة على نوع الكلمة المضاف إليها الإضافة فما كان اسمًا قبل إضافة الوحدة الإضافية له بقي اسمًا بعد إضافة مقطع إضافي له.

5- **الاشتقاق:** هو عملية اخذ كلمة من كلمة أو أكثر مع تناسب بين المأخوذ والمأخوذ منه في اللفظ والمعنى، ويُسمى اللفظ الأصل (المشتق منه)، وأما اللفظ المستخرج فيُسمى (المشتق)، مثل: كتب: كاتب ومكتوب كتّاب. كذلك (Derivation) في الإنجليزية: هو إضافة مقطع إضافي ثانوي إلى الكلمة الأصلية (جذر)؛ لتغيير نوع الكلمة، أي هو أخذ كلمة جديدة من الكلمة الأصلية مع تغيير نوع الكلمة المأخوذة، وبذلك تتغير وظيفتها في الجملة، وذلك بإضافة وحدة اشتقاقية للكلمة، مثل: happy : happiness

وبلا شك فان الاشتقاق وسيلة من وسائل نمو اللغة وتكثير مفرداتها واثرائها.

والاشتقاق ثلاثة أنواع، هي:

أ- الاشتقاق الصغير (الأصغر أو العام): هو اخذ كلمة من أخرى آصل منها مع اتفاقهما في المعنى والأحرف الأصول، أي نزع لفظ من آخر، بشرط مناسبتهما معنى وتركيبا، ومغايرتهما في الصيغة، مثل : أجلسَ من جلسَ. حَذِرَ من حَذِرَ. ونجد في الإنجليزية هناك تغيير لنوع الكلمة من خلال لفظها، وهي ظاهرة التشديد (stress) التي تستعين

بها اللغة الإنجليزية للتمييز بين أقسام الكلام كالتمييز بين الاسم أو الصفة والفعل، فما كان التشديد في أوله فهو اسم أو صفة، وما كان التشديد في وسطه فهو فعل، مثل:

Rebel : `rebl : re`bl.

ب-الاشتقاق الكبير (القلب اللغوي): هو اخذ كلمة من أخرى مع وجود تناسب بينهما في اللفظ والمعنى من دون ترتيب الحروف، مثل : جذب وجبذ، بذج وبجذ. ونجد أقرب ما يكون لهذه الفقرة هو في مثل: Hoping : hopping.

ت-الاشتقاق الأكبر: هو عبارة عن إقامة حرف مكان آخر في كلمة، مثل: هديل وهدير، نفق ونهق، سقر وصقر، سراط وصراط، جنف وجرف. ونجد في الإنجليزية مثل:

decide : decision, China : Chinese

6- **التركيب:** هو ربط أكثر من كلمة. بحيث تُعامل الكلمة الجديدة المركبة معاملة كلمة واحدة، مثل : بيت بيت ، أحدى عشرة.

اكملت بيان قراءتها لتعريف التركيب، ثم قالت لنفسها يسمعها السجل: نعم، يا رغد، ارتبطنا برباط التركيب وصارت المنافقات يعاملننا كامرأة واحدة لا اثنين. ثم ابتسمت وأكملت: ونحن أيضًا نراهن مرتبطات برباط التراكيب ونعاملهن كمرأة واحدة منافقة.

كذلك (Compounding) في الإنجليزية، مثل:

Man-servant , maid-servant , cow elephant, camel : She – camel

7- **النحت:** هو اخذ كلمة أو توليد كلمة من كلمتين أو أكثر بقصد الاختصار، فالعرب تنحت من كلمتين أو أكثر كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار في النطق تسهيلا للفظ، واقتصادا في الوقت بقدر الإمكان، (أي هو أخذ من حروف الكلمتين أو الكلمات التي نُحتت منها)، مثل: البسملة أي بسم الله الرحمن الرحيم. حمدل أي الحمد لله.

علقت بعد ان انتهت من قراءة النحت: آه منك يا رغد، هل تقصدين أن الإنسان منحوت من لحم ودم، أو من ألم وصبر؟ وأن العالم نحت الدنيا ومشكلاتها فينا نحن!

كذلك في الإنجليزية فان (Blending) هو عبارة عن توليد كلمة جديدة من الأحرف الأولية للكلمة الأولى والأحرف النهائية من الكلمة الثانية؛ لتكوين كلمة جديدة، وبلا شك فان الغرض من هذا الاستخدام (أي توليد كلمات جديدة) هو الاختصار، مثل:

كلمة : smaze المنحوتة من : smoke + haze

كلمة : brunch المنحوتة من : breakfast + lunch

كلمة : telecast المنحوتة من : television + broadcast

8- **التعريب:** هو اللفظ الأعجمي الذي دخل اللغة العربية عن طريق الاحتكاك باللغات الأخرى الأجنبية. فقد عرّبت العرب كلمات كثيرة وادخلتها في لغتها على مر العصور كالآجر والساذج والصولجان والمغناطيس والهيولى والماكنة والتلفاز والتليفون وكمبيوتر، إسماعيل التي أصلها (إشمائيل) وغيرها. ونجد في الإنجليزية الاقتراض Borrowing: هو عبارة عن اخذ كلمة من لغة واستخدامها في اللغة الإنجليزية، مثل:

(Croissant) فرنسية، (dope) هولندية، (lilac) فارسية، (piano) ايطالية، (pretzel) المانية، (sofa) عربية، (tycoon) يابانية، (yogurt) كردية، (zebra) البانتو.

9- **اشتقاق فعل من اسم:** أي أخذ فعل من اسم وضع للاسمية منذ أول أمره، أو من اسم ليس بعربي، مثل: فرعون: يتفرعن ، فاكهة : تفهك. وأنفتُ الرجل (ضربتُ أنفه)، وتأرض (أي لصق بالأرض). والاسم (ليث) مشتق من الاسم الليوث، ومعنى الليوث شدة الجسم والصلابة، ومنه يمكن اشتقاق فعل، مثل: استليثَ الرجلُ، إذا قوي واشتد. كذلك نجد في الإنجليزية مصطلح Backformation: هو عملية اشتقاق فعل من الاسم الذي وضع للاسمية من أول أمره أو من الاسم غير الإنجليزي، وبلا شك فان في ذلك إثراء لكلمات اللغة، مثل: (Televise) من (television)، (donate) من (donation)، (emote) من (emotion)، (enthuse) من (enthusiasm)، (babysit) من (babysitter).

أو اشتقاق الأحرف المجمعة على شكل كلمة كـ(Laser) فهي اسم مكون من أوائل الكلمات: Light amplification by stimulated emission of radiation.

ويمكن اشتقاق فعل منه، مثل: Laser : lase

كذلك يمكن في الإنجليزية استخدام الفعل كاسم وبالعكس وهو ما يُطلق عليه مصطلح (Conversion)، مثل: Guess , must , spy, printout

10- **الابتكار (Invention) أو (Coinage):** هو عملية ابتكار كلمات جديدة من خلال اختراع أسماء تجارية للمنتجات التجارية التي تصبح أسماء عامة؛ ولذلك فلا حاجة لكتابة أول هذه الأسماء بشكل الحرف الكبير، فهو ليس بمعرف ومحدد، وهذه الكلمات التجارية المخترعة تتداول بين الناس، وتدخل للغة ويكون لها وجودا كأنها من أصل اللغة، مثل:

Zipper, kleenex, asprine, nylon, vaseline, teflon, tylenol, Xerox, kodak

11-**الحركة والسكون:** من المعروف ان في العربية حركات، وتولد هذه الحركات والسكون في بنية الكلمة معنى جديدا، فالحركات والسكون تغير معنى الكلمة الواحدة على الرغم من عدم تغيير أحرفها، مثل: بَر: أي اليابسة، بُر: أي الحنطة، بِر: أي الاحسان. أما الإنجليزية فلجأ إلى التغير الصوتي في لفظ الكلمة للتعبير عن المعاني والتفريق بين الكلمات وذلك في الكلمات التي لها نفس الأحرف كـ(Read)، فبنية الكلمة واحدة وأحرفها ثابتة ولكن لها لفظان ولكل لفظ معنى، وبذلك فان هناك: كلمة واحدة لها لفظان بحسب المعنى المراد كـ(Read , use). كلمتين لهما لفظ واحد، مثل : Right : write , to : too. كلمة واحدة فيها تشديد في لفظها. ونجد في الإنجليزية تغيير للفظ أحرف العلة وذلك من خلال تأثير حرف على لفظ حرف آخر على لفظها على الرغم من ان الحرف المؤثر قد لا يلفظ كـ(hat: hate, car: care, age: ago).

أو بتكرار الحرف كـ(of: off, hoping: hopping)

12-**الإلحاق:** هو زيادة حرف أو أكثر في بنية كلمة لتوليد كلمة جديدة لها معنى مختلف، مثل:

جلب: أي ساق الشيء من موضعه إلى موضع آخر. جلبب: أي ألبس الجلباب.

حقل: أي أصاب الفرس وجع في البطن. حوقل: أي مشى الرجل فأعيا وضعف.

لجأت الإنجليزية إلى إضافة حرف إلى كلمة لها معنى مستقل لتغيير معناها وتوليد معنى جديد كـ(Night: Knight, right: write, to: too, car: care).

13-**استخدام أسماء الرموز المشهورة:** أي تحويل اسم شخص إلى رمز يستخدمه الناس للإشارة إلى شيء معين، وبذلك يمكن الحصول على كلمة جديدة كـ(حاتم) للإشارة إلى الكريم، والخوارزمية إشارة إلى الخوارزمي. فقد يشتهر علم من الأعلام بصفة من الصفات فيذكر بقصد استحضار صفته، لا بقصد ذكر المسمى وذلك كاشتهار حاتم بالجود، وفرعون بالتجبر، وقارون بالغنى، وعنترة بالشجاعة، فيقال: هو حاتمُ هذا العصر. ومنه استخدام كلمة (آدم) للإشارة إلى الرجل، وكلمة (حواء) للإشارة إلى المرأة. ونجد في الإنجليزية مصطلح الرمز (مُعطي الاسم) (Eponym)، أو (Antonomasia): وهو عبارة عن استخدام اسم شخص أو مكان أو قبيلة أو مؤسسة أو بلاد؛ للدلالة على شيء معين؛ لوجود صلة وثيقة بين اسم الشخص والكلمة الجديدة المأخوذة من الاسم كـ(Sandwich) الذي هو مكان جيوغرافي، تعني باللغة الإنجليزية القديمة "السوق الرملي" أو "المكان على الرمل " (Sand + wic). وتسمية المخترعات بأسماء مخترعيها ومكتشفيها، مثل:

(Fahrenheit) نسبة إلى العالم الالماني (Gabriel Fahrenheit).

(Volt) نسبة إلى العالم الايطالي (Alessandro Volt).

(Watt) نسبة إلى العالم الاسكتلندي (James Watt).

(Jeans) نسبة إلى المدينة الايطالية (Genoa) التي صُنع فيها هذا النوع من الملابس لأول مرة. ومثل: Shakespeares (Authors like Shakespeare)

She is the second Mrs White – the first one died.

Lu Xun has been known as "the Chinese Gorki.

14- الاصوات: هي عبارة عن تسمية الأشياء أو الكائنات الحية بأصواتها التي تصدر منها، مثل: البط ، والبَمَّ (للوتر الغليظ)، وغاق (للغراب)، والواق (للصُرد). ومنه حاء، وعاء، هاء. ونجد في الإنجليزية ما يقابله مصطلح (Echoism): هو الكلمات التي تقترح أصواتها معانيها، مثل: Whiz, whoa, miaow, meow, mew.

رفعت بيان رأسها غير منزعجة من ضحكات الأطفال، بل شعرت أن ضحكاتهم زغردة فرح لاستيعابها الفقرة الأولى، ثم قالت مكلمة نفسها: كم أنت دقيقة يا رغد، ومجدة! حان وقت الغروب، وبلا شك أن رغد تنتظرني ولكنها لا تدخل علي كي تمنحي فرصة كتابة ملء الفراغات، وزوجي على وصول. والعشاء ينتظرنا. احببت هذه المقارنات، يا ربي، متى نكملها؟ فهمت هذه الفقرة الأولى، وسجلت ملحوظاتي عليها وسأكملها وأفصلها أهذبها وأدققها في مكتبتي؛ لذا علينا أن لا نتأخر في مغادرة بيت رغد، لي معك أيتها الفراغات وقفة فارس. ولكن، ستكون جلسة عائلية مع رغد وزوجها وأطفالهما، وروز ووليام ككلمتين مقترضتين دخلتا البيت العربي، وأنا أحب هكذا تجمع. ثم أن أولادي تعبوا من المدرسة والدراسة، لم نخرجهم لسفرة ولا لتنزه، وهم يحتاجون التواصل الاجتماعي مع الآخرين وخصوصًا أولاد العوائل. فقطع حديثها مع نفسها صوت جرس الباب، فعرفت أنه زوجها، لتدخل عليها ابنتها تخبرها، وما زالت الأوراق أمامها تجر حبال عينيها، فحررت عينيها ومدتهما نحو ابنتها، وقامت لاستقبال زوجها.

بعد أن أنهت واجباتها اتجاه بيتها وزوجها، دخلت غرفتها، فتحت الباب، وأغلقته بسرعة، ثم ضغطت على زر الإنارة الثاني، ومدت يدها لتمسك الأوراق، وهي جلست، وبدأت بالقراءة والتأمل لملء الفراغات:

بنية الكلمة

من الكلمات ما تكون بنيتها ثابتة لا تتغير كالضمير مثلًا وبعض الادوات (هو، أنتم، الذي، إذا)، ومنها ما يمكن أن تتغير بنيتها بزيادة حرف أو تنوين، أو حذف، أو تغيير. ومن ذلك التغيير الذي يطرأ على الكلمة:

أولًا: الابدال: هو أن تقيم مكان حروف معينة حروفا أخرى، بقصد معين، ومنها: ابدال الواو ألفا في (صام) لان أصلها (صوم)، وابدال الطاء من التاء في (اصطنع) لان أصلها (اصتنع). وإبدال حرف أو أكثر في شكل الكلمة، مثل: قال: قيل، يأكلُ: يؤكل، طالب: طلبة. اتمت قراءة النقطة الأولى، وقالت لنفسها: نعم، يا رغد، كذلك في الإنجليزية، مثل:

Lie : lying, take : took, send : sent.

Lie : lay – understand : understood.

أو بقلب الحرف (Y) الوارد في نهاية الاسم إذا كان قبله حرف صحيح إلى حرف (I)، مثل : Country : countries, Lady : ladies.أو بقلب حرف الـ(F) إلى (V)، مثل : Wife : wives.

ثانيًا: الحذف: توجد تغييرات تطرأ على الكلمة مع عدم تغيير معناها الأصلي، بل وإضافة معنى آخر لمعناها الأصلي، أي تغيير في شكل الكلمة فقط أما المعنى الأصلي فهو نفسه، وهذا التغيير لسبب ما كالجزم أو الاختصار. وللتوضيح أكثر نقول توجد ظاهرة حذف أحرف من الكلمة لغرض ما ففي العربية يُحذف حرف من الفعل في النصب كـ(لن يكتبوا) والنداء المرخم كـ(يا خال أي يا خالدا). ونجد في الإنجليزية كلمات حُذف منها حرف للتطور مثلا كـ(Helpe) أصبحت (help)، أو للاختصار كـ(fan) أي (fanatic)، وهو ما يُسمى بـ(Clipping) هو عبارة عن اختصار كلمة طويلة مكونة من أكثر من مقطع، بحذف من أحرفها النهائية والاعتماد على أحرفها الأولى؛ للإشارة إلى معنى الكلمة وعدم ضياعها على المتكلم، مثل: كلمة (exam) أي (examination)، (gas) أي (gasoline). ويمكن ترتيب الأحرف المحذوفة من الكلمة لسهولة لفظها؛ كونها ستلفظ كلمة وليس قراءة للأحرف، ولكن بشرط عدم ضياع معنى الكلمة المحذوفة كـ(fax) أي (facsimile)، (flu) أي (influenza). ويمكن أن يكون الاختصار في أكثر من كلمة (perm) أي (permanent wave)، (Co-ed) أي (Co-education).

لحذف حرف أو أكثر من الكلمة أغراض، ومنها:

1- نصب الفعل المضارع، مثل: لن يذهبوا، لن يذهبا ، لن تذهبي.
2- جزم الفعل المضارع، مثل: لم يكتبوا ، لم يكتبا ، لم تكتبي.
3- بناء الفعل للأمر، مثل: ادعُ ، صلِ ، احشَ.
4- نداء الاسم، مثل: يا أحمُ ، يا فاطم. يا خلدون (يا خلد) ، يا إسماع (يا إسماعيل).
5- الإضافة، مثل: فلاحو القريةِ ، فلاحا القريةِ ، فلاحي القريةِ.

أما في الإنجليزية فهنالك حذف في الفعل المضارع، مثل:

Save + ing : saving , meet : met, helpe : help.

وفي الاسم للاختصار كما وضحنا سابقا وسقنا أمثلة، وفي الجمع كـ(mouse: mice).

وهنالك من الكمات ما يُحذف منها حرف، وقد لا يُعوض عن الحرف المحذوف، مثل: يا صاحبي المعروفِ، عمَّ ، زرْ ، لم يكن، لم أك. وقد يُعوض عنه إما بحركة أو بحرف، مثل: ادعُ ، ولم يخشَ، لم يقولوا، درسوا.

ولا يختلف الأمر كثيرًا في الإنجليزية؛ فهنالك من أحرف الكلمة ما يمكن حذفه، ويمكن أن لا يُشار إلى الحرف المحذوف، مثل: Bite : bit – hide : hid.

Meet : met – bleed : bled – feed : fed – choose–chose.

ويجب حذف حرف الـ(S) من المضاف إليه المجموع جمعا قياسيا مثل :

The boys` book : (boys)

ويمكن أن يُشار إلى المحذوف من خلال حرف مضاف إلى نهاية الكلمة المحذوفة منها حرف أو أكثر من حرف، وهو نوع من الاختصار، ويمكننا قول ان في الإنجليزية ما يعبر عن الاختصار، فقد خصصت الإنجليزية لهذا الغرض ما يُسمى بـ(Hypocorisms)، وهو عملية تقليل الكلمات الطويلة إلى كلمة قصيرة بقصد الاختصار ومع الاشارة إلى معنى الاختصار من خلال إضافة (le) أو (Y) إلى نهاية الكلمة المختصرة، مثل: (moving pictures) تُختصر إلى (movie)،

(Australian) تُختصر إلى (Aussie)، (bookmarker تُختصر إلى (bookie)، (barbecue تُختصر إلى (Barbie).

ثالثا: الزيادة: مما هو غني عن البيان ان لكل من الأفعال والأسماء العربية أبنية خاصة منها ما هو مجرد ومنها ما هو مزيد. ويمكن حصر حروف الزيادة التي تُزاد على بنية الكلمة الأصلية بـ(سألتمونيها)، ولهذه الزيادة في الكلمة أغراض كثيرة ومختلفة ومهمة لإثراء اللغة، وإيضاح المعاني التي يريد المتكلم الافصاح عنها، وفائدة الاختصار لكل من المتكلم والمخاطب. كذلك في الإنجليزية فان لكل كلمة بنية خاصة منها ما هي مجردة ومنها ما هي مزيدة، وقد قسمت الإنجليزية الوحدة اللغوية بحسب الأصالة على وحدة لغوية أصيلة (Base) أو الجذر (Root)، ووحدة لغوية ثانوية إضافية (Affix). ولهذه الإضافات أغراض كثيرة ومختلفة ومهمة كما هو الحال في العربية. ومن هذه الإضافات: s, ed, ing, er, est, un, in, im, ir, il, less, non, a, dis, dom لا معنى لهذه الإضافات من دون الكلمات الاصلية (الجذر) التي لها معنى. ويمكن أن تكون إضافات تصريفية ويمكن أن تكون اشتقاقية، ويمكن أن تكون في أول الكلمة الأصلية ونهايتها، ويمكن أن يكون هنالك تغيير أحرف الواردة في وسط الكلمة الأصلية أو تقديمها أو تأخيرها. كذلك في الإنجليزية.

ومن أغراض هذه إضافة هذه المقاطع الثانوية للكلمة الاصلية الجذر تثنية الاسم المفرد وجمعه، والإضافة، والتصغير، والتذكير والتأنيث، والنفي، والإشارة إلى الزمن، والمقارنة والمفاضلة، والاشتقاق أي تغيير نوع الكلمة.

من المعروف ان في العربية ضمائر منفصلة وضمائر متصلة، فالمنفصلة معروفة باستقلالها بشكل منفرد عن غيرها من الكلمات، أما الضمائر المتصلة فتتصل بالفعل والاسم والحرف، ويمكن اتصال أكثر من ضمير في كلمة واحدة، وبذلك فان شكل الكلمة يتغير، وهو بلا شكل يختلف عن الانفصال ليس فقط من حيث المعنى، بل من حيث شكل الكلمة واختصار الجملة بكلمة واحدة، وهو بذلك نوع من الاختصار، مثل : إياكَ نعبد: نعبدك. وإياكم نعني: نعنيكم. تفتقر الإنجليزية لمثل هذا.

رابعًا: تغيير في اللفظ: مما يطرأ على الكلمة تغيير في لفظ حرف من أحرفها أو أكثر من حرف؛ وبلا شك ان هذا التغيير في اللفظ لغرض معين، ففي كلتا اللغتين اختلاف لفظ حرف من أحرف الكلمة يجعلها تختلف ويولد معنى جديدا في الكلمة، مثل: ضربَنا وضربْنا، فلاحينَ وفلاحونَ، كَتَبَ وكُتِبَ، دَقَ ودُقَ، مُجتهِد ومُجتهَد. وهذا واضح كما في الفعل الإنجليزي كـ(read) و(use).

خامسًا: أكثر من تغيير: بينا فيما سبق انه في كلتا اللغتين يمكن ان يرد قلب لحرف من أحرف الكلمة، أو يرد حذف حرف أو أكثر من الكلمة، أو زيادة على بنية الكلمة، أو تغيير في لفظ حرف من أحرفها أو أكثر. ونود أن نشير هنا إلى انه يمكن أن يطرأ على الكلمة في كلتا اللغتين العربية والإنجليزية أكثر من تغيير، وقطعا هذه التغيرات في الكلمات تُحدث تغيير في معنى الكلمة، ومن هذه التغيرات: قلب وحذف، مثل: عصا: عصوان: عصوا زيدٍ. ومثل: قلب وإضافة، مثل: نال: نيلتْ، ذكرى: ذكريات، باب: بوبيات.

ومثل : Happy : happiness , study : studies.

حذف وإضافة، مثل: مهندس: مهندسو المشروعِ، مصطفى: مصطفون، طالبة: طالبات، طلحة: طلحات. كذلك في الإنجليزية، مثل:

Save: saving, wise: wisdom, simple: simplify

إضافة وتغيير في اللفظ، مثل: ذكرى: ذكريات. كذلك في الإنجليزية، مثل:

Wise: wisdom, Practice: practically

وعلقت بيان هامسة لنفسها: لغتان أختان، يا رغد، فلا تظني أن اللغة العربية بأفضل من الإنجليزية في هذا الموضوع. وأنت يا جاكلين لا تجزمي بأن الإنجليزية أفضل من العربية.. فلأقارن معنى الكلمة في اللغتين..

معنى الكلمة، يمكن تقسيم الكلمة حسب معناها على:

أولا : اشتراك الكلمة من حيث كتابتها ولفظها ومعناها:

1- اشتراك في كتابة الكلمة، هناك كلمات مشتركة في كتابة حروفها بصرف النظر عن اللفظ (حركة الحرف وسكونه) كـ(حلم): رأي في المنام. حلُم: صار حليما. حلِم: الأديم إذا فسد وتثقب. ومثل : بر، مثل: بَر : أي اليابسة. بُر : أي الحنطة. بِر : أي الاحسان.

كذلك في الإنجليزية يشير مصطلح Heteronyms إلى كلمات لها شكل كتابي واحد، لكن لفظها ومعناها مختلف كـ(bear) لها لفظان ومعنيان، هما: دب، يتحمل. ومثل:

row : تُلفظ /roʊ/ ومعناها صف أو ترتيب، و /raʊ/ ومعناها شجار

lead : تُلفظ /lɛd/ ومعناها معدن، و /li:d/ ومعناها يقود

tear : تُلفظ /tɛər/ ومعناها تمزيق، و /tɪər/ ومعناها دمعة

2- اشتراك في لفظ الكلمة، لفظ واحد لكلمتين مختلفتين في الكتابة والمعنى، مثل: لهُ ولهو، تبنى وتبنا، يحيى ويحيا. كذلك في الإنجليزية، وهو ما يُسمى بـ(Homophone)، مثل:

Right : write , pail : pale , to : too : two , flour : flower

3- دلالة كلمة واحدة على معنيين أو أكثر، أي ما اتفق لفظه وكتابته واختلف معناه كـ(عين)، مثل: وقع على عينه فانكسرت. (معناها ركبة)، احذر فيهم عين. (معناها جاسوس)، هم قرب عين. (معناها عين ماء). ومثل: ضربَ، ضرب لهم مثلا. أي ذكر، ضُربت عليه الذلة. أي كُتبت، ضرب في الأرض. أي سعى، ضرب له قبة. أي أقام، ضرب له موعدا. أي حدد، ضرب العملة. أي صاغ، ضرب خمسة في ستة. أي حسب، ضرب أخماسًا في أسداس. أي ارتبك. كذلك في الإنجليزية ما يُسمى (Homographs) كـ(quail): الانبطاح، نوع من الطيور، (bank): ضفة، مؤسسة مالية، (pupil): تلميذ، بؤبؤ، (race): سباق، عرق، (can): فعل مساعد بمعنى (يستطيع)، اسم بمعنى (علبة).

كذلك الجناس، أي تشابه لفظين في النطق والكتابة، واختلافهما في المعنى كقوله تعالى: (ويوم تقوم الساعةُ يُقسمُ المجرمونَ ما لبثوا غير ساعةٍ). فالمراد بالساعة الأولى يوم القيامة، وبالساعة الثانية المدة من الزمان، ومثله: رحبةٌ رحبةٌ. فرحبة الأولى: فناء الدار، ورحبة، الثانية: بمعنى واسعة. ومثله في الإنجليزية مصطلح (Word play) وهو استخدام كلمة لها لفظ واحد بمعنيين مختلفتين، مثل:

They went and told the sexton, and the sexton told the bell.

فكلمة (told) الأولى بمعنى أخبر، والثانية بمعنى دق.

4- اشتراك الكلمة مع غيرها في المعنى (الترادف)، هو أن يدل لفظان أو أكثر على معنى واحد، أي ما اختلف لفظه واتفق معناه، مثل : أسهب وأطنب وأفرط وأسرف وأفرق، السيف والحسام والمهند واليماني. فهذه الكلمات المختلفة تدل على معنى واحد. كذلك في اللغة

الإنجليزية Synonymy كـ(almost, nearly)، (big, large)، (buy, purchase)، (cab, taxi).

5- اشتراك الكلمة في معنيين متضادين كـ(جون) التي تطلق على الأبيض والأسود، وكقوله تعالى: (وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا)، فأسروا بمعنى كتموا. كذلك في اللغة الإنجليزية يشير مصطلح contronym or contranym إلى كلمة ذات معنيين متعاكسين كـ(sanction): عقوبة لمخالفة قانونية، وإذن أو موافقة رسمية على إجراء. وبمعنى نثر في الآتي: (to dust the cake with icing sugar)، وبمعنى أزال في (to dust the books).

6- اشتراك الكلمة في كتابتها ولفظها عبر نقل معنى الكلمة من معناها الحقيقي إلى معنى آخر كـ(الحج)، فهي الكلمة الموضوعة للقصد ثم نُقلت لوجود مناسبة بين المعنيين إلى قصد مكة المكرمة. كذلك نقل معنى كلمة (جامعة، كلية) من المعنى الأصلي إلى معنى آخر. و(عنترة) التي نُقلت من دلالتها على الذبان إلى معنى البطولة. كذلك في اللغة الإنجليزية، مثل كلمة (Crane) ومعناها طائر الكركي التي استعملها الإنجليزي للآلة الحديثة الرافعة.

7- اشتراك الكلمة في معناها مع كلمة أخرى رغم اختلاف حرف من أحرفهما لقرب مخارج الحرفين، مثل: مغص ومغس. صراط وسراط. صقر وسقر. الصقب والسقب (القرب). الصامغان والسامغان (جانب الفم). وقد استفادت اللغة الإنجليزية من هذه التقنية في توليد كلمات جديدة لها معان مختلفة كما استفادت اللغة العربية، مثل: ضفر (الرجل القصير)، وظفر. الضن (البخيل)، والظن. الحنضل (الظل)، والحنظل. الظبارة (الصفحة الصغيرة)، الضبارة (جمع أي أكثر من ظبارة واحدة). عظ (اشتد)، عض. سافر ، صافر. لكن اللغة الإنجليزية لم تفسح المجال لجعل الكلمة تلفظ بحرفين متقاربين دون تغيير المعنى كما هو الحال في اللغة العربية، بل جعل لكل كلمة معنى مستقل عن الأخرى في حال تغيير حرف منها، مثل: fan: van, safe: save, peak: beak, pride: bride

8- اشتراك الكلمة مع كلمة أخرى من خلال اختصار الكلمة الأصلية، أي نحتها، مثل: نا، المنحوتة من أخبرنا، ثنا: المنحوتة من حدثنا. كذلك في الإنجليزية كما يشير مصطلح (Blending) الذي هو اختصار كلمتين، مثل: .(bit): المنحوتة من : binary + digit، كذلك تعني: يعض، لقمة. ومن كلمة مكونة من أوائل الحروف، وهو ما يُسمى بـ(Acronym) الذي هو تكوين كلمة جديدة لها معنى واضح ومفهوم من أوائل حروف كلمات أخرى، مثل: zip : مكونة من أوائل الكلمات: Zone improvement plan، وبمعنى: يندفع، لا شيء. أو في الاسم للاختصار كـ(fan) أي (fanatic)، وهو ما يُسمى بـ(Clipping) هو عبارة عن اختصار كلمة طويلة مكونة من أكثر من مقطع، وذلك بحذف

من أحرفها النهائية والاعتماد على أحرفها الأولى؛ للإشارة إلى معنى الكلمة وعدم ضياعها على المتكلم، مثل: فـ(bar): أي: brassiere، كذلك بمعنى: قضيب معدني، ما عدا، سمك كبير. فـ(cab): أي: cabriolet، كذلك بمعنى: القاب، مركبة ذات عجلتين، المقصورة. فـ(fan): أي : fanatic، كذلك بمعنى: مروحة، معجب.

9- اشتراك الكلمة في معناها العام، فلا يوجد ترادف متماسك أو تام بين الكلمات في اللغة نفسها، وذلك لكثرة المعاني، ولكل كلمة معنى دقيق كـ(سكت، صمت) فالأول هو من أمسك عن الكلام مع القدرة عليه، والثاني ترك النطق دون اشتراط القدرة على التكلم، ومثله البخيل، هو الممسك، والشحيح الذي يزيد على شدة البخل، والمخطئ هو غير متعمد، والخاطئ هو المتعمد. كذلك في اللغة الإنجليزية، مثل: (will) و(shall) و(be going to infinitive)، فجميع يُستخدم للمستقبل، ولكن الثاني يُستخدم لعموم المستقبل على العكس من الصيغتين، والثالثة للمستقبل القريب. (can) و(may): فكلاهما لطلب الإذن لكن الثاني رسمي مهذب. (arrive): يستخدم بشكل أكثر شيوعًا للوصول إلى وجهات بعيدة. (reach): يمكن استخدامه للمسافات القصيرة والطويلة، ويمكن أن يشير إلى الوصول إلى مستوى أو حالة.

10- اشتراك اللغات في وجود كلمات مشتركة بينها، كاشتراك كلمات في اللغة العربية مع غيرها من اللغات المختلفة. يمكن القول إنه اشتراك بعد أن نُقلت تلك الكلمات من العديد من اللغات ومنها السريانية، والرومية، والحبشية، والعبرية، والفارسية، والهندية وغيرها، مثل: يعقوب، سندس، استبرق، هيلين، نيفين، جيهان، ابليس. كذلك في الإنجليزية من الفرنسية والعربية واللاتينية والهندية كـ(Elisa, Marco, Samuel, sheikh). ومن هذه الكلمات ما هو عربي ونُقل إلى الإنجليزية كـ(رايب: ripe)، (رفض: refuse)، (شراب: syrup)، (وين: wine)، (درق، درياق، ترياق: drug)، (دون: down)، (بدن: body)، (قطن: cotton)، (بلبل: bulbul).

فتوقفت بيان متأملة، وقالت: نعم، تذكرت هذا الاسم العربي بلبل؛ فهو في اللغة الأردية كذلك يُسمى. نعم، هذا ما سمعته من تلك السيدة الهندية المسلمة. ما أجمل لغتي العربية التي تستعير اللغات الأخرى منك بلبلك! ستبقى أيها البلبل العربي مغردًا في كل زمان ومكان رغم سجنك الذي ستخرج منه ذات يوم.. وستُسمع تغريداتك رغم صممهم.. ثم قرأت، والقلم بيدها:

ثانيا : اشتراك في أقسام الكلام (Parts of Speech)، ومنها:

1- الاسم والفعل، مثل : يعرب ، ويزيد ، وأحمد، وكسعب، وترجم، وجاد، ويشكر، ويغلب، اصمت (اسم لصحراء معينة). كذلك في الإنجليزية، مثل:

(اسم: مفتاح، اسم، كتاب، اجازة، علبة) : key, name, book , leave, can

(فعل: يفتح، يسمي، يحجز، يغادر، يستطيع): key, name, book , leave, can

كذلك في الإنجليزية يُنقل الفعل إلى اسم العلم كـ(Fry)، ويُستخدم كاسم علم ويُجمع ويُعرف للإشارة إلى العائلة، مثل: The Frys are coming to dinner.

كذلك : (Bond)، مثل: Bond is a character.

كذلك : Roaring Forties, Jack.

2- اسم وضمير، مثل: لهو ولهو، كقوله تعالى: (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآَخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) ، وقوله تعالى: (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).

أما في اللغة الإنجليزية فيشتركان في اللفظ، مثل: ewe : you , wich : which

ويشترك الضمير مع الصفة، مثل:

(صفة) : Many mistakes , much coffee, one.

(ضمير) : He gets a lot of letters but she doesn't get many.

3- الاسم والصفة، يمكن أن تخرج الصفة عن وظيفتها الأساسية وهي الوصف إلى الإسمية، فتأخذ شيئا من خصائص الأسماء، فيصح الابتداء بالصفة كالأسماء، ويمكن أن تأتي الصفة اسما تحل محله وتأخذ وظيفته، مثل: صادق محبوب.

كذلك في الإنجليزية يمكن أن تخرج الصفة عن وظيفتها فتأخذ من خصائص الاسم، وذلك حين تُسبق الصفة بأداة التعريف (the) إذا لم تُتبع بموصوف في حال أُريد من الصفة إفادة معنى الاسم جمعا، وليس التعريف كـ(The poor) الفقراء، و(The young) الشباب.

(S) الجمع، يمكن أن تأخذ بعض الصفات (الألوان) (S) الجمع، وذلك إذا قصدنا بها الناس كـ(the blacks)، (the whites)، وللدلالة على الاسم المحذوف (الموصوف)، مثل: Wash the reds and blues separately.

يعني : The red and blue clothes.

وحين تكون الصفة غير تابعة للاسم يكون لها محل من الإعراب، وفي هذه الحالة تأخذ الصفة إعرابًا خاصًا بها كأنها اسم، وترد: مبتدأ، مثل: العاقل صاحب أخلاق. كذلك، مثل:

The poor is tired.

وخبر، مثل: هو العاقل. كذلك، مثل: Your mother seems angry.

ومثل: This is an old ticket.

فاعل، مثل : جاء الصالح. كذلك، مثل: The poor needed your help.

نائب فاعل، مثل : يُحسَدُ العاقلُ. كذلك، مثل: The old is helped.

مفعول به، مثل : رأيتُ العاقلَ. كذلك، مثل: I saw the young.

(اسم) : The criminals pleaded guilty to all charges.

ومثل : A citizens committee.

(صفة): A criminal attack.

The attack seemed criminal to us.

4- اسم وظرف، اسم كقوله تعالى: (إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً). وقوله تعالى: (ويخافون يوماً)، وظرف، مثل: ذهبتُ صباحا. فالذهاب-هو الحدث- هو الذي وقع صباحا. كذلك في اللغة الإنجليزية، اسم، مثل: Tomorrow is Tuesday.

Now is the best time.

ظرف، مثل: I`ll see you tomorrow. I can meet you now.

5- اسم وحرف، ما يكون اسمًا وحرفًا كـ(على). كذلك في الإنجليزية كـ(after) يرد كاسم وحرف.

6- فعل صفة، تعمل أغلب المشتقات عمل فعلها، فاسم الفاعل يعمل عمل فعله المبني للمعلوم، فينصب مفعولا به إذا كان من فعل متعدٍ، مثل: هذا الضاربُ زيدا. وإن عليا مكرم أباه. ومحمدٌ قارئ قصةً، وكاتبا مقالةً. وقد يرد اسم الفاعل صفة وله مفعول به كالفعل، مثل: جاء طالبٌ حاملٌ كتبًا. كذلك في اللغة الإنجليزية يشترك الفعل والصفة، مثل: Manifest

(صفة) : His destiny is manifest.

(فعل) : His curiosity manifests itself in his questions.

الأفعال التي لها شكل واحد في الماضي والحاضر والتصريف الثالث كـ(cut, read)،

والأفعال التي يُضاف لها (ed) للتعبير عن الماضي والتصريف الثالث، مثل:

Helen was respected.

فـ(Respected) فعل قبل إضافة (ed) لها وبعدها، وصفة، مثل:

Helen was a respected woman.

و(ing) للفعل المضارع المستعمل فعلا، والمستعمل صفة، مثل: Mais is burning it.

A burning house.

I am burning a house.

I saw a burning house.

7- فعل حرف، ما يكون حرفًا فعلًا، مثل: خلا وعدا وحاشا. كذلك في اللغة الإنجليزية، مثل:

I saw all people except her.

They excepted him.

They decided to except you.

8- الصفة وظرف الحال، مثل : رأيتُ رجلاً راكباً. فـ(راكب) صفة؛ لأنه ذكر لتخصيص الرجل لا لبيان هيأته. أما: رأيتُ الرجل راكباً. فـ(راكبا) حال. كذلك في الإنجليزية هناك تشابه بين الصفة والحال، صفة، مثل:

A fast train goes…

A train goes fast.

ومثله: a complete fool

The fool is complete.

9- حرف الجر وغير ذلك كـ(حتى)، كقوله تعالى: (سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ)، وكقوله تعالى: (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا)، و(وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ). ومثله: كي: (حرف جر) كيمه ؟، كيمَ فعلت هذا؟ و(مصدرية) نحو : حضرت كي أبشرك بالنجاح. أي : لبشارتك. كذلك في اللغة الإنجليزية كـ(since)، مثل:

حرف جر : I haven't seen him since this morning.

حرف عطف: I haven't seen him since he left this morning.

وحرف جر مع الاسم مثل: He went to the police.

حرف مصدري مع الفعل المضارع مثل: He is impossible to work.

10- الأداة مع بعضها، كاشتراك الأدوات الاستفهام كـ(أي) ترد للاستفهام كقوله تعالى: (أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا)، وللشرط كقوله تعالى: (أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا

نَقُولُ وَكِيلٌ)، وللوصل كقوله تعالى: (ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا)، وللتعجب كقوله تعالى: (فما أصبرهم على النار)، وللنداء كـ(أي محمد)، أو لوصلة النداء كقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ).

كذلك في اللغة الإنجليزية، تكون أداة الاستفهام، للاستفهام، مثل: Who said?

وللشرط، مثل: She will be happy when you help her.

وللوصل، مثل: What you say is true.

وللتعجب، مثل: What fun we have had!

11-اشتراك اسم الفعل بين الفعلية والإسمية، اسم الفعل ينوب عن الفعل في المعنى والاستخدام إلا أنه لا يقبل علامات الفعل سواء كان ماضيًا أو مضارعًا أو أمرًا، مثل: حذارِ. وفي ذلك رأيان ينص عليهما علماء اللغة العربية؛ الأول هو أن اسم فعل الأمر له لفظ واحد مع الفاعل الواحد والاثنين والجماعة، والمذكر والمؤنث كما في (هلم، صه، مه)، مثل: هَلُم يا رجلُ، وهلم يا رجلان، وهلمّ يا رجالُ، وهلم يا امرأة، وهلم يا امرأتان، وهلم يا نسوةُ. والثاني أن تعامل (هلم) معاملة الفعل؛ لأن بعض الضمائر تدخل عليه، مثل: هلمّ يا رجلُ، وهلمَّا يا رجلان، وهَلُمُّوا يا رجالُ، وهَلُمي يا امرأةُ، وهَلْمُمْنَ يا نسوةُ. لكن الأصل هو ما جاء في القرآن الكريم كقوله تعالى: (وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا)، ومثله قوله تعالى: (قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ). ويُستثنى من ذلك ما لحقتهُ كافُ الخطاب، فيراعى فيه المخاطب، مثل: عليكَ نفسَكَ، وعليكِ نفسَكِ، وعليكُما أنفسَكما، وعليكم أنفسَكم، وعليكنَّ أنفسَكنَّ، وإليكَ عني، وإليكِ عني، وإليكما عني، وإليكم عني، وإليكنّ عني، وهاكَ الكتابَ وهاكِ الكتَابَ، وهاكُما الكتابَ، وهاكمُ الكتابَ، وهاكنَّ الكتابَ. ومنه قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ).

أما اللغة الإنجليزية، فتصرف ما يقابل اسم الفعل الذي هو محاكاة الصوت، وذلك بأن تلحقه (es, ing, ed)، وبذلك يأخذ علامات الفعل، مثل: He is hisses.

He is hissing.

Members have hissed.

يمكن أن يأخذ اسم الفعل ما للاسم في اللغة العربية كألحاقه بالتنوين الذي هو من خصائص الاسم، وذلك للتنكير، مثل: صه: صهٍ، مه: مهٍ. كذلك اللغة الإنجليزية قد تعامله معاملة الأسماء، مثل:

After hissing at the camera, the cub started chirping, calling out for its mother.

يعمل اسم الفعل عمل الفعل الذي ينوب عنه، فإذا كان الفعل لازمًا كان اسم الفعل لازمًا، مثل: صهْ، مهْ، فهما فعلان لازمان، ولا ينصبان مفعولا به؛ لأنهما بمعنى الفعلين (اسْكُتْ، واكْفُفْ) كقوله تعالى: (وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ)، أما إذا كان الفعل متعديًا، فاسم الفعل يكون متعديًا مثله، مثل: دَرَاكِ زيداً (بمعنى: أَدْرِكْه)، فـ(زيداً) مفعول به، والفاعل ضمير مستتر؛ لأن الفعل (أدرك) فعل متعدٍ، وضَرَابِ زيداً، أي (اضربْهُ) ومثله قوله تعالى: (عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ)، فـ(أَنْفُسَكُمْ) مفعول به لاسم الفعل.

كذلك ما يقابل اسم الفعل في العربية (محاكاة الصوت) في الإنجليزية، قد يكون لازمًا، مثل: The crowd hissed in disapproval.

Some of his teammates chirped about the officiating.

وقد يكون متعديًا، مثل: He hissed them off the stage.

She sang three songs and chirped "Goodbye everybody! See you tomorrow!

الفصل السادس

نحو العودة وصرف الوجع

في الوقت الذي كانت فيه أوراق رغد تفيض لبيان عن الكلمة وبنيتها الثابتة والمتغيرة، كان جسد جاكلين في صمت غرفة بيضاء من المستشفى يروي قصة عن روحها نُحتت من وجع السنين الذي ما زال أثره في يدها التي تؤلمها وخزة الإبرة. وحسرة حاضرها التي تترهل بزيادة قلقها على مصيرها ومصير روز ووليام. فاستسلمت للسكون. لا عارض يكسره إلا تحريك عينيها نحو السقف عاجزة عن إيجاد بياض حياتها في الغرفة المشغوفة برائحة المعقمات التي تجرها من أنفها لرؤية منار ومنى من ملائكة الرحمة التي ترافقها في مرضها كما كانت ترافقها أمها وأهلها حين كانت تمرض في أيامها الخوالي. تلك الأيام التي ذهبت معها سعاد وولدت جاكلين المنحوتة من رماد سعاد وألمها. فأردفته حسرة جاكلين المتوقد على مصير روز ووليام اللذين عاشا غربة حتى في وجودها فكيف بهما إذا انفرط عقد حياتها، فتحدث نفسها في سرها: ما حالهما الآن في بيت رغد؟ هل افتقداني؟ أو هل حقدا علي؟ وماذا عساهما أن يفكرا بأبيهما الغائب حتى في حضوره؟ هل يتحسران على أبيهما وهما يريان أولاد رغد مع أبيهم؟ انشغل بأعماله ونفسه، ولم يزرني إلا زيارة وحيدة يتيمة كأنه يريد توديعي! في الاتصالين اللذين اتصل بهما بي أكان يريد التأكد من موتي؟ أو كأنه يتفاجأ بأني ما زلت على قيد الحياة، فينصدم ويرد ببروده القاتل؟ لم يبدد فقدي بروده المعتاد! ما هذه التفاهات! هو أصلًا كصقيع كانون حتى في آب، وهو أصلًا اتصل بي وربما هو مع الحسناوات الأوروبيات. يا لتفاهتي! وعادت إلى زوجها الأول سعيد تتذكر تلك الليلة التي أخذها فيها إلى المستشفى حين كسر ذراعها بضرباته، ودمها يسيل، وهو يلومها ويوبخها على إتعابه في اخراجها له في الليل وفي عدم طاعتها له، وما إن وصلا للمستشفى حتى تحول إلى متألم على وجها مدعيًا أنها سقط فانكسر ذراعها، والناس تحاول تهدئته على ألمه على وجع زوجته.

اكتفت منى بالنظر إلى جاكلين بعينين واسعتين لامعتين مراقبتين لانتظام حركة صدر جاكلين أثناء تنفسها، وارتخاء قبضة يدلها على الشرشف. فظنت أن الدواء والمهدئات قد اراحاها فسكتت. لكنها تسمع أنين روحها من راية السواد في وجهها، فاقتربت منها، قبلتها، ومسحت وجهها، وأخذت تلاعب صفار شعرها بيد أم حنون. أدارت جاكلين شراع عينيها نحوها، وهي تتمعن في وجه غائم ممطر تغالبه ابتسامة، يضفي عليه لون أسنانها وحمرة عينيها، تهدج صوتها: زكية، أنا أسفة. والله، أنا أحبك. استجمعت قوها منى: من زكية يا عزيزتي! فردت جاكلين: لا تعرفين زكية! أنسيت اسمك! أم أنك تخليت عن ابتك، يا أمي! لك الحق، فأنا ابنتك

العاقة. الآن فقط أنا عرفت قلب الأم الذي يتقطع على غياب ابنها وابنتها. آه، يا زكية، أين أنتما يا روز ووليام؟

نظرت منى إلى ملامح جاكلين، رأت في ارتعاشة شفتيها طفلة، مدت يدها ماسحة على شعرها، فرمت جاكلين رأسها إلى صدرها. لم تنجُ منى من تفجر عاطفتها التي تلح عليها باستذكار ابنتها شموخ التي غادرت حياتها تاركة فجوة عجز الصبر عن ملئها. أيقظتهما الممرضة التي ترافق الطبيب، انسحب المترجم بمنى إلى زاوية الغرفة، همس بكلمات عن مرض السكري، ونظام غذائي صارم، تيبست منى في مكانها، وشحب وجهها فجأة. راحت أصابعها تعبث بأطراف عباءتها، وهي تعيد نداءها لجاكلين بسعاد. أطرقت برأسها، وهي تحبس دموعها في عينيها: ما الذي فعلته يا ربي. يا ويلي. ليتني لم أقل لها سعاد، بل ليتني ما أسأل ست منار عن تلك الوثيقة المكتوب فيها اسم سعاد في بداية العام الدراسي، وليتها لم تجبني بأن سعاد هو اسم جاكلين الذي غيرته. الآن، ما فرقي عن القاتل! ما فرقي عن جمانة التي أزعجت ابنتي شموخ! يا ويلي ما فعلت! أستغفرك ربي وأتوب إليك! كم أنا غبية مغفلة لا أراها إلا الظاهر، ولا أفهم المخفي ولا أقدر وضع الناس ولا أعذر سلوكهم. تفاجأت بالمترجم يلمس يدها، قائلًا: أسف، يا ست، أنا عارف أني أزعجتك بهذا الخبر، ولكن يجب أن أخبرك حتى تهتمي بطعام ابنتك.

رجعت منى لجاكلين محاولة اظهار ابتسامتها، جلست عند رأسها، وقد وجدتها تستند على وسادتها. ووجهت لها سؤالًا: ماذا أراد منك المترجم؟ فقامت منى متوجهة إلى كاسات الماء في زاوية الغرفة، وقدمت لها ماء، بعده فنجان قهوة مرة من حافظتها الحرارية. ومدت يدها لتضعها على يد جاكلين: الحمد لله. اليوم أنت أفضل حالًا، غدًا إن شاء الله سنخرج من المستشفى. والآن، قولي لي أين سنذهب للتنزه غدًا؟ أريد ان نستمتع بحياتنا، فقد قررت أن أعيش حياتي بتنزه، لن أبالي لشيء. فكل شيء مكتوب على جبيني، فلا أهتم أبدًا منذ هذه اللحظة. لن أهمل سعادتي. استسلمت جاكلين لصوت منى، شعرت بسكينة مؤقتة تسري بأوصالها، وعيناها تتسعان، وأذناها تشنفان، وابتسامتها تشرق: سنذهب إلى روز ووليام في بيت رغد. ردت منى: إذن سيكون غداؤنا عندها. بانت ابتسامة شاحبة على وجه جاكلين، وهي تسمع منى تردد: اذهبي يا رائحة المعقمات، فغدًا رائحة السمك تعطر أنوفنا منك.

سأتصل بزوجها فهو دائمًا يتلاطف معي. اخرجت هاتفها، ورنت على رقمه فتحت السماعة، فأجاب الاتصال: أهلًا وسهلًا بأختي ست منى الفاضلة. ردت منى ملاطفة: لماذا تترك أختك وصديقتها بلا سمك مشوي؟ ضحك قائلًا: بل أنا بنفسي أعد لأختي ما يشتهيانه. ردت جاكلين بفرحة: نريد سمكًا مشويًا. تصنعت جاكلين ضحكة كأن السمك المشوي قد غسل وجهها من شحوب المرض، وردت منى: إذن غدًا نحن مدعوتان على وليمة في بيت أخي. وسأخبر رغد بذلك. رد بثقة: البيت والمطعم تحت أمركما. فتشكرتا منه، وودعهما. اتصلت منى مباشرة برغد.

وما ضغطت رغد على زر الاستجابة: أهلًا رغد، استعدي، فزوجك قد دعانا إلى وليمة غداء غدًا حين اتصلت به قبل قليل وهو في مطعمه. وأنا أحب السمك المشوي، ولا أستطيع رد دعوة أخي لي ولجاكلين. ولو أني تمنيت أن أكون عندك من الآن. فتعالت ضحكاتهن.

سألت جاكلين منى باستغراب: لماذا يكثر زوج رغد من الولائم؟ ألا يخشى الخسارة؟ ردت منى بافتخار: هذا الرجل يحمل العراق في كرمه، بيت أبيه لم يغلق يومًا. أسمعتِ أنه يناديني أختي بصدق، لا يخدشه نهم أغلب الذكور الذين اعتدنا تصيدهم للنساء. هزت جاكلين رأسها بالموافقة: صدقت، لقد عانيت منهم كثيرًا. أتذكر مرة أحدهم كان يطاردني كأنه لم ير نساء قط. ضحكت منى بمرارة: أنا متأكدة أن زوجته تملؤ بيته نورًا. تنهدت جاكلين وهي تمسح دمعة فرت من عينها: بلا شك. وأنا متأكدة أنه كريم مع من يركض خلفها وبخيل حتى بالكلمة الطيبة في بيته كما رأيت في زوجي الأول والثاني أيضًا. ردت منى تهز رأسها بأسى: يطاردون وهمًا، يا جاكلين، يظنون أن ملاحقة امرأة أخرى شهادة على شبابهم حتى مكياجنا يفسرونه كإشارة لهم. أردفت جاكلين: يذمون الموظفة ولا يتزوجونها، فإذا تزوجوا ربة البيت، لهثوا وراء الموظفة! علقت منى: صح. يا للنساء العراقيات من مظلومات من قبل الذكور، ومحظوظات بالرجال! علقت جاكلين بنبرة جادة: لاحظت هنا النساء الأجنبيات يمشين بحرية، يحككن وجوههن أو يلتفتن بأمان، لا يخفن من أن يظنون أنها إشارة حب. فضحكت منى: حصل معي مرة مثل هذا فعلًا.

تلاشت الابتسامة عن وجه جاكلين، وحل مكانها ظل قديم من الحزن، وهي تتمتم: آه. كم عانت من زواجي الأول. ليت السعادة جاءتني ولو كقطرة كل سنة من قطرات كيس المحلول...

فقاطعتها منى بحزم، وهي تضيق عينيها محاولة إفاقتها من غيبوبة الندم، شدّت منى على يد جاكلين حتى كادت أظافرها تترك أثراً في كفها، وقالت بنبرة خفيضة كأنها توبخ ابنتها: الوجع هو الذي يصقلنا يا جاكلين. انظري إليّ، لولا السقوط لما عرفنا كيف نقف مجددًا. همست: عبرنا الأصعب يا عزيزتي، وهذه الغرفة ليست إلا محطة استراحة. دققي النظر في وجوه العابرين، ستكتشفين أن خلف كل ملامح هادئة بركانًا من الأوجاع. خفضت جاكلين بصرها وهي تعبث بطرف غطاء السرير الأبيض بوهن: ولكن يا منى، لقد تعبنا حقًا... بل قولي أننا لم نفهم اللعبة بعد. هكذا قذفت منى جملتها، وهي تقف بجانب النافذة، استدارت فجأة: لا يأتينا بلاء إلا على قدر اتساع نفوسنا. ارتجف صوت جاكلين، وهي ترفع عينيها المليئتين بالاستنكار: أنت تقولين هذا لأنك لم تري ما رأيت... سكتت حركة منى تمامًا، وتصلبت قامتها فجأة، وغامت عيناها بذكرى بعيدة. اقتربت ببطء، وبصوت مخنوق: أنا لم أرَ! واصلت بنبرة مشروخة: أنا التي أعاني الفقد وسياط كلام الناس، ومضايقة مجتمع ذكور، وما زلت أقف على قدمي. واقتات على القلق على ابني الوحيد... وتقولين لي الآن: لم أرَ! غارت عينا جاكلين في محجريها خجلًا، احست

أن أنينها تضاءل. كأن جاكلين توقفت عن التنفس للحظة، لم تنطق بحرف. بل شدت على كف منى كمن يتشبث بقارب نجاة.

برز هاتف كل منهما ليحرك إبهاميهما، ويشد نظرهما إليه. تقلب جاكلين صور روز ووليام، وترمق منى بنظرة دقيقة إلا أن منى لم تنتبه لها. تجاوز دقائق قليلة استغرقهما ساعة صمت حتى كسرها وقع أقدام تقترب منهما لعاملتين؛ أحداهما باشرت بتنظيف أرضية الغرفة، والأخرى وقف أمام سرير جاكلين تريد تغيير الشراشف. نزلت جاكلين من السرير، وما زالت منى جالسة على الكرسي حتى سندت العاملة جاكلين، فانتبهت منى؛ لتسند جاكلين.

لم يُسمع في الغرفة سوى وقع أنفاس متعبة. استدارت منى نحو النافذة، مسحت وجهها بطرف عباءتها بقوة كأنها تبتلع غصة ذكرياتها، وتمسح آثارها من ذاكرتها لتستطيع إكمال اليوم. بحثت في أرجاء الغرفة عن مخرج من هذا الضيق، فلجات لأسلوب المعروفة به، أسلوب المزح. انتهبت إلى أنها نسيت حافظتها الحرارية مفتوحة، ففقدت حرارة قهوتها. توجهت إلى تحضير قهوة ساخنة جديدة. رجعت، سحبت نفسًا عميقًا. والتفتت لجاكلين بابتسامة مكسورة، لكنها تحاول الوقوف: هكذا نحن ندفن نصفنا تحت التراب، ونمشي بالباقي؛ لنطعم من بقي على قيد الحياة. قالت بنبرة تحاول فيها جعلها عادية قاصدة تغيير جو الغرفة الخانق: والآن دعينا من القبور. اخبريني ما تشتهين أن تأكلي غدًا عند خروجنا؟ رغد تنتظرنا، وزوجها. صمتت قليلاً، واصلت: الذي يظن نفسه بخيلاً ونراه نحن أكرم الناس، لا بد أنه يحضر لنا وليمة. ابتسمت جاكلين بوهن، مجاراة لمحاولة منى انتشالهما من الغرق: أريد سمكاً مشوياً ينسيني طعم المعقمات. ضحكت منى، وكانت ضحكة قصيرة: سأتصل برغد، وأقول لها إننا نطلب سمكة كبيرة، ولن نقبل بأقل من ذلك. رسمت منى بابتسامة واهنة محاولة بها لملمة شتاتها، وضغطت على يد جاكلين: قومي يا حبيبتي جاكلين، السمك ينتظرنا ويردنا أقوياء، فهو لا يحب المشفق عليهم. والحياة لا تؤجل.

شعرت جاكلين كأن كلمات منى تربط ما انقطع من حبال حياتها، فهمست: أنا أتمنى ذلك ولكن أشعر بتعب... ردت منى: أي تعب! ومم؟ فردت بانكسار: ضاعت حياتي بين زوج يعيش بذاكرتي ألمًا ماضيًا، وزوج يحاصرني حاضره بروده وحبه لنفسه، وعدم التفاته لي، ومستقبلًا يقلقني منه ومن مصير ابني وابنتي. وأنا محاصرة بينهم مثقلة بهم. سكتت منى قليلًا وسحبت نفسًا عميقًا هامسة: سابقًا كنت أتحسس وأفكر في كل شيء، حتى صاحبني المرض. والطبيب كان يؤكد علي بالابتعاد ع كل ما يزعج؛ لذا فلنترك الماضي قبل أن يفترسنا. ونتفرغ للاهتمام بمن حولنا الآن. ونتقبل واقعنا. أما الغد... نعم الغد، وبعد صمت، هزت رأسها، أكملت محولة تلطيف الأجواء: نحن من يزرع بذوره الآن، ونحن نتناول السمكة المشوية. هكذا تعلمت من الحياة. بتردد وخوف تهمس بصوت رخيم: لا أعرف ماذا يا منى؟ أنا مشوشة مرهقة. ردت منى بثبات وحزم: لا أحب أن أراك ضعيفة ضائعة. أين عقلك وقوتك! ردت جاكلين بنبرة منكسرة: هل

أستطيع... فقاطعتها منى: ما يمنعك! تذكري أنك أفضل منا حالًا على الأقل أنا ومنار وبيان ورغد معك. أجابت جاكلين بنبرة اعتذار: في وقت الشدة نعرف معادن الناس. فقد لمعتن في سماء حياتي. وأنا خجلة من نفسي أمامكن. ردت منى: هل تحبين أن نسامحك ونقبل اعتذارك؟ فردت بسرعة: نعم، نعم، وهذا فضل منكن. فردت منى: نقبله بشرط. سألتها جاكلين: ما الشرط؟ طبعًا أنا موافقة. فقالت منى: شرطنا هو أن نكون عائلتك الثانية في الغربة. وسندك الذي لا يميل. وأنت قوية لا منكسرة. فتبسمت جاكلين والدمعة في عينيها تترقق، واحتضنتها. ساد أزيز المحلول في الجانب الآخر من غرفة المستشفى، يحجبه عنهما حجاب من قماش. مالت منى فوق رأسها، ومسحت بظاهر يدها على وجنتها الشاحبة قائلة بهمس: لنصغر أوجاعنا، يا عزيزتي، جاكلين. فلم يبق العمر من ما يكفي لخوض معارك خاسرة مع ماضينا. ارتجفت جفون جاكلين، وراحت تنظر إلى يد منى المتغضنة الدافئة. في تلك اللحظة، لم يعد. غصّت بحشرجة في حلقها، والتفتت بكامل وجهها نحو منى، همست بصوتٍ يرتعش بصدقٍ لم تألفه من قبل: بل قولي يا سعاد، يا سعاد. نظرت منى نظرة تأنيب إلى عيني جاكلين الباكيتين، مسحت دموعها. فأغممتهما، وتركتها منى.

فجأة تحرك الستار القماشي الفاصل بين السريرين بهدوء. أطل وجه امرأة ملامح هادئة فيها تجاعيد رقيقة، ابتسامتها تشبه غصنًا أتعبته الريح، وقفت عند الستار، وقالت جملة باللغة الإنجليزية لم تفهم منى منها سوى نبرة الرجاء، وبريق عينيها اللوزتين الغائرتين. التفت منى نحو جاكلين، وهي على سريرها، فوجدتها غارقة في صور روز ووليام على شاشة هاتفها. نادتها منى برفق، فردت جاكلين (نعم، يا منى) قبل أن ترفع رأسها، رفعت نظرها؛ لتجد امرأة تكلمها وهي يؤشر بيدها نحو فنجان القهوة. واجابتها جاكلين مبتسمة، رددت قول (ولكم). فتقدمت المرأة بخطوات منهكة، وقدمين صغيرين يغطيهما جوارب حمراء. توجهت جاكلين نحو منى قائلة بنبرة هادئة: يا منى، تقول هذه السيدة إن رائحة قهوتكم قد أعادت إليها ذكرى بيتها البعيد. تسأل إن كان بإمكانها الجلوس معنا دقائق؛ فقد خنقها لون السقف.

هبّت منى من مكانها، تسبقها ابتسامتها، أزاحت طرف عباءتها عن الكرسي المجاور مرحبة بها بيديها، ووجهت كلامها لجاكلين: ترجمي لها، أهلًا بها ضيفة وصديقة. أخبريها أن القهوة وصاحبتها فداء لغربتها. وبعد أن ابتسمت ترجمت للضيفة كلام منى. شكرتهما الضيفة، بعد أن جلست، مباشرة قدمت لها منى فنجان قهوة. فتناولته بيمينها المرتعشة التي يبرز صفار بشرتها لون سوارها الأخضر الذي يعانقه سوار المستشفى المطاطي الأبيض. ذهبت لتحضر صحن

فواكه، قدمته لها وهي تتأمل شعيرات فضية تسللت سواد شعرها المربوط إلى الخلف، ووجهها الشاحب، ولصوتها الهامس وهي تحادث جاكلين باللغة الإنجليزية وتهز رأسها برقة. مرت دقائق ومنى تنظر لجاكلين والضيفة بلهفة، حتى التفت لمنى: يا منى، هذه السيدة أيضاً مريضة، ووحيدة هنا، وزوجها غائب في أعماله مثل زوجي تماماً.

ردت منى بحنان: أرأيتِ؟ كلنا في الهوى سوى. ملامحها الآسيوية الرقيقة تحمل الحزن الذي نحمله. ما اسمها؟ ومن أي بلد؟ اسأليها. سألتها، ألتفتت إلى منى مبتسمة: تقول اسمها مي لين، ومعناه الغابة الجميلة، وهي من الصين. ردت منى الاسم بإعجاب: مي لين. فالتفتت السيدة إليها، بعد أن انهت القهوة، ناولتها الفنجان الذي تمسكه بأصابعها الدقيقة ذات الأظافر الجميلة لمنى. وهمست بامتنان: شكرًا مونا. ضحكت متسائلة عن سر معرفتها باسمها، فترجمت جاكلين كلام السيدة، توجهت لمنى مبتسمة: تقول إنها عرفته من ندائي المكرر لك، اما شكرًا فقد سمعتها سابقًا. قالت منى بصوت ملأه اليقين: أخبريها، أننا نرحب بها كثيرًا. وأخبريها أننا منذ غدٍ سنخرج من هنا، وسنترك الأوجاع مع هذه الشراشف البيضاء. توقفت جاكلين للحظة، نظرت في عيني منى مليًا، ترجمت الكلمات للضيفة بصوتٍ صار أكثر ثباتاً.

نشرت الشمس خيوطها الذهبية فوق مبنى المدرسة، تداعب يد المديرة وهي تفتح باب المدرسة كعادتها. في منزل رغد كانت الحركة تدب في الأرجاء، رغد انتهت من إطعام أولادها وروز ووليام، ويستعدون للانطلاق إلى المدرسة. وفي زاوية أخرى لم تنتظر منى الطبيب والمترجم، بل غادرت منى الفراش في المستشفى، وانشغلت بإعداد قهوتها التي تنشر عبقها في الأرجاء؛ معلنة بداية يومها حسب طقوسها اليومية. جلست عند رأس جاكلين تريد أن توقظها قبل مجيء الطبيب برفقة المترجم. فخطف سمعها حركة من خلف الستار القماشي جهة السيدة الصينية، فقامت وتوجهت إليها، أزاحت الستار؛ لتجدها واقفة فحيتها بـ(كود مورنينغ) التي لا تعرف غيرها من اللغة الإنجليزية، أومأت إليها بيدها للمجيء، وأشارت إليها بالقهوة. أقبلت السيدة حاملة حافظة حرارية نحوها وتوجهتا إلى جاكلين. أيقظت منى جاكلين، وجلسن يرتشف شرابًا عشبيًا من يد السيدة. تتخلله أحاديث بين السيدة وجاكلين. حتى أتت منى بوجبة فطور بسيطة. دخل عليهن الطبيب الهندي والمترجم كعادتهما في الساعة الثامنة صباحًا لتفقد المرضى. فقدمت لهما منى قهوة لكن الطبيب أعتذر بابتسامة، وهو يشير إلى جدول مواعيد أعماله. أخبرهما المترجم بتحسن حالة

جاكلين، وإمكانية الخروج اليوم من المستشفى. بدأت منى تلملم أغراضهما للخروج، فجمعت الأطعمة والفواكه وتوجهت بها إلى تلك السيدة. وما إن رجعت لجاكلين حتى أقبلت السيدة نحوها، وأمسكت بيد منى وهي ملاصقة إياها؛ خلعت سوارها الأخضر ووضعته في معصم منى بوجه يتفجر ودًا، تسمرت الكلمات في فم منى، فاستعاضت عنها بنظرات ممتنة بادلها بها وجه السيدة الذي كان يتفجر بشرًا. اقتربت السيدة من جاكلين عند النافذة المطلة على الحديقة، وسحبت يدها برقة لتلبسها خاتمًا، جربته في الوسطى فكان ضيقًا، فحولته على البنصر؛ لينزلق فيه بسلاسة، ومنى تسند يد جاكلين من الأسفل بكفها الدافئة.

أخرتا في خروجهما من المستشفى كي يصادف مجيئهما وقت رجوع رغد والأولاد من المدرسة. استقبلتهما رغد بترحابٍ غمر الجميع، وفور عبور جاكلين العتبة، تسمرت عيناها بفرح وحزن معًا وهي ترى روز ووليام، يركضان بضحكات مجلجلة خلف أولاد رغد، بدوا كأغصانٍ وجدت تربتها الأصلية أخيرًا، مندمجين في لعبٍ لم تعرفه وجوههم من قبل. اندفعت جاكلين نحوهما بلهفة الأم التي غادرت الموت؛ لتستعيد حياتها، لكنها لم تجد العناق الذي انتظرته تحت وطأة المعقمات؛ فقبلت وليام الذي يتشبث بقميص حسين، وروز جاءت مع بنات رغد لتسلم عليها، انصرفتا معًا لترتيب السفرة. غارت الكلمات في صدر جاكلين، وشعرت أن الخاتم الذي وضعتْه تلك السيدة الصينية في أصبعها أصبح ثقيلاً كالقيد. نظرت إلى منى التي كانت تتابع المشهد بصمتٍ، فأدركت جاكلين في تلك اللحظة حقيقة مرة: أن وليمة السمك التي غسلت شحوب وجهها، لم تستطع ترميم الفجوة التي حفرتها الأيام في قلبي طفليها. وحولت نظرها على ألعاب الأولاد، وهي تقارنها بألعاب وليام وروز التي هي جديدة وكثيرة وحديثة.

استقرت الجلسة حول مائدة السمك المشوي، وبدأت غصة جاكلين تتصاعد. كانت تراقب روز التي تجلس بجانب ابنة رغد، ووليام وحسين بالقرب من رغد التي تطعمها من السمكة بعد إزالة عظامها، وهما يأكلان ويستخدمان ملاعقهما في أكل الرز. وتناولا الفواكه وأكلاها بلا تقطيع ولا شوك. قدمت لهم رغد الشاي، وهما يشربانه، ويتضاحكان مع أولاد رغد بحميمية. وبعدها انصرفا مع الأولاد؛ ليدرسا معهم دون أن يلتفتا إليها. وجلسن يتبادلن الحديث حتى دخلت منار وبيان عليهن. ومنى تقلد حركات يدي جاكلين وتلك السيدة، وتقلد نفسها وهي تسمع حديثهما باللغة الإنجليزية ولا تفهمه.

لم تفلح في جر وليام وروز إليها، وهما ينفران منها، لا يجلسان بقربها ولا يقتربان منها، وهم على السفرة، نادتهما، لكنهما لا يجيبانها، كررت ندائها، فرد وليام وهو يشيح بنظره (نحنو لا تريد

هازي). فردت منى: لا، ماما وليام حبيبي. لا تقل هكذا. رغد أين الملح؟ ضعي لنا علبة الملح. كوني مضيفة جيدة وإلا سأشكوك إلى أخي الكريم. سقطت الملعقة من يد جاكلين أمام جحود طفولي، وشحب وجهها الذي لم يسترد لونه بالكامل بعد. في تلك اللحظة، لم تتركها منى للغرق. مالت نحوها بسرعة، وأمسكت بيدها المرتعشة، وضغطت عليها بقوةٍ. وبنبرةٍ مرحة مصطنعة، وجهت كلامها للأطفال ولرغد: يا أولاد، من قال إننا سنرحل الآن؟ أنا وجاكلين قررنا أن نسرق منكم هذه الليلة أيضاً، أليس كذلك يا رغد؟ لن نترك هذا السمك وهذه اللمة ونعود لبيوتنا الباردة بهذه السرعة. التفتت لجاكلين، وهمست في أذنها بكلماتٍ لم يسمعها غيرها، كأنها تعيد ربط خيوط روحها: لا تأخذيها على قلوبهم يا سعاد. هم لا يهربون منكِ، بل يهربون من ذكريات المرض والوحدة. دعي رئة أحلامهم تتنفس هنا قليلاً، وأنتِ تنفسي معنا. نحن عائلتكِ الآن، واليوم يوم نصرنا، لا يوم حزننا. نظرت جاكلين إلى عيني منى. وسحبت نفساً عميقاً، محاولة ابتلاع غصتها مع لقمة صغيرة، مدركةً أنه لولا وجود منى إلى جانبها، لكان طريق العودة أطول وأقسى من طريق المرض نفسه.

تسللت منى للأولاد، جلست مع حسين ووليام، وضعت يدها على رأسه، قبلته قائلة ماما وليام، وأخبرته أن أمه مريضة وتحتاج إلى راحة وهدوء واهتمام منكما أنت وروز. وهو ساكت لا يجيبها، لم يرفع رأسه مستمر في كتابته. أومأت لحسين بوجهها. فكلمه: وليام وليوم، ماما منى تكلمك، يا أبا ليلى. فلم يجبهما. أمسكت منى بيد وليام، حاولت جرّه نحو عالم أمه، لكنه ظل يكتب بخط مهتز في دفتره. حين ألحّت عليه، رفع رأسه الصغير، وبنظرة لا تنتمي لطفولته، قال بلغة هجينة وهو منكمش خلف حسين: (أنا لا يريد الزهاب مع جاكلين. هي يريد ماي فريدام). سقطت الجملة على مسامع جاكلين كشفرة حادة. توجهت إلى روز، وقالت لها ما قالته لوليام. أجابتها روز، وهي جالسة مع بنات يقرأن (نحن يريد يعش مسل ناس. أنا يدرس مع فاتيما. أنا ما يريد جاكلين جيمس). حجبت روز وجهها عن منى بكتابها المفتوح. جمدت عينا منى على غلاف الكتاب الذي تحول إلى سد منيع. طغت برودة المكان على حرارة اللقاء. لم تبعد روز الكتاب حتى حين سألت أحد البنات بعض الأسئلة عن موضوع في كتابها. قامت منى بخطوات ثقيلة، ومسكت مقبضة الباب دون أن تفتحه لدقائق. فتحته وادارت وجهها لروز التي ما زالت رافعة الكتاب حاجزًا. توجهت منى لغرفة الضيوف حيث تجلسن، اقتربت حتى همت مترددة بالرجوع إلى وليام. لكن صوت منار قطع ترددها، فهي تناديها. ذهبت بخطوات ثقيلة إلى غرفة الضيوف. ركزت منار بنظرة ثاقبة في وجه منى، قالت لمنى، وهي تهم بالمغادرة قبل الغروب اتصلي بي ضروري. وبقيت منى وجاكلين في بيت رغد بإصرار من رغد على بقائهما.

بينما كانت رغد وبناتها يتنقلن بين المطبخ والصالة لتجهيز سفرة العشاء، اختلست منى دقائق لتتصل بمنار في زاوية من الحديقة. بادرتها منار بصوتٍ يملؤه القلق: منى، لم تغب صورة جاكلين عن بالي، حالتها لا تسرُّ أحداً. أخبريني، كيف استقبلها وليام وروز؟ ردت منى بغصة مكتومة: هنا تكمن المأساة يا ست منار. لقد بذلتُ جهداً مضاعفاً في المستشفى لأرمم روحها، فجاءت صدمة الأولاد لتهدم كل شيء. إنهما يرفضانها علانية، ومصرّان على البقاء هنا. لقد أصبحا غرباء عنها. فكري معي، كيف سنتصرف؟ إنها تنهار أمام عيني! تنهدت منار بعمق وأجابتها بنبرة ذات مغزى: الحل ليس في المواساة يا منى، الحل في مواجهة الأسباب التي جعلتهم يهربون منها. ابقي معها الليلة، وسنتحدث غدًا في الخطوة القادمة، فالأمر أكبر من مجرد عناد أطفال. أنهت منى المكالمة بخطوات ثقيلة، وعادت لتجلس على السفرة، محاولةً إخفاء قلقها خلف ابتسامة باهتة.

وهن يجلسن في تلك الغرفة بعد العشاء. رن صوت زوج رغد، فقامت رغد لتستقبله. ومباشرة بعد دخوله الغرفة ليسلم عليهما، جاء الأولاد يركضون فرحين بضجة بريئة، يهتفون: نريد نريد نريد. لا تتأخر لا تتأخر. وهو يضحك ويرد عليهما حاضر حاضر حاضر. وأصابع جاكلين تعبث بطرف وشاحها، وهي تتابع حركة وليام. سألته منى قبل أن يجلس معهن، فسر لي ما هذا؟ فقال: هم يطالبوني بالحلوى الآن، والهدية بعد مشاهدة حلقة... فقاطعته منى على عجل: الزير سالم. فضحك قائلًا: أخبروك. سألته: ما قصته؟ فأجابها: أنا أحب مشاهدة مسلسل الزير سالم (أبو ليلى المهلهل)، والاولاد يشاهدونه معي، وأمنح هدية لكل من يحفظ خمس جمل باللغة الفصحى من المسلسل. ووليام شاهد حلقتين معنا. فأحب شخصية أبي ليلى. وضعت رغد ذلك الكيس أعلى الرف أمامهم، وفتحت علبة الحلوى؛ لتعطيهم جميعًا. لمعت عينا جاكلين وهي ترى وليام يلعق طرف أصبعيه بعد أن تناول قطعتين، وهو متكئ على جسد زوج رغد كما هو حال حسين. مسحهما بمنديل ورقي. وفور تناول زوج رغد قطعة حلوى إلا وروز وبنات رغد ركضتا على علبة المناديل وكل منهما تناول ورقة بسرعة وهي تصيح أنا الأولى؛ لتقدماها إلى زوج رغد وهو ما زال يأكل. اتسعتا عينا رغد، وقالت في سرها: خوفي منك يا زوجي أن تشعر أنهما ولداك، فيقودك هذا الشعور إلى أنها زوجتك!

استأذنت جاكلين منهم لتخرج للحديقة كي تجري اتصالًا، فهبت منى لتخرج معها، وهي تسألها عن سبب سواد وجهها. ردت جاكلين بأنها تريد أن تتصل بجيمس. حاولت تهدئتها لكن ردت بتعصب: يا منى، هل لحظتي روز ووليام الذي يتكئ على كتف زوج رغد أكثر من حسين! هو

ليس عجيًا منكسرًا، ولا لطيمًا ضائعًا. إن كنت أنا مقصرة معهما، فماذا عن أبيهما الذي تفوقت عليه تلك السيدة الصينية التي واستني بخاتمها، وهو يسرح ويمرح غير مكترث لي.

تعثر أصبعها المرتعش في أرقام الهاتف أولاً، ثم استجمع قوته ليضغط على رقم جيمس. أجاب اتصالها في المرة السادسة بوابل من الشتائم والصراخ بصوت غاضب مدو، وكلمات سريعة متوالية كرشقة حجارة. وغلق الخط، تاركًا هاتفها يرتجف في يدها. خرجت منى ورغد مسرعات إلى الحديقة على صراخ جاكلين دون أن يفهما شيئًا من كلامها في اللغة الإنجليزية. وهي تبكي. فالتفتت نحو منى ورغد، وانخرطت في نوبة بكاء مرير، وكلماتها العربية تخرج مخنوقة: كلب حقير... صبرت... ومرضي، وهو يتجول ويهينني... يشتم أهلي يشتم. أنا اكثرت الاتصالات.. هو مرتين مرتين اتصل.. راقدة... انزعج من اتصالي... منى، باعوني يا منى.. حتى أطفالي لا يريدوني.. جيمس في سفره، وسعيد في ظلمه.. كلب حقير... الله يلعنك ويلعن سعيدًا... حاولت منى ورغد تهدئتها، سحبتاها لداخل البيت وسط تهاوي قواها، ورجعت رغد لتغلق الباب، فلمع في عينيها بريق الخاتم امام العتبة. التقطته، وأغلقت الباب، وعادت لجاكلين وهي منطوية على نفسها، ومنى تجرها لتسند رأسها إلى حجرها ودموعها على خديها، وما زالت تشهق. أمسكت رغد يدها الباردة، وحاولت وضع الخاتم في سبابتها فتعذر، لتعيده برفق إلى بنصرها.

باتت منى وجاكلين تلك الليلة في بيت رغد بإصرارٍ قاطع من زوجها. كانت ليلةً دهراً؛ جاكلين ينهشها الهمُّ في فراشها، ومنى يطاردها التفكير في حلٍّ يخرج صديقتها من هذا النفق المظلم. وهي تتقلب في فراشها، فتحت عينيها في منتصف الليل؛ لتجد جاكلين جالسة تسند رأسها إلى الجدار. أرجعتها إلى الفراش الذي قربت فراشها منه، وأنامتها وهي تلاعب خصلات شعرها، وعقلها يسرح يمينًا وشمالًا. لم تستطع منى تلك الليلة أن تصلي الفجر، فقد غالبها النعاس والسهر والتفكير. عند الساعة السادسة صباحاً، اقتربت رغد من سرير جاكلين، وبهمسٍ حازم أيقظتها من نومها العميق: جاكلين حبيبتي، قومي. أنا أحتاجك. اليوم أنا أطلب مساعدتك وأرجوك أن تساعديني. أجابتها والسهر يثقل عينيها، ومفاجأة الطلب تسكر عقلها: نعم. ماذا أفعل؟ فردت رغد بتوسل: اليوم أنا مريضة، ولا بد من إعداد الأولاد للمدرسة. فأعادت رغد: أنتِ مَن سيهيئ الأولاد، ويعدُّ فطورهم اليوم أرجوك. قادتها رغد إلى المطبخ قائلة: هذا الشاي جاهز، والخبز والبيض المسلوق، والجبن والحليب. ما عليك إلا أن تجمعي الأولاد، وتقدمي لهم الطعام، وتغيري ملابسهم. ردت جاكلين مستغربة: أنا! لماذا! أجابتها رغد: قلت لك أنا مريضة، ولا أستطيع، فأرجوك ساعديني. فأجابتها: نعم. سأفعل. تظاهرت رغد بأنها متعبة ولا تقوى على

مغادرة فراشها. وحين ركض وليام وروز نحو غرفتها للاحتماء بها من أمهم، وجدوها مريضة. ذبلت ملامح الصغيرين حزناً، ولم يجدوا مفراً من العودة إلى المطبخ حيث تقف جاكلين بارتباكها وشحوبها متوددة لهم جميعًا. بيدين مرتعشتين قدمت الفطور، فسقط من يدها قدح حليب، وتناثر الزجاج، فسارعت إلى جمعه. ووضعت الكتب في الحقائب، ومشطت خصلات بنات رغد أولًا بسرعة وبقوة، صرخت أحداهن، قائلة أوجعني المشط، ثم جاء دور روز التي كانت تتأفف بصمت محاولة تمشيط شعرها بيدها، بعد أن رفضت بنات رغد ومنى مساعدتها في التمشيط. ومع كل حركة، كانت جاكلين تردد كلمة ماما مع الجميع. تفاجأت جاكلين برجوع روز إلى المطبخ حاملة بيدها كيسًا، فنادتها: مام، روز، ماذا تريدين، يا حبيبتي؟ وروز تدير وجهها عنها ثم تعود تنظر لها. فتناولت رغيف خبز، بيضتين مسلوقتين وعلبة جبن، ووضع كل ذلك في كيسها الذي جاءت به. ومنى وجاكلين تنظران. سألتها منى: هل ما زلت جائعة يا حبيبتي؟ ردت بسرعة وهي تخرج من المطبخ: يسس. علقت جاكلين: لم تفعل روز قط! ثم أنها تناولت فطورها مع البنات. وفجأة خرجت رغد من غرفتها بتثاقل وبوجه يخلو من الابتسامة، واصطحبت منى والأولاد أمامهما وتوجهوا إلى المدرسة، بعد ان أوصت جاكلين بالبقاء في البيت. منى تستغرب مما ترى. وتسال رغد، لكن رغد أسرعت بالخروج قائلة سأخبرك في الطريق.

وصلوا إلى المدرسة، وما هي إلا دقائق حتى لمحت منى قوام روز الصغير يركض نحوهم وهي تلتفت يميناً وشمالاً. انحنت رغد بلهفة متظاهرة بالمرض تسألها عن سبب ركضها مع كلمة تحبب أمومي، ففتحت روز حقيبتها بحرص، وأخرجت الكيس الذي عبأته بيديها الصغيرتين في المطبخ. قدمته لرغد بعينين يبرز الخوف والوفاء فيهما، وقالت: ماما، أنتَ مريز، وهازا بريك فاست لأنت. ساد صمتٌ ثقيل بين منى ورغد. نظرت منى إلى الكيس، وهي تبكي بحرقة: خبز وجبن وبيض، سرقتهما روز من يد أمها الحقيقية لتقدمهما لأمها التي اختارتها. أطبقت منى عينيها، وناجت ربها في سرها بمرارة: يا ألهي، لو أن جاكلين رأت هذا المشهد الآن؛ لربما تمنت لو أنها بقيت في غيبوبة المعقمات ولم تخرج.

خرجوا من المدرسة مسرعين بنشاط متوجهين إلى بيت رغد، ومشت رغد بخطوات سريعة تريد اللحاق بهم. بينما كانت منى تمسح دموعها بصمت خلفها. لحقتها متسائلة: إلى متى يا رغد؟ هل رأيتِ ما فعلته روز؟ قلبي يتقطع على جاكلين.. متى تنتهي هذه اللعبة خطيرة! التفتت رغد إليها، ووجهها يحمل صرامة، وقالت بصوت حازم: ليست لعبة يا منى، بل عملية جراحية بلا تخدير. زوجي قالها لي بوضوح: طالما باب بيتي مفتوح، فوليام وروز لن يعودا لجاكلين أبداً. شهقت منى: كيف؟ وهل ستطردونهم! أتُطرد روز! ابتسمت رغد بدهاء الواثقين: طبعًا، لا، بل

سنجعلهم يطرقون بابها بأنفسهم. سأوصلهم لبيتي الآن، وادعي انشغالي بظرف طارئ عند بيان. وسأتركهم في عهدة جاكلين وحدها حتى الليل. لن يجدوا صدراً يهربون إليه سوى صدرها. استبشرت منى وضحكت من قلبها: يا شيطانة يا رغد! تضربين ألف عصفور بحجر. هكذا سيألفون أمهم على نار هادئة، بينما نترك سيبويه وتشومسكي تكملان صراعهما اللغوي بعيداً عنا! فضحكتا.

قالت رغد وهي مسرعة متوجه نحو خارج بيتها، تنظر لساعتها: جاكلين حبيبتي، بيان تنتظرني في أمر عاجل. أنا ذاهبة. ثم أوصت الاولاد بحزم، وهي تغلق الباب، وهم ينظرون لها بقلق وخوف: يا أولاد، يا أعزائي، لا تتعبوا أمك جاكلين، اسمعوا كلامها. قبل أن تستوعب جاكلين حجم الورطة، انطلقت السيارة، وبقيت هي في مواجهة الأولاد. شعرت جاكلين ببرودة تسري في أطرافها؛ هذه ليست غرفة مستشفى محكومة بنظام المعقمات، هذا "ميدان حياة" يضج بالحركة. دخلوا جميعاً. ارتمى أولاد رغد على الأرائك بعفوية، بينما وقف روز ووليام في الزاوية في حالة استنفار كأنهما ضيفان ثقيلان، يراقبان "جاكلين" بحذر. وما هي إلا دقائق، طرق عامل المطعم الباب. تسلمت جاكلين الأكياس بيدين مرتعشتين. رائحة الرز واللحم والبهارات العراقية فاحت في الأرجاء. بدأت جاكلين تفرغ الصحون، وصوت الأواني يرتطم ببعضه. هيا يا أولاد. الغداء جاهز! نادتهم بصوت حاولت أن تجعله حنوناً، لكن بحة التعب كانت تغلبه.

جر حسين وليام من يده نحو سفرة الطعام، جلست فاطمة تاركة مكانًا لروز الواقفة تنظر، وأومأت لها بيدها لكنه لم يستجب لها، فقامت لتأتي بها. جلسوا حول السفرة، وأولاد رغد يمازحون جاكلين: ماما جاكلين، لن نأكل حتى تأكلين أنت أولًا. أجابتهم بابتسامة باهتة: نعم يا أحبائي. وزعت عليهم اللحم، وسكبت المرق بحرص، وعيناها لا تفارقان روز ووليام اللذين جلسا في أبعد نقطة عنها على السفرة. حاولت جاكلين كسر الجليد. مدت يدها لتسكب لوليام المرق في صحنه، فسبقها بسحب صحنه بحركة لا إرادية. وبعد قليل، عاودت سحبها لصحنه لتسكب له، وقربته منه ببطء: وليام حبيبي، هذا الرز الذي تحبه. هل أضع لك مزيداً من اللحم؟ نظر وليام إلى الصحن، ثم إلى وجهها الشاحب الذي تعبث به تجاعيد القلق. لم يرد بكلمة، لكنه بدأ يأكل بهدوء. تتحرك عينا وليام نحو جاكلين حين تطعم أحد الأولاد. سأل وليام حسينًا: متى يجيء ماما رغد؟ رد حسين، وهو يأكل: ستأتي بعد أن نشرب الشاي. عينا روز تراقب جاكلين وهي تعني ببنات رغد ووليام. مسحت جاكلين طرف ثوب فاطمة حين سقط عليه المرق، عدلت خصلة شعر زينب. أسقطت روز ملعقتها على ثوبها، ووجهت نظرات حادة لجاكلين، لتهب جاكلين لها وتمسحه لها، وهي تسألها: لا عليك، يا حبيبتي، اكملي طعامك.

فجأة، انسكب كوب الماء من يد وليام. تسمر الصغير مكانه، واتسعت عيناه وبدا الخوف على وجهه، ينظر بخوف إلى جاكلين، لكنها سارعت إليه، جثت على ركبتيها بجانبه، ومسحت الأرض واحدى قدميه، وهي تهمسه بعينين دامعتين: لا بأس يا بطل، لا بأس، كلنا يخطئ. قال له حسين: لا تخف وليام، ماما جاكلين لن تؤذيك. هي تحبك. ألقى وليام نظرة حادة في عيني حسين. حين انتهى الغداء، بدأ أولاد رغد وروز يجمعون الصحون لمساعدتها، ووجد وليام نفسه، دون وعي، يحمل ملعقته ويضعها في الحوض أمامها. التقت عيناهما، لكنه لم يبتسم إلا حين مازحه حسين. قالت جاكلين بصوت منخفض وهي تغسل الأطباق: شكراً يا وليام. أنت رجل البيت الآن. نظر إليها مطولاً، ثم التفت لفاطمة وروز وقال: أنا يريد الشايا. هات الشاي. فردت جاكلين: حاضر، يا سيدي، أبا ليلى. سلط وليام عيناه عليها بنظرة ثابتة.

اجتمعوا حول صينية الشاي التي أعدتها جاكلين بعناية بمساعدة فاطمة مع روز، وصوت غليان الماء في المطبخ يبعث دفئاً افتقدته طويلاً. وضعت الأكواب أمامهم، ثم اخرجت هاتفها، وعرضت لهم حلقة من مسلسل الزير سالم. ما إن ظهر وجه كليب وصوت الخيول حتى ساد صمت مطبق؛ تسمرت عيون الأطفال، وخاصة وليام الذي اعتدل في جلسته كأنه يستعد لمعركة. مال وليام بجسده قليلًا نحو جهة جاكلين التي تمسك بالهاتف، مبتعدًا عن حسين الجالس بجانبه. كانت جاكلين تراقب انفعالاتهم أكثر من الشاشة. ظهر مشهد لأخت الزير وهي تصل إلى زوجها همام ووليدها وأخيها الزير، بعد أن تركوا بيتاهما ليقظوا أيامًا في الصحراء. حين أجابتهم لن أتركم. حين انتهت الحلقة، أغلقت هاتفها، فتعالت أصوات الاحتجاج: لماذا يا ماما جاكلين؟ نريد أن نكمل! ابتسمت جاكلين، وأخرجت علبة الحلوى التي خبأتها رغد، وقالت بنبرة فيها تحدٍ ومرح: لن تذوقوا هذه الحلوى، إلا بشرط! من يحفظ منكم خمس جمل بالفصحى مما قيل في الحلقة، فله قطعة حلوى الآن، وحين نخرج غداً، سأشتري له الهدية التي يختارها بنفسه. لمعت عينا وليام. وقف فجأة، وحاول تقليد وقفة الزير سالم، وقال بصوت جهوري متعثر: (هيا بنا وكفاكم ثرثرة)، (هذه المرأة عجيبة وغريبة)، (اسكت يا ضباع)، (أريدك أن تفهمي شيئا وائل سيدي وأخي). صوت تصفيق حسين لوليام، جعلهم يصفقون.

ثم بدأت جاكلين بمراجعة موضوعًا في قواعد اللغة الإنجليزية لابنة رغد الكبرى، بينما يراجع الأولاد الكبار دروس الأولاد الصغار. أما روز فمشغولة بكتبها، حاولت جاكلين التقرب منها لكنها رفضت؛ لذا اكتفت جاكلين بالجلوس بقربها، ترفع صوتها بشرح موضوعًا في قواعد اللغة الإنجليزية. تسأل روز ابنة رغد عما يصعب عليها في غير اللغة الإنجليزية، ولكنها تجيب ابنة رغد على سؤال تطرحه لها في اللغة الإنجليزية مرددة ما شرحته أمها جاكلين. سألتها روز،

فأجابتها، وقد سمعتهما جاكلين، فتدخلت ووضحت، وهي تسمع روز تشكر ابنة رغد، ولم تلتفت لجاكلين.

ما صعب عليهم رجعوا به لجاكلين. لم تلتفت روز لجاكلين حين اقتربت منها، استمرت بانشغالها بدراستها مع فاطمة التي تعلمها اللغة العربية، وما تحتاجه فاطمة من قواعد اللغة الإنجليزية، تجيبها عنه روز. وجاكلين تردد مرة: جيد. وآخرة: احسنت. وثالثة: فري كود. قطع هبوط الشمس نحو الأفق جلسة رغد في بيت بيان؛ لترجع إلى بيتها. نزلت من سيارة الأجرة ودخلت إلى مطعم زوجها المنزعج، حيته بود، وقدمت اعتذارها لأنها تأخرت في بيت بيان، وردت عليه بغضب حين اتصل بها غاضبًا يأمرها بالرجوع لبيتها فورًا. وخرجت من المطعم وهو ما زال غاضب عليها. وجلست بقربه قليلًا، ثم توجهت إلى بيتها. حين دخلت البيت جاء الاولاد ليسلموا عليها، قدمت لبنتين من بناتها وروز الفراولة التي يحببنها، وقدمت علبتي حليب لحسين ووليام كي يشربانه مع أكلهما التمر؛ لأنهما طلبا منها التمر والحليب ليتناولانهما حين يشاهدان مسلسل الزير. اجتمعوا على سفرة العشاء. جلس حسين على يمين والده، ووليام على يساره يتوسط بين رغد وزوجها، وروز تلاصق رغد في جلستها، وبجانبها بنات رغد. اعترض زوج رغد عليها لسكبها لوليام لبنًا مرة ثانية، قائلًا: لا تسكبي له لبنًا مرة ثانية كي لا يحرمه اللبن من الطعام. فردت رغد: منذ يومين وهو وحسين يلحان على اللبن والحليب والتمر. انتهوا من تناول الطعام، وروز مع بنات رغد يجمعن الأطباق، وحسين اعطى المنشفة لأبيه، ووليام يقدم له قنينة العطر، ورغد تنظر بما كتبته بيان في سجلها مالئة الفراغات، وجاكلين تعد الشاي، والأولاد متشوقون لمشاهدة حلقة من مسلسل الزير سالم.

لم تذهب رغد إلى بيت بيان، بل بقيت في بيتها متظاهرة بالمرض بعد أن رجعوا من المدرسة، ودخلت رغد المطبخ لتجد جاكلين منزوية فيه، بسكون تام، وعينيها تحدق في السقف حتى أنها لم تشعر بدخول رغد. أحست جاكلين بيد رغد على كتفها. التفت إليها وهي عاجزة عن التظاهر بالابتسامة، فابتسمت لها رغد، ومازحتها، ثم طلبت منها ترتيب السفرة والاهتمام بالأولاد. رجعت رغد لغرفتها.

طرق وليام باب غرفة رغد مرة ثانية بعد ان جاءها سائلًا عن صحتها. دخل عليها يسألها لماذا لم تشاهد معهم المسلسل. فأجابته بأنها مريضة، ولكنها ستشاهده معهم بعد العشاء. ثم رجع ثالثة، يطلب مساعدة رغد في إفهامه لموضوع في قواعد اللغة العربية. قررت رغد القيام من فراشها، وهي تقول في سرها: (يا ربي، أنهرب من واقعنا المتعب إلى النوم، أم من كوابيس أحلامنا إلى واقعنا)، وتوجهت إلى الصالة، مسكت القلم، وتوجهت إلى لوحة الكتابة بعد أن

جلسوا أمامها ولحقتهم جاكلين، كتبت في أعلى اللوحة: أقسام الكلام في اللغة العربية، هي: اسم وفعل وحرف. والتفتت إليهم: الاسم، يا أولاد، هو كلمة تدل على: 1- شيء نلمسه بأيدينا، وكتبت، مثل: جاكلين، قلم. 2-محسوس لا نلمسه، مثل: الحب، الوفاء. ثم سألت جاكلين: ما تعريف الاسم في الإنجليزية. فردت جاكلين نفس التعريف، ويدل على شيء نلمسه كـ(William, bird)، أو شيء محسوس، فقاطعها وليام بصوت واضح: (freedom, happiness). هزت رغد رأسها: نعم، احسنت يا أبا ليلى. رأت شفتيه تتحركان، فعلق حسين قائلًا: وليام يسألك عن معنى اسم (أبو ليلى). تبسمت: سالم، أبو ليلى، المهلهل. (سالم) اسم لشخص سماه أبواه به، و(أبو ليلى) كنية لشخص. أي للاحترام لا ينادونه الشخص باسمه بل بأن يذكروا كلمة (أب) وبعدها اسم ابنه الأكبر، أو كلمة (أم) للمرأة، وبعدها اسم ابنها الأكبر. رد وليام مستغربًا: ليلى ابن! علقت روز: أنا أكبر وليام! فقالت رغد: حين يكون للوالدين بنات فقط ولا ابن لهما، يُنادى الوالدان باسم ابنتهما الكبرى. وحين يكون لهما ابن حتى لو كان أصغر أولادهم، فالناس ينادون الوالدين به.

احتجت روز وتبعتها بنت رغد الكبرى على ما سمعاه من رغد، وهي تسمعهما: هذا ظلم للبنات، دائما العرب ضدنا. اسكتتهما رغد. وسكتت هي أيضًا، ثم قالت: العرب حين تنادي الرجل باسم ابنه، فأنها تريد أخافت عدوه بأنه له من يأخذ بثأره، وفي الاحترام والتشريف بأن هذا الرجل له من يربيهم، أما حين ينادونه باسم البنت، فهم يقصدون بأنه قادر على حماية الآخر، وقادر على إعالته. وسكتت وهي تنظر لهن بعيين واسعتين. واسندت رأسها إلى حافة لوحة الكتابة، واغمضت عينيها وهي تأمرهن بكتابة ما كتبته على اللوحة. وقالت لنفسها: هل تحول التظاهر بالمرض إلى حقيقة! ما هذا الانهاك! واسترسلت بقولها: يا أم وليام، هل توجد كنية في الإنجليزية؟ أجابتها: لا توجد كنية في الإنجليزية. فردت فاطمة يعني أن العرب يحترمون الأب ويمجدونه على العكس من البريطانيين! ردت جاكلين: قد يصغرون الاسم للتحبب مثلًا حسين (حسون). ثم أكملت رغد: والنوع الثالث: (المهلهل) الذي هو لقب للشخص، لقب مدح أو ذم، أو مهنة أو عشيرة مثلًا وليام البطل، المهلهل الصغير، البريطاني. فرد بغضب وعيناه نحو أمه: ايراكي نوت بريتش. واكملت، هي تنظر في عيني وليام، وتابعت بخبث تعليمي: لنميز الاسم من الفعل والحرف من خلال ال التعريف، فتقول: الأم. فعكست عينا ويليام نظراتها له، وهو يصغي لها. وكتبت: وعلامة الاسم الثانية هي الجر، أي يسبق الاسم حرف جر كقولنا: تنظر جاكلين إلى الأولاد بحب. (الأولاد، بحب) اسمان؛ لأنهما مسبوقان بحرفي جر. ونادت جاكلين طالبة منها كتابة ما يقابلها في الإنجليزية. قامت ومسكت القلم بوهن: الاسم في الإنجليزية أيضًا يسبقه حرف جر. فرد حسين: (We at our house). ردت روز بغضب: خطأ، قل: (We are at home).

فابتسمت جاكلين، وقالت: فري كَود يا حبيبتي روز. وروز لم تلتفت لها. لحظت رغد حزن عيني جاكلين، فقامت، وأخذت القلم منها قائلة: فلأكمل أنا ثم يأتي دورك، يا ست جاكلين الوردة. وسألتهم ما العلامة الثالثة، يا أولاد؟ فردت فاطمة: التنوين. ردت رغد بابتسامة: جيد. احسنت. وكتبت:

التنوين: هو ضمتان فوق الحرف الأخير من الاسم، مثل: جاكلين أمٌ.
أو فتحتان فوق الحرف الأخير من الاسم، مثل: رأيت صديقةً.
أو كسرتان فوق الحرف الأخير من الاسم، مثل: نظرت إلى بنتٍ.
ثم سألتهم: لماذا هذه الكلمات الثلاثة أسماء؟ (أم، صديقة، بنت). أجاب حسين: لأن منونة بالتنوين. ردت: احسنت. ثم وجهت سؤالها: أين التنوين؟ فأجابها حسين: الأم مرفوعة بالتنوين. وردت روز: و(بنت) مكسورة بالتنوين. ارتبكت رغد، ثم قالت: لا، أولًا اجيبوا عن الاسم الثاني. فردت روز وفاطمة معًا: لأن (صديقة) منونة بالنصب. فهزت رأسها فرحة: نعم، احسنتما. والآن، أنا تعبت. فلتكمل الست جاكلين بشرحها المفيد فقرة الإنجليزية. قامت جاكلين، وأخذت القلم وكتبت بخط صغير مرتجف:

تستعمل الإنجليزية أدوات التنكير للأسماء المبدوءة بحرف صحيح (a)، مثل: a son, a heart
وللأسماء المبدوء بحرف علة (an) ، مثل : an eye, an elephant
وجمعها في الجمل المثبتة (some)، مثل: We have some toys.
والجمل المنفية والاستفهامية (any)، مثل: My son doesn't send me any message.

ثم سألت أين الأسماء فيما كتبته؟ فلم يجبها إلا أولاد رغد. وبعد أن أجابوا، قال وليام وهو يقطب حاجبيه (son). ابتلعت جاكلين غصتها، وهي تنظر لرغد. ثم قالت بصوت مشروخ: كود. وهي تتوجه لمكان جلسوها، تسلم القلم لرغد. استعادت رغد مكانها اللوحة بثقة، مسحت اللوحة، وكتبت بخط عريض تاركة فراغات: الاسم يدل على شيء، أما الفعل فيدل على حركة فاعل وزمن ماضٍ أو حاضرٍ أو مستقبلٍ. فـ(كتب) تدل على من قام بالكتابة، أي لا تحصل الكتابة من دون فاعل. وهي في الماضي، و(يكتب) في الحاضر، و(سيكتب) في المستقبل. ومثله في الإنجليزية مثل: escape, cry، في الفعل حدث، وله دلالة زمنية.

فالفعل ينقسم على ثلاثة أقسام من حيث الزمن:

1- الفعل الماضي: هو الذي حصل وانقضى في الزمن الماضي، مثل: قال، تبسم. ومثله في الإنجليزية، الفعل الماضي انتهى، لا يمكن استعادته، مثل: Played, wrote.

علامة الفعل الماضي: قبوله تاء الفاعل، تاء التأنيث، مثل: كتبتُ، كتبتَ، كتبتِ، كتبتْ.
علامة الفعل الماضي في الإنجليزية عدم قبوله أي من الآتي:
(Did not , do not, s, do, can, may, will)

2- الفعل المضارع: وهو الذي يحصل في الحاضر أو الاستقبال، مثل: يكتب محمد. أي الآن. سيكتب محمد. أي في المستقبل. كذلك في الإنجليزية فان الفعل (Present) يدل على الحاضر كما نحن الآن نعيش هذه اللحظة، ويمكن أن يدل على المستقبل الذي سنعيش فيه بسعادة معًا (Future) إذا سُبق بـ(Shall) أو (Will) أو (Going to). فهذه الثلاثة تفتح لنا أبواب المستقبل الجميل، مثل:

We will live together in happiness and love.

علامات الفعل المضارع: يكون مبدوء بأحد الأحرف أنيت: (أ، ن، ي، ت)، يقبل دخول (لم، لن، السين، سوف، ي). أما في الإنجليزية فعلامته قبوله احدى العلامات التالية:
(Did not , do not, do, s, to, can, may, will)

أكملت رغد، والأولاد يكتبون. والتفتت إلى جاكلين طالبة منها ملء الفراغات بما يناسبها. ثم رجعت وجلست بجانب رغد مراقبة جاكلين التي تملأ الفراغات محاولة إخفاء ارتعاشها. علقت روز بانزعاج على الجملة (will live) not (going to live)! وردت جاكلين متفاجئة: يسس (We are going to live together in happiness and love). ورغد لم تفهم شيئًا من هذا التعليق والتصحيح سوى انزعاج روز. ثم فتحت عينيها نحو جاكلين التي بدا عليها الارتباك، وهي تتوجه لرغد، وتعطيها القلم. أخذت القلم وهي تقف قائلة: احسنت، يا ست جاكلين، لقد امتعتنا بالمعلومات. ساد صمت غريب، والأولاد يكتبون. قطعته رغد سائلة جاكلين عن تعليق روز. فردت صيغة (will, shall) تستخدم للمستقبل غير المخطط له، أما (going to) فللمستقبل المخطط له. ملء الاستغراب وجه رغد، واسكتها وهي تنظر في عيني جاكلين المنكسرتين. وبعد أن أكمل الأولاد الكتابة، قامت رغد؛ لتكتب:

3- الفعل الأمر: هو الذي يحصل في المستقبل ويدل على طلب، مثل: عيشوا بحب وسعادة مع أمكم. وفي الإنجليزية الفعل المضارع (Present) للأمر بعد حذف فاعل الفعل، فالفعل المضارع هو نفسه الفعل الأمر، ولكن بدون فاعل، مثل: Look into my eyes.
وعلامة الفعل الامر: هي دلالته على الطلب، قبوله ياء المخاطبة. في الإنجليزية الفعل الأمر هو نفسه الفعل المضارع، ولكن محذوف الفاعل، وعدم قبوله (S) الشخص الثالث؛ كونه للأمر، والأمر لا يكون إلا للحاضر، و(S) للشخص الغائب، لذا لا يمكن للفعل الأمر قبوله علامة الشخص الغائب.

وبعد أن رجعت جاكلين لمكانها، وقفت رغد أمامهم ماسكة بالقلم؛ لتختم الموضوع. قالت: والآن القسم الأخير من أقسام الكلام. هل لديكم سؤال قبل أن أبدأ بالحرف؟ هل فهمتم ما شرحناه لكم؟ فأجابتها فاطمة الآن فهمت الفعل في الإنجليزية. شكرًا ماما جاكلين. فقد كنت لا أميز بين الفعل المضارع والأمر. فعلقت روز بخبث، وهي تنظر لها: في الإنجليزية احزفي الفاعل من الفعل البرزنت، و(s)؛ وتزهبي للفيوجر ايزي. لم تفهم رغد ما قالته لكنها فهمت ما قصدته من حركاتها، ومنظر جاكلين وهي تسمع. فكسرت هذه اللحظة بقولها: الحرف: هو كلمة لا يكون لها معنى إلا في داخل الكلام، مثل: على، فلا معنى له وحده، لكن لو وضعناه في جملة، مثل: الكتاب على المنضدة. صار له معنى.

ثم جاء دور جاكلين. وقفت أمامهم قائلة: ومثله الحرف في الإنجليزية، فـ(with) لا معنى لها وحيدة بلا اسم يلحقها ليكملها ويبين معناها وقيمتها. ولو قلنا: I am with you, but alone. أما إذا احتضن من معه في الجملة، فسيكون له معنى. مثل الولد لا يستطيع أن يكون وحيدًا بلا أم، ولا الأم من دون الولد. ورغد تنظر إلى عينيها التي تهرب بهما باستدارة وجهها نحو اللوحة. والأولاد ينظرون لروز ووليام. فترد رغد: يا أولاد، قفوا وصفقوا لماما جاكلين الذكية. وما زالت جاكلين تدير وجهها محاولة لتهرب بعينيها، وهي تراجع الكتابة على اللوحة وتضع خطوطًا تحت حرف الجر المكتوب.

في صباح يوم الجمعة، ايقظت رغد جاكلين كي تحضر معها لإعداد الفطور. ورغد وأولادها يكثرون الابتسامة، ويتوددون لها. كل من يطلب شيئًا من رغد، تجيبه: فلنسأل ماما جاكلين. وجاكلين تصطنع الابتسامة وتجيب مباشرة. كانت رغد تجلس بجانب جاكلين التي تجلس بجانبها فاطمة ساندة رأسها على كتفها، بينما جلست روز بجانب رغد تتكئ عليها. ترك وليام مكانه بجانب حسين، ماسكًا كوب الحليب بيده الصغيرة، وتوجه نحو رغد وجاكلين، فمدت جاكلين يدها ومسكت الحليب منه لتساعده في تغيير مكانه بينها وبين رغد ليتكئ على رغد، حتى انتبهتا إليه وقد انحاز بجسده نحو حضن جاكلين. بابتسامة نظرت رغد لجاكلين التي مدت يدها تلاعب شعره، وهو يشرب الحليب.

لحق وليام بحسين وهو يقوم من جلسته لتناول الفطور، وبسرعة دبت في أوصال جاكلين طاقة مفاجئة. نهضت وتوجهت إلى الصالة لتعد جلسة تعليمة، وقفت أمام اللوحة، ونادت رغد والأولاد وهي تمشي نحوهم إلى المطبخ بخطوات واثقة مستعجلة. لم تمهلهن دقائق لجمع

الصحون ولا لغسلها، بل اقتحمت المطبخ وجرت رغد من يدها برفق حازم، ودفعت بلطف الأولاد للتوجه نحو الصالة، وهي تهتف بنشوة صباحية: هيا هيا يا أولاد للدرس. فكررت رغد معها، ثم الأولاد. وبعد أن تجمعوا قالت وهي تمسك زمام الأمور بسعادة: والآن حان وقت فطور العقل. فلتبدأ ماما رغد بشرح موضوعًا جديدًا. تفضلي، يا سيبويه رغد، وهذا القلم، وأمامك للوحة. تقدمت رغد نحو اللوحة، وكتبت بخط عريض: الضمير. وقالت بصوت واضح: في لغتنا العربية هو كلمة تنوب عن الاسم لنتجنب تكرار الاسم مثلًا: جاكلين أمكم. هي تحبكم. قلنا (هي) بدلًا من تكرار اسمها ليستره بجمال. فسألتها روز: يعني جاكلين في (هي). فردت رغد: الضمير هو الستر والبديل الذي يوصلنا للاسم. وابتسامة جاكلين تتستر خلف القلق. ثم راحت رغد تقسم الضمائر: 1- ضمائر منفصلة عن الكلمة كأنا هنا وجاكلين هناك، وتكون للمتكلم (أنا، نحن)، وللمخاطب (أنت، أنتم، أنتن)، وللغائب (هو، هي، هم، هن). 2-ضمائر متصلة، فركضت إليها جاكلين وتعانقتا في التحام جسدي عفوي. قالت رغد لهم بصوت ضاحك هكذا يكون الضمير المتصل لا ينفصل عمن نحب كما تروني الآن أنا وأمكم جاكلين. وتكون الضمائر المتصلة للمتكلم (ت الفاعل، نا، ي)، وللمخاطب (تَ، تِ الفاعل)، (ن النسوة) (ي المخاطبة)، للغائب (الألف الاثنين، الواو الجماعة، ه). وهذه الضمائر نراها بأعيننا كما تروني وترون أمكم جاكلين. والآن، يا أولادي، اكتبوا كل شيء ورتبوه في دفاتركم وواجبكم هو أن تستخرجوا أمثلة لما شرحته لكم من كتبكم. ثم سلمت رغد القلم لجاكلين منادية إياها: خذي القلم يا تشومسكي جاكلين؛ لتطعمي عقولنا. انتظرتهم حتى اكملوا الكتابة، ثم مسحت اللوحة؛ لتظهر بياضها، تاركة الضمير مكتوبًا في قلب اللوحة. وقالت: يجب أن نعرف الضمير في الإنجليزية أولًا. فقاطعها وليام بحماس: (Conscience)، لترد روز بسرعة المصحح: لا، هو (Pronoun). فاجابتها جاكلين: فري كَود، ماما روز الجميلة. الضمير هو كلمة نستخدمها بدلًا من الاسم كما قالت ماما رغد في العربية. نستخدم للمتكلم (I, we) حين أقول لكم: .I love you ، سارعت رغد لتكمل: ونحن نقول لكِ: ..We وأتمت فاطمة بضحكة: .We love you ابتسمت جاكلين: وللخاطب (you)، مثل... فردت بنت رغد الوسطى: .You love you لترد روز بحدة: لا، خطأ: You love us. ، نطق لسان جاكلين قبل أن تستوعب الموقف، وقد أشرق وجهها: إكسلنت، ماما روز. كوين روز. ثم سألت: هل فهمت، يا حسين، يا أبا ليلى. فأجابها حسين بصوت واضح: نعم، ماما جاكلين، لكن وليام اكتفى بهز رأسه. ثم أكملت: كيف نترجم (هو، هي) للإنجليزية؟

أجابت فاطمة: (he, she) و(it) لغير العاقل. فعلت جاكلين: فري كَود، ماما فاطمة. وكيف نترجم (هم، هن)، رد حسين: (they). ولكن هل هو للمذكر أو للمؤنث؟ أجابته للمذكر والمؤنث. ردت بنت رغد عليه: النساء والرجال واحد في الإنجليزية. فصاحت روز بانحياز أنثوي: النساء أفزل. أولًا. ليجيبها وليام بغضب: الرجال أفزل. فصرخت روز: Ladies and Gentlemen ، ومعها بنات رغد: سيداتي وسادتي. تفاعلت جاكلين مع ضحكات رغد، وهي تعقب في الإسلام الرجال قوامون على النساء، لكن في حياتنا كالإنجليز سيداتي وسادتي. اكملي يا ست، وماذا عن المثنى؟ أصحيح لا يوجد في الإنجليزية إلا واحد أو ثلاثة مجموعين كأنت وروز ووليام أو أكثر كأنا وأولادي؟ ردت جاكلين فرحة: نعم. والآن يا أحبائي، ما الضمائر المنفصلة؟ وكم ضمير في الإنجليزية؟ فراحوا يذكرنها: (I, we, you, he, she, it, they). سبعة سبعة سبعة، ماما جاكلين. فصفقت رغد وصفقوا معها.

انتهوا من تدوين ما كُتب على اللوحة. فمسحته رغد، هي تقول: والآن يا أولاد، سننتقل إلى الضمائر التي لا نراها بعيوننا، بل نفهمها وهي مخفية. فمثلًا: أكتبُ الدرس. من الذي يكتب الدرس؟ قالوا: أنت. سالتهم: أين أنا في الجملة؟ لم أقل: أنا أكتب. هذا معناه أنكم لم تروا الضمير (أنا) المختبئ في الفعل (أكتب). مثل حبي لكم وحب جاكلين لكم. أنتم لا ترونه بل تشعرون به. فحبنا لكم في داخلنا لا تراه عيونكم، لكنكم تفهمونه. ولو قلنا كتب الدرس. فالضمير هنا (هو) المخفي في الفعل. وهذا يسمى الضمير المستتر أي المخفي؛ لأنه يستحي من الظهور. مال وليام براسه، ورفعت روز حاجبيها. وهذا الضمير المستتر نوعان: 1- مستتر وجوبًا، أي هو يخاف دائمًا فيختبئ ولا يظهر لنراه بعيوننا. وكتبت: أسمعُ، نسمعُ. فمعناه دائمًا عندما نتكلم عن أنفسنا يكون الضمير في داخلنا مستترًا. وعندما نأمر أحدًا، نقول له: ادرس بجد. فالضمير يختبئ في الفعل الأمر. 2- مستتر جوازًا. أي هو حر مرة يظهر ومرة يختبئ عندما نتحدث عنه وهو غائب، مثل: كتب الدرس. تقدمت جاكلين وأخذت القلم بعد أن أكملوا الكتابة. قالت: في الإنجليزية يختبئ الضمير حين نأمر أحدًا بفعل شيء؛ لأنه يحترمنا ويحبنا، فنقول: (Take the toy)، ومعناه أن وليام يحبني ويحترمني حين أمرته بأخذ اللعبة لأني أحبه؛ لذا أختبئ في الفعل الأمر. أما إذا قلنا: (You take the toy) فمعناه أنني أخبركم، لا أوجه لوليام الأمر بأخذ اللعبة. وإذا وضعت فارزة بين وليام والفعل كـ(You, take the toy)، فمعناه

أني أناديه، ويجب أن يجيبني لأنني أحبه كثيرًا. رد وليام: أنت لا تقول وليام، أنت تقول (you). تدخلت رغد بذكاء الامومة وفطنة الأستاذة لتنقذ الموقف: لأننا نحب وليام فنستبدله بضمير (you) كي لا نزعجه. فصاح: ثانكس مام. علقت روز بخبث طفولي باللغة الإنجليزية لا العربية، فلحظت رغد انطفاء وجه جاكلين، ثم سألته بقلق: ماذا قالت حبيبتي روز؟ فرد جاكلين بعد صمت للحظة: روز تسأل "هل الإنجليزية واضحة والعربية تحب الاختباء!" فضحكت رغد، وضمت روز إلى صدرها، وهي تمسح على رأسها، وعيناها مثبتتان على جاكلين: يا حبيبتي، الإنجليزية تكشف كل شيء، أما العربية فتترك مساحة لذكائنا. تترك لنا فرصة لنشعر بالفاعل والمحب، تمامًا كما نشعر بحبكم لنا حتى لحظات غضبكم او عنادكم.

نهضت رغد برفق، وقالت بصوت هادئ يمنح الأولاد إذن بالانطلاق: والآن يا أبطال، أنا وماما جاكلين سنأخذ قسطًا من الراحة. اكملوا كتابتكم، ثم انطلقوا للعب حتى يأتينا الغداء. التفتت رغد لجاكلين، رأت في عينيها رغبة محمومة في الاستمرار. خلف ابتسامتها المستترة عدم رضا على انتهاء الدرس. مدت رغد يدها نحوها: هيا يا أم وليام، قومي، لنذهب إلى المطبخ نكمل جمع الأواني وغسلها، والقهوة تنادينا. بعد أن أكملتا الجمع والغسل، جلستا يحيطهما عبق القهوة.

لم تكتفِ جاكلين بالفنجان الثالث الذي عجز عن تقليل طعم عسل وقتيهما الصباحي مع الأولاد. همت بالرابع، لكن يد رغد منعتها محذرة بضحكة. ضحكت جاكلين وقالت: دعيني أتلذذ يا رغد. فردت رغد: لقد أكثرت اليوم. كفى ثلاث، سنتناولها بعد الغداء أيضًا. وضعت الفنجان من يدها، وبحركة مفاجئة، مدت بيدها اليمنى التي يزين معصمها الاسوار الأخضر؛ لتمسك بسلسال يتدلى من عنق رغد. انحنت عليه وطبعت قبلة على السلسال. ذهلت رغد: ماذا تفعلين يا جاكلين! أجابتها بإصرار وثبات: أقبل عقال عمي، اقبلُ اصلك يا رغد. اتسعت عينا رغد من الدهشة: وكيف عرفت بأمر والدي وعقاله! تنهدت جاكلين بمرارة: كنتُ أسمع حكايات الشلة في المدرسة كنا نضحك ونستهزئ بتقاليدكم. الآن فهمت معناه. وأرجوك سامحيني. ابتلعت رغد غصة قديمة، وبسطت كفيها نحو السماء محاولة غسل انكسار صديقتها: لا يهمك يا أم وليام. كلنا خاطئون. فلنقرأ سورة الفاتحة لأرواح أهلك وأهلي.

تفاجأت رغد بوجود عدة أوراق في بعضها تجاعيد على فراشها حين دخلت غرفتها في تلك الليلة، مكتوب بألوان مختلفة فيها مقارنات بين قواعد اللغتين العربية والإنجليزية، وعليها بقع حليب وشكولاتة. وما إن قرأتها حتى ذهبت بها إلى جاكلين لتسألها هل هذه الأوراق لها. نفت

جاكلين صلتها بالأوراق، وهي تبتسم. فاستدارت رغد، ونادت بصوت عالٍ على الأولاد، وهي تمشي نحوهم. أخبروني لمن هذه الأوراق؟ فأجابوها، لم يزيدوا على كلمة لا أعرف ولست أنا. ثم قالت وهي تضحك: أشك في أن الخط الذي دُونت به الأوراق هو خط آدم وروز، ثم قلبت الأوراق، وأردفت: وخط فاطمة أيضًا. طيب يا أولاد غدًا سيكون عندكم امتحان معي ومع بيان، لأفهم. ومعكم أيضًا جاكلين متهمة. ثم صورت هذه الأوراق وارسلتها لبيان، واتصلت بها لتخبرها اكملي قراءتها واتصلي بي. وبيان تجيبها وهي تضحك فرحة: ادخلي مرة ثانية وثالثة علك تجدين أوراقًا جديدة تختصر علينا الطريق لتأليف كتابنا المشترك عن قواعد اللغتين. ورغد تضحك معها: نحتاج إلى خمس مرات كي يكتمل منهج مراحل المتوسطة والإعدادية للغتين. وتعلق جاكلين بابتسامة وعينين لامعتين ونحن معكم. ضحكت رغد: إذن أنتم من فعلها، ولكن كيف ومتى؟ فردت جاكلين: نحن لم نفعل شيئًا ولكن هذا حقنا عليك لاتهامك لنا. ردة رغد وهي تضحك: سنقبل طلبكم بشرط نجاحكم غدًا في الامتحان الذي سأجريه أنا وبيان لكم، يا أيها المتهمون. ثم انتبهت ليد روز التي تبرز لون الحبر الأحمر والأخضر، فنظرت إلى يد فاطمة لتجد اللونين.

أوراق ملونة بألوان علمنا لرغدنا التي اكتسبنا منها التعريف، وضميرنا الذي وإن استتر فهو فاعل جملتنا، وإشارتنا الموصولة التي أوصلتنا بال التعريف...

العلم: هو اسم يدل على معين، مثل: رغد، بغداد، روز. ومثله (proper noun) في الإنجليزية، مثل: .William, John. قد يكون العلم أكثر من كلمة، فيكون: 1-مركب إضافي مثل: عبد الله. وفي الإنجليزية، مثل: .Hyde Park – Canterbury Cathedral – Mont Blanc
2-مركب مزجي: هو كلمتان مزجتا معًا لتكون كلمة واحدة، مثل: بعلبك سيبويه، حضرموت، معد يكرب. كذلك في الإنجليزية، مثل: .Mr. Waterhouse, Rockefeller, Spellman
3-مركب إسنادي: يكون جملة إسمية أو فعلية، مثل: جاد الحق، وجاد المولى، وشاب قرناها. أما في الإنجليزية فيمكن استخدام الفعل كاسم علم كـ(fry) التي هي فعل مضارع، ويُستخدم كاسم علم ويُجمع ويُعرف للإشارة إلى العائلة، مثل: .The Frys are coming to dinner
والعلم: اسم، مثل: رغد، وكنية، مثل: أم وليام، ولقب، مثل: المهلهل.

ال التعريف: هي علامة من علامات الام، تدخل على الاسم فقط، ولا يدخل على الفعل والحرف. وظيفتها تعريف الاسم تجعله معرفًا خاصًا بشيء معلوم للمتكلم والسامع بعد أن كان نكرة. والنكرة: هي اسم غير معين ولا محدد. تكسب الاسم تعريفًا من خلال أداة التعريف (ال) لو قلت اشتريت كتابًا. فإنك تعني كتابًا من الكتب، ولا يعرف السامع أي كتاب هو.
ولو قلت اشتريت الكتاب. لكان الحديث عن كتاب معروف لديك ولدى السامع.

المعرف بال

اللغة العربية	**اللغة الإنجليزية**
علامة من علامات الاسم	كذلك
ال التعريف حرف لا محل له من الاعراب	كذلك
تلتصق بالاسم	لا تلتصق بالاسم
لها لفظان بحسب ما تضاف إليه، مثل: الشمس، القمر	كذلك في الانجليزية فان (THE) لها لفظان بحسب أول حرف من الكلمة التي بعدها مثل: The book, the son. (ذه) The internet, the elephant. (ذي)
تدخل على الصفة والموصوف، مثل : البنت الذكية المدن الجميل	تسبق (the) الصفة فقط دون الموصوف، مثل: The intelligent girl. The beautiful cities.
وظيفتها تعرف الاسم النكرة وتحوله إلى معرفة.	كذلك
الاسم بعد الإشارة يكون معرفًا بـ ال، مثل: هذا المسجد جميل هؤلاء الأولاد طلاب	الاسم بعد الإشارة يكون نكرة، مثل: This mosque is beautiful These boys are student

الضمائر

اللغة العربية	اللغة الإنجليزية
يؤتى بها بدلا عن الاسم تحاشيا للتكرار	كذلك
ينقسم على متصل ومنفصل.	يوجد فقط منفصل، ولا يوجد متصل.
ينقسم على ظاهر ومستتر	توجد ضمائر مستترة فقط في فعل الأمر.
ينقسم على مفرد ومثنى وجمع.	كذلك في I, he, She للمفرد، وللجمع we ، they ولا يوجد للمثنى أو مثنى. ويشترك المفرد والجمع في You ,It
ينقسم على مذكر ومؤنث.	كذلك في He, She . يفرق بين المذكر والمؤنث في She, He ولا يفرق في they , you, it, we
ينقسم على متكلم ومخاطب وغائب	كذلك
تعبر الضمائر عن الملكية، وتأتي الأسماء مضافة ومتصلة دائما بهذه الضمائر.	تقسم على ضمائر تملك، مثل : It is mine وصفات التملك، ويجب أن يأتي بعدها اسم، مثل : My book
لا تحتاج إلى أداة معرفة ولا أداة تنكير لأنها معرفة. عند الإضافة تقع الضمائر بعد الأسماء مثل : هذا كتابك.	كذلك تقع صفات التملك قبل الأسماء، مثل: This is your book.
بعض الضمائر لها أكثر من حالة إعرابية كالضمير (نا) و(ي)	ضمائر النصب هي نفسها ضمائر الجر .
لا تفرق	تفرق بين العاقل وغير العاقل في (she, he, it)
يتصل الضمير اتصالًا مباشرًا بالكلمة بحيث يكونان كلمة واحدة، مثل: كتبت، بيتهم، فيه.	لا تتصل، مثل: I wrote, their house, In it

اسم الإشارة

اسم الإشارة: هو معرفة يدل على مشار إليه معين، مثل: هذا صحيح، لا تريد ذلك.

كذلك (Demonstrative pronouns) في الانجليزية، مثل: .Come and meet these

وهي قسمان:

1- أسماء إشارة عامة، يُشار بها إلى كل شيء، وتقسم على مجموعتين:

أ- يُشار بها للقريب (هذا، هذه، هذان، هاتان، هؤلاء). وفي الإنجليزية ضمائر مخصصة للقريب (This, these)،

ب-يُشار بها للبعيد (ذلك، تلك، أولئك). وفي الإنجليزية ضمائر مخصصة للبعيد (That, those).

2- أسماء إشارة خاصة، يُشار بها للمكان (هنا) للقريب، (هناك) للمتوسط، (هنالك) للبعيد. كذلك في الإنجليزية (here) للقريب، و(there) للمتوسط والبعيد. ولا يوجد فيها مخصص للمتوسط.

إعراب اسماء الإشارة

لاسم الإشارة محل من الإعراب، وهو مبني في محل رفع أو نصب أو جر، على حسب موقعه من الجمل. ويقع:

أ- مبتدأ، مثل: هذا أخي. This is my brother.

ب-خبرًا، مثل: عملنا هذا. Our work is this.

ت-فاعلًا، مثل: جاء هذا. This has led supporters...

ث-نائب فاعل، مثل: طُبِعَ هذا الكتابُ في بيروت. This student is punished.

ج- مفعولًا به، مثل: درسنا هذا الاقتراح. Get that cat off the piano.

ح- ظرف زمان، مثل: مكثتُ ساهراً تلك الليلة. This morning

خ- ظرف مكان، مثل: جلسنا هنا. We sat here.

ر- مجرورا بحرف جر، مثل: استمعت إلى هاتين الطالبتين. I listened to these.

ز- مجرورا بالإضافة مثل: كتابُ هذا الطالبِ. .The house of this man is beautiful

أسماء الإشارة

اللغة العربية	اللغة الإنجليزية
معرفة يدل على مشار إليه معين	كذلك
تقسم على: المذكر: هذا، هذان، هؤلاء المؤن : هذه، هاتان، هؤلاء	لا تقسم على مذكر ومؤنث
تفرق بين القريب والبعيد والمتوسط كـ(هذا، ذاك، ذلك)	تفرق بين القريب (This, these)، والبعيد فقط (That, those).
تفرق بين المفرد والمثنى والجمع، للمفرد (هذا، وهذه)، وللجمع (هؤلاء، أولئك) وللمثنى (هذان، هاتان).	للمفرد (This, that)، وللجمع (Those, these)، ولم تخصص الإنجليزية للمثنى.
تفرق بين المذكر والمؤنث المفرد، مثل: هذا الرجل، وهذه بنت. ولا تفرق بينهم مثل: هؤلاء أولاد وهؤلاء بنات. وأولئك.	لا تفرق بين المذكر والمؤنث
اسم الإشارة يسبق المشار إليه او يتبعه مثل: هذا المعلم. المعلم هذا.	اسم الإشارة يسبق الاسم المشار إليه ولا يتبعه، مثل : This man is nice. ولا نقول : Man this is nice.
يمكن استعمال اسم الإشارة في حالة الرفع كفاعل وفي حالة النصب كمفعول به وفي حالة الجر كمجرور مثل: جاء هذا الرجل .... أعطيت تلك البنت ..... اعتمدت على أولئك.	كذلك، مثل : That man came. I gave this girl. I dependent on that those
من أسماء الإشارة ما هو خاص بالمكان فيشار للمكان القريب بـ(هنا)، والمتوسط بـ(هناك)، والبعيد بـ(هنالك).	كذلك (here) للقريب، (there) للمتوسط والبعيد. ولا يوجد فيها مخصص للمتوسط.

أسماء الإشارة مبنية ما عدا (هذا ، هاتان) فإنهما معربان إعراب المثنى رفعًا بالألف ونصبًا وجرًا بالياء. لسماء الإشارة موقع إعرابي حسب موقعها في الجملة.	لا يوجد. فلا حركات إعرابية فيها. كذلك

الاسم الموصول

هو اسم مبهم يربط بين جملتين، ويحتاج بعده إلى جملة توضحه. وهو أحد أنواع المعارف. لو قلنا: الجسر الذي. تبقى الجملة غير مفهومة، لكن لو اكملنا الجملة، يتضح معناها: الجسر الذي نعبر من خلاله. إذن ما بعد الاسم الموصول يزيل غموضه (نعبر من خلاله). وتسمى هذه الجملة صلة الموصول. كذلك في الانجليزية توضح الصلة الموصول وتزيل غموضه فالموصول وحده لا معنى له، ونفهم ذلك من خلال هذه الجملة: I saw a man who.

فالموصول من دون صلة، والمعنى ليس واضحًا، لا نفهم المقصود منها، وعند اكمال الجملة نفهم المقصود: I saw a man who helped you.

الأسماء الموصولة في العربية: الذي، التي، اللذان، اللتان، الذين، اللائي، الألى، من، ما.

والأسماء الموصولة في الإنجليزية: What ,Who, Whom, That, Whose, Which.

الأسماء الموصولة العربية قسمان:

1- خاصة: (الذي) للمفرد المذكر العاقل وغير العاقل، (اللذان، اللذين) للمثنى المذكر العاقل وغير العاقل، (التي) للمفردة المؤنثة العاقلة وغير العاقلة، (اللتان، اللتين) للمثنى المؤنث العاقل وغير العاقل، (الذين) لجمع المذكر العاقل، (اللائي) لجمع المؤنث العاقل، (الألى) لجمع المذكر والمؤنث.

2- مشتركة: نستعملها بلفظ واحد لا يتغير مع المفرد والمثنى والجمع مذكرًا مؤنثًا. وهي: (من) للعاقل، (ما) لغير العاقل

ميزت الانجليزية بين العاقل وغير العاقل في (Who, whom) للعاقل، و (Which) لغير العاقل مثل: (للعاقل): I saw your friend who helped you.

The man who spoke was my brother.

(لغير العاقل) : She repaired the glass which broke yesterday.

ميزت الانجليزية بين الموصولات حسب الحالة الإعرابية فـ(Who) للفاعل، و (Whom)

للمفعول به ومفعول حرف الجر ، مثل:

(للفاعل) : We met a man who spoke several languages.

(للمفعول): He is the manager whom we spoke to this morning.

لا تميز الانجليزية بين المفرد والجمع، فـ(Who) يستعمل للمفرد والجمع، مثل:

(Who للمفرد) : Maha is a girl who respects her teacher.

(Who للجمع): The clerks who are sitting there know me well.

ولا بين المذكر والمؤنث، مثل:

(Who للمذكر) : Tom is a boy who respects his teacher.

(Who للمؤنث) : Maha is a girl who respects her teacher.

ولا تميز بين العاقل وغير العاقل في بعض الأسماء الموصولة كما في (That, whose) مثل: (للعاقل) : He is a man that I can trust.

(لغير العاقل): She told us the news that she had heard.

ولا تميز بين الرفع والنصب والجر في (Which, whose). ونستعمل ضمير الوصل (That) للمفرد والجمع المذكر والمؤنث، العاقل وغير العاقل، وللرفع والنصب والجر، أو يمكن استعمال (That) بدلا من (Who, which).

الاسم الموصول

اللغة العربية	**اللغة الإنجليزية**
1. تفرق بين العاقل وغير العاقل كما في (ما، من)، ولا تفرق في (الذي، التي)	تفرق في (who) للعاقل، و(which) لغير عاقل، ولا تفرق في (that)
2. تفرق بعض الاسماء الموصول بين المفرد والجمع والمثنى. ولا تفرق في (ما، من)	لا تفرق في Who, whom, للمفرد والجمع المذكر والمؤنث.
3. تفرق في بعض الأسماء الموصول بين المذكر والمؤنث، ولا تفرق في بعضها.	لا تفرق بين المذكر والمؤنث.
4. لا يوجد هذا التقسيم فالأسماء الموصولة مبنية ماعدا اللذان واللتان	تقسم الأسماء الموصولة بحسب الحالة الإعرابية

فإنهما يعربان إعراب المثنى	للرفع Who , Which، للنصب Whom, Which كذلك
5. لها محل من الإعراب وبحسب موقعها	
6. يمكن في بعض الحالات، مثل: جاء من قرأ الدرس. جاء الذي قرأ الدرس	تستبدل اسم موصول بآخر كما في whom و that
7. يُشترط في الاسم الموصول أن تليه صلة وأن تطابقه	كذلك. ولكن المطابقة هنا بحسب محل الإعراب أو العاقل وغير العاقل.
8. قد يكون الضمير العائد ظاهرا أو مستتر.	يكون الضمير ظاهرا فقط

المعرف بالإضافة

هو كل اسم اكتسب التعريف من إضافته إلى اسم معرفة. كذلك في الانجليزية الإضافة (Genitive) هي عبارة عن اسم نكرة يكتسب التعريف من اسم معرفة. وتكون: بـ(S) كـ(John`s book)، أوبـ(`) كـ(Student`s book)، أو بـ(Of) كـ(Seats of the drivers).

ويكتسب الاسم النكرة التعريف بإضافته إلى الأسماء المعارف، وهي:

1- العلم، مثل: كتابُ اللهِ. و(Ali`s car).
2- الضمير، مثل: وطننا، تاريخها. و(our car).
3- اسم الإشارة، مثل: كتابُ هذا الطالب. و(books of these students).
4- الاسم الموصول، مثل: وطن الذين ضحوا. و(books of whoever worked hard).
5- المعرف بال التعريف، مثل: تاريخُ العربِ. و(The boy's school).

والاسم الأول النكرة الذي اكتسب التعريف هو (المضاف)، ونعربه حسب موقعه من الجملة، أما الاسم الثاني الذي هو من المعارف فهو (مضاف إليه)، ونعربه مضاف إليه مجرور أو في محل

جر. كذلك في الانجليزية يكون المضاف هو اللفظ الأول، والمضاف إليه هو اللفظ الثاني إذا كانت الإضافة بـ(of)، مثل: لعبة الطفل ، The toy of the child.

أما إذا كانت الإضافة بـ(s)، فالمضاف إليه هو اللفظ الأول، والمضاف هو اللفظ الثاني، مثل:

The student`s book.

أما في الإنجليزية فيكون كل من المضاف والمضاف إليه كلمة واحدة، ويكون للمضاف فقط محل من الإعراب، مثل:

Student`s book.

Students` book.

Books of reading.

وصلت رغد بتقليبها السريع إلى آخر ورقة، فهربت عيناها إلى أسفلها، لتقرأ:

1-لقد كذبت القواعد اللغوية حين قالت إن الاسم لا يعرف أكثر من اسم نكرة، وها نحن نقول له: اسم رغد يعرف أسماء نكرات كثيرة. وهو اسم معرف بأكثر من طريقة؛ اجتمع فيه النداء والعلمية، والنداء وال التعريف ووقار (أيها). اسمك: هو اسم بلا تنوين لأن التنوين لم يستطع الوصول لعلوه. بخط جميل وبلون أحمر.

1-أنت مبتدأ الحياة، نحن خبرها، لا، بل أنت الخبر المتمم لمعنى الحياة. لا، لا، بل أنت جملة الحياة وبكل رفعها وثبوتها. (بخط مهتز وحبر أخضر وأحمر).

1-لقد عجز الفعل الإنجليزي عن ضمك إليه، ولم تتستري مختفية فيه، بل أنت الضمير البارز المنفصل في (We love YOU)، أنت ضمير الفاعل الذي لم يغيرك موقع النصب، ولم يكسرك حرف الجر السابق لك. تتمردين على قواعد ضمائر الإنجليزية لتتصلي بالفعل العربي (أحبك) واضعة الكسر تحت قدميك، وباسطة نفسك للخير وبداخلك فتاة صغيرة. (بخط واثق وحبر أحمر وأخضر).

1-إن فعلي (أحبـــــــكِ)، تصدره تنبيهك، وسار إليه الحاء، لينطق ما يشبه أخ. لوجعي ولمناداة ما يربطنا بالآخر، أو لعله أخ بكِ. أو كأني أقول أح بك من وجع الحياة لم يشغلك عنا، فعلي متصل فيك يشدك إليه دون أن تزيلي رفعه. لم أجد إلا مفردًا وجمعًا في لغة الإنجليز، لكني وجدت فيك جمعًا لا يفرق بين مجموعه. (بخط مهتز، وبلون أسود وأحمر وبقعة حليب).

1-أنت اسم موصول مخصص بتفردك، ومثنى لبيتين، وجمع لأفراده، ومشترك في ودك للمفرد والمثنى والجمع المذكر والمؤنث. يربط جملة ما بعده من أسرة ولغة ودولة بمثيلاتها.

نقبل راء اسمينا التي زرعتها في داخلي مثمرة لأقلد ما يحمله راء اسمك: رفق رونق روح رحمة رضى رواء... ومن زاي اسمك كل زمرد زمزم زهو زلفى... ليرى الناس اثرك فينا.

بكت رغد وهي تعجز عن معرفة كاتب كل فقرة من هذه المقاطع الختامية الملونة. نظرت إلى يد روز وجدت كلا اللونين موجودين في هذه المقاطع، وكلمات كلا المقطعين رسمت في قلبها. مالت إليها لتقبل كل لون على يدها. وجاكلين رفعت يدها نحو عينيها لتمسح دمعة متمردة. لترى رغد اللون الأحمر على كف جاكلين.

الفصل السابع
إعراب الأرواح في وطن مبني

بيان حبيبتي، ماذا حدث لك الليلة! لم تأتِ إلي وتسأليني عما أحتاج! هكذا كلمها زوجها بعد أن انهت تدريس الأولاد الذين ذهبوا إلى غرفة نومهم، وهي ما زالت جالسة في الصالة تتأمل بصورة الأوراق التي ارسلتها لها رغد عبر الهاتف. لم ترفع رأسها وهي تجيبه: لا، لا أقصد الاهمال ولكني أفكر في قواعد اللغة العربية، وأكتب ما يخطر على ذهني من أسئلة كي تجيبني عنها رغد. ابتسم زوجها وهو يقول: ومتى ستكملان تأليف كتاب قواعد اللغتين كي نحتفل؟ ضحكت وقالت: لا تقلق يا عزيزي، سنكمله قبل حصولك على الدكتوراه. نظرت له، سألته: اكملت كتابة الأسئلة. ماذا عنك هل انهيت كتابتك لهذه الليلة. بتأفف ونبرة متعبة قال وهي يقف أمامها محركًا جسده كأنه يتمرن: لا، لم أنته بعد. ولكن تعبت. وأحتاج إلى ساعة على الأقل لأنهي كل شيء. قالت بصوت يصطنع الجدية بابتسامة: إذن، اذهب وانهي عملك يا كسول. ضحكت وقال: سأذهب يا من لا تتعب. ردت بجدية، وهي تلاحقه بنظراتها: أوف كم أنا متعبة ومرهقة من كل شيء، لكني صابرة لأرى اسمي على غلاف، وبحصولك على الدكتوراه حتى تعوضني هذا التعب. قال وعيناه خائرتان: أنا أدعو لك بالتوفيق يا أيتها المجاهدة. وقطعًا سأعوضك عن تعبك بعد حصولي على الدكتوراه. ردت بابتسامة متظاهرة بالغضب: أشك في ذلك يا زير النساء! ضحك وهو يتوجه نحو مكتبته قائلًا: لا، أنا زير بيان فقط.

قلبت الأوراق، ثم قالت لأتصل الآن برغد التي تنتظرني حتى ينتهي زير سارة من واجبه. فنذهب معًا إلى النوم. اتصلت بها، والصمت يسود أرجاء الصالة. فجاء صوت رغد: أهلًا بمن تأخرت علي، ولم تلتفت لانتظاري لها. ضحكت بيان وقالت: كنت أقرأ صور الأوراق، ودونت تساؤلاتي عنها؛ لتفيضي علي بعلمك النافع. ردت رغد بنبرة ثقة ومودة: كلي آذان صاغية لتشومسكي. قولي ولا تستحي. ضحكت بيان، وهي تفتح سماعة هاتفها، ونظرت إلى الورقة الأولى: في الإنجليزية نعرف العلم مركبًا من خلال كتابة أول الكلمتين بحرف كبير، أو من خلال الشارحة بينهما. ولكن كيف نعرفه في العربية؟ ردت رغد: نعرفه من خلال عدم تنوين الاسم الأول، بل الاكتفاء فقط بحركة الاسم الضمة أو الفتحة أو الكسرة إذا كان مفردًا، وبحذف النون من آخر الاسم المثنى والجمع، ويجر الاسم الثاني بالكسرة، مثل: كتابُ الطالبِ، كتابا

الطالبِ. علقت بيان: هذا يعني أن التنوين للاسم غير المضاف. تمامًا كما في الإنجليزية؛ فأداة التنكير تُحذف من الاسم المضاف كـ(a book)، وعند إضافته (Ali`s book). بعد أن همشت على الورقة. سألت: ولكن لماذا لا ينون اسم رغد؟ أجابتها رغد، وهي تقف أمام اللوحة البيضاء في صالة بيتها: للتنوين دلالات؛ منها أنه يميز بين المذكر والمؤنث؛ فـ(سلمتُ على صباحٍ) صباح مذكر، أما (سلمت على صباحَ) فمؤنث. ويميز بين الاسم الحقيقي والمنقول، مثل: عندنا رغدٌ. (أي عيش طيب)، أما: عندنا رغدُ. فمعناه اسم بنت. فردت بيان مستغربة: يا ربي، ما هذا! كيف نترجم للإنجليزية دون معرفة هذه المعاني! ردت رغد بجدية علمية: لا يمكن للمترجم ضبط ترجمته إلا بضبط لغته العربية التي يترجم لها أو منها.

عدلت بيان جلستها وربطت شعرها، سألت: في الإنجليزية، نكتب أول الفعل حرفًا كبيرًا دون فاعل، بل يكون بعده فعل. فكيف نعرف أن جملة ما، وهي تُستخدم كاسم علم؟ وما الغاية من ذلك؟ أجابتها رغد وهي تكتب على اللوحة المثال: حين نقول قال جاد الحق. فأن الفعل ينص على فاعله الذي هو جملة. والغاية منه هو الاسم مع إظهار وصف الاسم بجملة، فبدلًا من قول (قال الرجل الذي جاد بالحق)، نختصر الجملة مع الحفاظ على وصف الاسم، فقول (قال جاد لحق). ردت بيان باستغراب: يعني اختصار الجملة مع الحفاظ على معناها العام. هذا موجود في الإنجليزية، مثل: ... سيند مي.. سكتت لثواني، فأردفت: نعم، مثلًا (Please send me all the tickets available)، بحذف (That are available). وسألت بلهفة للمعرفة: ما الغاية من استخدام لقب الاسم كاسم علم؟

فقالت رغد: لأن المتكلم يريد تغليب الصفة على اسم الشخص نتيجة لشهرة الصفة التي يتصف بما الشخص، فيقول الكريم، اختصارًا بدلًا من حاتم الكريم. أجابت بيان ممازحة: والخائن بدلًا من قول اسم زوجي. وأكملت وهي تضحك: جيد. و(ال) تدخل على الاسم لتعرفه، ولكنها لم تعرف الذئب في قوله تعالى (وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ)! أجبتها رغد: ال هنا لتبين الجنس كقولك (الفهد أسرع من الذئب). فلا نقصد واحدًا من الفهود والذئاب، بل نقصد جنس الفهود والذئاب. ردت: احسنت يا سيبويه رغد، لقد قراتها بدقة لكني عقلي بقواعده الإنجليزية لم يدرك هذه القاعدة. علقت بيان باستغراب: في الإنجليزية أيضًا ترد أداة التعريف (the) لغير التعريف، بل لجلب معنى يوضح الفعل كـ(I'm going to school) أي أنه طالب، أما مع أداة التعريف يكون المعنى أنه ليس طالبًا (I'm going to the school). تنهدت وعيناها

متعبتان، وسألت رغد: لماذا تدخل ال التعريف على كل من الاسم والصفة؟ ردت رغد، وهي تمشي نحو غرفة أولادها؛ لتطمئن عليهم: الصفة مكملة للاسم؛ لذا اقتضى مطابقتها للاسم في التعريف والتنكير والعدد والجنس والإعراب كالبنت الذكية. وفيها اختصار بدل من قول البنت التي هي ذكية، وفيها تمييز بين الاسم الموصوف وصفته وبين الجملة فلو قلنا (البنت ذكية) لصارت جملة وحلت الصفة محل الخبر للمبتدأ البنت. لتعلق بيان: نعم، فالإنجليزية تستخدم الفعل المساعد لذلك فمثلًا (The girl is intelligent) و(The intelligent girl). ثم أردفت: لماذا تدخل ال التعريف على الاسم بعد اسم الإشارة؟ أجابت رغد: حين نقول (هذا المسجد جميل) فأننا نعرف المسجد، والخبر الجديد هو جماله، أما قولنا (هذا مسجد جميل)، فإننا نخبر بأن هذا البناء مسجد وجميل. فتعريف الاسم بعد اسم الإشارة حسب ما نقصده.

ردت بيان: نعم، نعم. هذا معنى جميل. دعيني أدون ما قلته دقيقة لو سمحت. ثم سألتها: اسم الإشارة يسبق المشار إليه أو يتبعه كـ(هذا المعلم. المعلم هذا)، لماذا؟ أجابت رغد: لو قلنا (هذا المعلم)، فإننا نريد الإخبار عنه كـ(هذا المعلم نشيطٌ). أما قولنا (المعلم هذا)، فقصدنا تخصيصه بالتميز عن غيره من المعلمين. ردت بيان: جيد جدًا. ما الغاية من كثرة أسماء الإشارة؟ أجابتها رغد، وهي تقول دعيني أشرب الماء أولًا، ثم مسكت القلم وبدأت بكتابة أمثلة: كثرة أسماء الإشارة لتبين قصدنا من الكلام بدقة مع الاختصار، تأملي بـ(هذا بيان، هذه بيان) و(ذلك بيت، ذاك بيت)، والاستبدال بين البعيد والقريب للتعظيم أو للتحقير، وللتمييز بين العاقل وغير العاقل كـ(هذه امرأة، وهذه جبال)، ولإخفاء الجنس كـ(هؤلاء و وأولئك أولاد، هؤلاء و وأولئك بنات).

لترد بيان: احسنت. يعني أننا نستطيع التوضيح والإخفاء كما نرغب. سأكتبها الآن باختصار: الدقة، الاختصار، التعظيم، التحقير، العقلانية، الاخفاء. ردت رغد: نعم.

ثم سألتها بيان، وكفاها يمسحان وجهها: لقد أحترت يا رغد، كيف أترجم الضمائر؟ فهي أقسام ومنها ما له معنى واحد؛ ظاهر ومستتر، ومنفصل ومتصل؟ وما الغاية من كثرة الضمائر؟

اجابت رغد سؤال جميل ومهم، وقد غالبها النعاس، وصوت تنهدها دق في مساع بيان: هذا التنوع يبرهن على نظام العربية الدقيق الهادف إلى الوضوح والإيجاز والبلاغة ففي اظهار الضمير اختصار عن الاسم وتركيز عليه، وفي استتاره اختصار وتركيز على الحدث (الفعل)، وفي اظهار المستتر توكيدًا على الضمير. ردت بيان بسرعة بصوت واضح: على مهلك يا رغد، فلأستوعب، وأدون. ثم أكملت رغد على مهل: واتصال الضمير بالكلمة يساعد على الاسراع في النطق كأن الضمير وما اتصل به كلمة واحدة. وفصل الضمير المتصل عن ما اتصل به يضيف معنى للجملة؛ فحين نقول (إياك نعبد، أو نعبد إياك) بدلًا من (نعبدك) فإننا نؤكد على

الضمير ونحصر قصدنا به. وكثرة الضمائر تعطينا دلالة كاشفة واضحة عن المعنى من افراد وتثنية وجمع، وتذكير وتأنيث، وابدال هذه الضمائر عن بعضها يعطينا دلالة جديدة كاستخدامنا للجمع بدل الضمير المفرد للمفرد، يظهر معنى احترامنا للمفرد كانه جماعة. وأضيف لك (جاء محمد وفاطمة والمهندسات)، يمكننا اكمال كلامنا بالضمير لي منهم فنقول (هو، أو هي، أو هن). ردت بيان بإعجاب: احسنت، احسنت. أغرقتني في دهشة. الاسم الموصول معرف بال التعريف، فلماذا يحتاج إلى صلة؟ اجابتها رغد: خلط النعاس كل معلوماتي. ال في الموصول، هي جزء منه.. و.. ال في الموصول زائدة كأنها تنبه إلى وجود تعريف عن طريق الموصول وصلته التي تخلو من ال التعريف ولا تُصنف من المعارف، ولو ذكرنا الموصول بلا ال التعريف لربما غابت فكرة التعريف عنا، ولربما أشتبه الاسم الموصول بغيره من الكلمات. احسنت يا رغد، ردت عليها، وأرادت أن تكمل سؤالها لكن رغد قاطعتها: دعيني أنام وسأحذف برنامج الاسكايب كي لا تتصلي بي، يا مزعجة. وتصبحين على خير يا مجنونة. ضحكت بيان: طيب طيب. وأنت من أهله.

وصلت رغد إلى المدرسة، بعد السابعة والنصف على غير عادتها، وهي تشعر بثقل رأسها. لم تستطع اللحاق بالأولاد وهم يمشون في طريقهم للمدرسة. استغربت المديرة والمعاونة من وضعها، ولكنهما عرفتا السبب حين جاءت بيان بعد رغد، ومشي مثقل تجر خطواتها. ضحكت منى وهي تهز رأسها: يبدو أن القواعد ستجهز على سيبويه وتشومسكي قبل إكمالهما مؤلفهما. ضحكت المديرة، ثم قدمت لهما قهوة بقدحين كبيرين، وقالت: تناولا قهوتي عليها تفتح عينيكما وتزيل سواد هالتكما. رمقت رغد بيان بطرف عينيها، وقالت: ستقتلني المجنونة. حولت ما نحتاجه ليلًا من كلمات الغزل إلى كلمات قواعد اللغتين. ضحكت المديرة: صار غزلكما قواعد لغوية. فردت رغد: الحمد لله أنها أنهت مناقشتها الليلة قبل مجيء زوجي وإلا لوقعت الواقعة. ضحكن وعلقت منى: نحتاج معركة عنيفة من أحد زوجيكما كي ينقذكما من مناقشاتكما. تضحك بيان وتجيبها: لا تعولي على زوجي؛ فهو يخاف مني هذه الأيام لذنب اقترفه معي. وارتشفت القهوة، وأكملت: مكانك يا رغد في بيتي محجوز إن طردك والمقارنات لن ترحمك. ردت رغد وهي تضحك: نعم، سآتي إلى بيتك لأخذ ما كتبته من مقارنات وأنشرها باسمي أنا فقط. فيأتي دور منى لتقول: رن الجرس يا كسولتان. هيا إلى دروسكن. وجاكلين تضحك ضحكات متواصلة. وهن ينظرن لها، ثم يتبادلن النظرات بعيون متسعة، حتى وقفت منتظرة الجرس لتذهب لقاعتها بخطوات مسرعة.

فرفعت المديرة يدها إلى السماء تدعو: يا رب، خفف عن جاكلين، وارحمها برحمتك. لترد منى بسرعة: يا رب، اللهم آمين. أنعم عليها بسعادة حاضرها ونسيان ماضيها.

جلست فتون بقرب جاكلين، وجلست بقربها إسراء. وهي تركز على تودد فتون لجاكلين التي لم تتفاعل مع ذلك التودد، بل أكتفت بقول شكرًا مرتين فقط رغم كثرة كلام فتون ومبالغتها في التودد. وجدت نرجس فتون بجانب جاكلين، وحين سلمت عليهن، ردت جاكلين بصوت خفيض بكلمة أهلًا. أطالت النظر لجاكلين بصمت، متأملة في ملامحها الجامدة، واتسعت عيناها حين نظرت لفتون، وهي تكثر الكلام والضحك. ثم اعادت نظرها لجاكلين. توجهت لفتون وطلبت منها المجيء معها لاحتياجها لها في أمر ضروري خارج الغرفة. حاولت فتون تأجيله، لتبقى بقرب جاكلين في غياب رغد وبيان لكن نرجس أصرت عليها رغم فهمها لإشارات عيني فتون التي انتهت بالغضب على نرجس. قامت فتون، وهي تضغط على يد نرجس، وتوجهتا خارج الغرفة، وحين عبرتا عتبة بابها، ألتفت فتون بعيين غاضبتين إلى نرجس وهي تقف أمامها: يا غبية، ماذا تريدين مني! وما هذا الإصرار على خروجي معك، وأنت ترين أني منفردة بجاكلين بعيدًا عن الشياطين الأربعة! قاطعتها نرجس بحزم: يا فتون، كفي عن جاكلين. دعيها تعيش بسلام. فقاطعتها فتون بنبرة معترضة: بل أنت كفي عني، ودعيني أخلق جو مضحك لكن. وأنت كنت قد خرجتِ من مجموعتنا، فلا يهما، لكن لا تكوني سببًا في خسارتنا لجاكلين وجعلها تنضم لمجموعة منى مع منار ورغد وبيان. ثم تركتها ورجعت لجاكلين المنزوية عنهن. رأيت منى وقوف فتون ونرجس، فأخبرت المديرة، ثم جاء مسرعة إلى غرفة المدرسة لتطلب من جاكلين المجيء معها لغرفة المديرة قائلة: يا ست جاكلين، لو سمحت تعالي معي لغرفة الإدارة.

نظرت فتون نظرة حادة لنرجس التي تجلس بعيدة عنها، في الجانب المقابل. وقالت لإسراء: نرجس تتقصد إفساد مرحنا كأنها انضمت لمجموعتهن ضدنا، وأنت لم تصدقيني حين أخبرتك منذ أيام. قامت إسراء وتوجهت نحو نرجس؛ لتجلس بقربها، وقالت وهي تنظر في عينيها: نرجس، ما الأمر! أراك تغيرتِ معنا منذ ارتبطتِ بذلك الرجل! ردت نرجس بحدة: لا، يا إسراء، لم أتغير لكني أرى انكسار جاكلين وضياعها، فأشعر بالذنب في أننا مع فتون السبب. قالت إسراء باستهزاء: وقولي أيضًا أننا إننا السبب في سواد هالتي بيان أيضًا! قاطعتها نرجس بنبرة جادة: أظن أن الله يعاقبنا لضحكنا على الناس؛ فأنا حين عارضتكما رزقني الله برجل يعشقني

يريد أن يتزوجني. وأظن أنك لو توقفتِ عما تفعليه مع فتون، فسوف يرزقك الله مولودًا؛ لتسعدي بالأمومة. جمدت عينا إسراء، ثم تنهدت، وقالت: آه، يا نرجس، كم يسعدني أن أكون أمًا. جربت كل الأدوية، لكن بلا نتيجة. ثم سكتت. قالت فتون بصوت واضح وبنبرة توحي بالحزن: أشعر بغربة، كأن رفيقاتي لسن معي. أنا حزينة، أين أنتن يا رفيقاتي الجميلات! أين أنتن! أجابتها أحد المدرسات: نحن معك، يا فتونة. بوجه مبتسم قالت فتون: لست معي. معنا عدو متستر يريد تفريق شملنا، وتفكيك مجموعتنا. فقامت إسراء تاركة الغرفة. نظرة فتون إلى نرجس باستغراب، ثم قالت: ما بها! ماذا قلت لها لتنزعج فجأة؟ لم تجبها نرجس. ألتفت فتون إلى المدرستين اللتين كانتا معهن، وقالت: ما الأمر! أنا لا أفهم شيئًا.

تركت نرجس الغرفة. فوجدت إسراء تجلس في حديقة المدرسة، وقفت تنظر لها. شدها صوت ضحكات تبثها غرفة المديرة. فمشت نحوها؛ لتجد المديرة ومنى وجاكلين. وحين ظهر وجهها لمنى، وهي خجولة تشابك كفيها ببعضهما، رحبت بها منى، وهي تضحك. جلست معهن، وقدمت منى لها الحافظة الحرارية ومعها فنجان، وهي مسترسلة في إكمال سرد إحداث طريفة. تناولت نرجس الحافظة وسكبت القهوة في الفنجان، وهي تضحك على تقليد حركات منى حسب ما تسرده. رن الجرس الفرصة معلنًا دخول رغد وبيان الغرفة، وبعد جلوسهما، قدمت بيان قطع حلوى لهن، وسكبت رغد القهوة من حافظة المديرة التي نظرت لرغد بابتسامة لتمازحها: لقد افرغتِ حافظتي. لتجيبها رغد بضحكة: والفرصة القادمة سأفرغ حافظة بيان من الشاي. فعلت بيان، وهي تضحك: بل سنفرغ حافظتك، يا بخيلة. بل يا كسولة. ردت رغد بقهقهة: لا تذكريني بليلة أمس يا مجنونة. تصوري يا ست منار، أنها تسألني عن اللغة حتى منتصف الليل، والنعاس يغلق عيني. فتعلق جاكلين بوجه بشوش: وأنا لي المشاركة فيها. قطع رنين الجرس كلامهن. لتذهب رغد وجاكلين إلى قاعتيهما، ومنى لتفقد القاعات والطلاب.

انشغلت بتقليب أوراق سجل. وبيان تجلس على الأريكة التي تقابل مكتب المديرة تنظر باسترخاء إلى جمال الأزهار، وخضار الأشجار التي تزين الغرفة، وتتنفس عبق العطر. والصمت يعم أجواء الغرفة. تفاجأت منى بجلوس نرجس مع بيان في غرفة الإدارة بصمت. حاولت كسره بقولها ممازحة بيان: يا مجنونة يا بيان، منتصف الليل لم يمنعك عن مناقشتك اللغوية! ضحكت بيان: كم سؤال بسيط فقط. لكن رغد كسولة. ردت منى وهي تضحك: وماذا حصل لزوجيكما!

أين ذهب غضبهما! عقلت نرجس بابتسامة مغلفة بنبرة فرح وجدية: هما يحبانهما. فالحب يصنع المستحيل. وما زلت وجه إسراء يبتسم ابتسامة خجولة لم تتجاوزها إلى الضحك. ثم فتحت بيان سجلها.

توجهت نرجس إلى الحديقة، حيث ضوء الشمس الباعث للدفء، وتوحدت معها مشيتها، وصارتا تمشيان بخطوات متزنة هادئة. بعد أن قالت نرجس: لقد أطلت البقاء في الحديقة. فأجابتها إسراء، علامة الحزن ترتسم في وجه إسراء: أراك اليوم أكثر سعادة يا نرجس! فلم تدعها تكمل: نعم، يا سروة، أنا أكثر سعادة وتفاؤل. سأودع أيام الوحدة، وألعن العزوبية، لقد وجدت من تمنيت. زوج يعشقني وأعشقه في بيت مستقل يجمعنا. سنعلن خطوبتنا قريبًا. هو يلح علي كثيرًا لكن أنتظر انتهاء العام الدراسي. هو منزعج جدا لا يستطيع الانتظار على فراقي. ما أجمل هذا الشعور! يا ربي، كم أنا سعيدة. شكرًا يا ربي شكرًا. هو يكثر الاتصالات بي، لا ينام إلا على صوتي. ها آسفة، يا إسراء تكلمت كثيرًا. وإسراء تنظر لها بصمت. سألتها: هل أزعجتك يا إسراء؟ ردت إسراء بصوت منخفض: لا، لم تزعجيني، لكن كلامك السابق يخنق عقلي. هل فعلًا كان عدم انجابي اختبار الله لي! وحين رآني أشارك فتون في الضحك على الناس، قطع عني الانجاب نهائيًا! قاطعتها نرجس بنبرة مواسية: اهدئي، يا عزيزتي، لماذا هذه الدموع! ردت إسراء: الأطباء سابقًا كان يعطونني أملًا بالإنجاب، أما الآن فقد أخبروني أنه لا أمل إلا بالله. أجلستها نرجس، ومسحت دموعها. وهي تقول لها: لقد كنت أكثر منك حزنًا وانكسارًا ودموعًا، لكن الحمد لله. أنتهى كل شيء وسينتهي كل ما يزعجك، وتفرحين. وسنحتفل بفرحك. لم تستطع فتون البقاء بعيدة عنهما، جاءت إليهما، لكنها ظلت تنظر إليهما ذارعة الأرض غيظًا، وبعد أن يأسها من مناداتهما لها، اقتربت منهما، وبنبرة خفيضة، قالت: لماذا تعزلاني عنكما! متجاهلتين حبي لكما! أنا رفيقتيكما فتون! أنا من تتألم إن مسكما حزن! أيعقل أن تفسد ودنا وتدمر علاقتنا رغد وبيان! قاطعتها نرجس بنبرة حادة: كفى تمثيلًا يا فتون، نحن لسنا في مسرحية. أنا أفهم أنك تكرهينهما لأنك لم تتوفقي في حصولك على الماجستير.. شحب وجه فتون ، وتسمرت فتون في مكانها، والتفتت لنرجس: ما هذا الفهم يا غبية؟ تابعت نرجس: يا صديقتي فتون، أنت لم تكوني بهذا المستوى من الضحك على الناس، أنا عرفتك طيبة محبة للناس، ولكن يجب أن تنتبهي لنفسك. فلا دخل لرغد وبيان في ضياع حلمك في الحصول على الدكتوراه. ولا دخل لهما في سلوك

زوجك العدواني معك وطمعه في أموالك، ولا دخل لجاكلين بزواجك من رجل فقير دون مستواك ومستوى أهلك. العتب يا فتون ليس على زوجك في تغيير سلوكك، بل عليك أنت في أنك صرت نسخة منه، ولم تنجحي في تغيير سلوكه الناعم لمراوغة الناس.. ساد صمت ثقيل، وبان انكسار فتون، وهي تفرك بيديها المرتجفتين.

سألت رغد المديرة عن سبب غلق غرفة المعاونة منى، فأجابتها المديرة بأنها غادرت المدرسة، واستأذنتهما لمراقبة أوضاع المدرسة. فجلست بجانب بيان، ثم قالت لبيان: اليوم ضاع علينا، وأنا مشتاقة لإكمال مؤلفنا! أجابتها، وهي تقلب أوراقها؛ لنكمل ما انتهينا عنده: لقد لاحظتُ كثرة الأسماء الموصولة، لماذا؟ ردت رغد: دعيني أكتب أمثلة لك. ثم قالت: مررتُ بنورِ الذي ساعدني. ومررتُ بنورَ التي ساعدتني. اخبريني عن من رأيتِ، وعن ما رأيتِ. نزل الذي فوق السطح. نزل اللذان فوق السطح. نزل الذين فوق السطح. نزلت التي فوق السطح. والقياس على ذلك. وإذا أردتِ الإخفاء قلت: نزل من فوق السطح. ردت بيان: احسنت احسنت يا دكتورة رغد. ولماذا لم تميز العربية بين العاقل وغيره؟

ردت رغد وهي تفكر: مهلًا مهلًا. التنوين؟ تنوين أي اسم؟ نعم، نعم. تميزه من خلال قرائن؛ انظري لهذا المثال: (رأيتُ صفوانًا الذي حدثوني عنه) يعني معنى الاسم الحقيقي (الحجر الصلد)، و(رأيتُ صفوانَ الذي حدثوني عنه) يعني اسم علم. ردت باعجاب يغلبه الشغف بالمعلومة: ها يعني أن العربية تميز، فإذا كان الاسم منونًا، معناه معنى الاسم الحقيقي، وإذا كان غير منون فمعناه اسم علم كـ(زهرةٌ، وزهرةُ). ردت بيان: الإضافة في الإنجليزية بـ(S) للحي المفرد كـ(The teacher's room)، والجمع غير القياسي كـ(Children's toys)، و بـ(`) للحي الجمع القياسي كـ(The teachers' room)، و بـ(Of) لغير الحي كـ(The capital of Iraq).

أما في العربية فالإضافة بجر المضاف إليه؟ ردت رغد وقد تركت القلم: دعيني أربط الموضوع، وبعد قليلًا. قالت: تكون الإضافة بحذف التنوين من الاسم المفرد وتعويض الاسم بحركة بديلة عن التنوين مثلًا.... أين طارت الأمثلة! نعم، نعم. كـ(بيتٌ) بيتُ الجارِ، و(بيتً، وبيتٍ) بيتَ الجارِ، وبيتِ الجارِ. ومن الجمع غير القياسي التكسير كـ(عيون السهرِ). دعكت عينيها وأكملت: والمثنى والجمع القياسي بحذف النون من آخره كـ(مهندسان، مهندسون)، مهندسا المشروعِ، مهندسو المشروعِ. انتبهي يا بيان أريد أتعابَ السهرِ. فضحكت بيان، وقالت بحماس:

مثل حذف (a, an) عند إضافة الاسم المفرد، وحذف علامة الجمع القياسية (s) من الاسم في الإنجليزية.

السؤال الأخير: يكتسب الاسم النكرة التعريف بإضافته إلى الأسماء المعارف، ولكن ماذا لو كان مضافًا لاسم نكرة وليس معرفة؟ ردت رغد: الاسم يكون نكرة، ومعرفة إذا أُضيف لمعرفة، أما إذا أُضيف لنكرة فسيكون لا معرفة ولا نكرة بل مخصص كـ(أتعابُ سهرٍ). رغد أرجوك وضحي لي أكثر. فردت رغد: (كتاب) نكرة، و(كتاب الطالب) معرفة، و(كتاب طالبٍ) نكرة مخصص. غلقت بيان سجلها، وتنهدت، وقالت وهي تبتسم بوجه رغد: الحمد لله. أكلمنا. وضعت رغد القلم، وتناولت قنينة الماء، ثم قالت: لله الحمد. سأفكر بموضوع جديد. أجابتها بيان: أنا أحب معرفة الإعراب وما تختلف فيه العربية عن الإنجليزية. ردت رغد وهي تنظر إلى الساعة المعلقة على جدار الغرفة، ومررت أصابعها على أسفل حاجبيها وجبينها: إن شاء الله سأبحث بعد استراحة الظهيرة كي أرسلها لها مبكرًا لننهي مناقشتها قبل الساعة الحادية عشرة. وهذا طبعًا بفضل وجود جاكلين التي ازالت عني حمل تدريس الأولاد. ردت بيان: أراها بحالة أفضل على الأقل لأنها أبتعدت عن شلة فتون. وأظن أنها ستترك بيتك سريعًا؛ لتذهب إلى بيتها. أجابتها رغد، وهما تتوجهان إلى الباب: رغم أني أريدها أن تستقر مع أولادها في بيتها لكن قلبي يؤلمني على فراق ولديها، وأولادي سيتألمون لغيابهما عنهم.

سألت فتون أحدى المدرسات عن إسراء ونرجس في غرفتهن، فأجابتها بأنها لا تعرف. خرجت فتون تبحث عنهما، وحين دق الجرس لبدء الدرس، وجدت إسراء تجلس بملامح حزن عميق في الحديقة. كلمتها وهي متجه نحوها: أنت هنا يا سروة! وتتركيني وحدي! وجلست بجانبها تحدق النظر فيها، أأنت باكية يا إسراء! ماذا حصل! هل أزعجتك أحدهن! أنا قلت لكن إنهن شياطين فلا تقتربن منهن. ردت إسراء بصوت متهدج خفيف: كفى! كفى يا فتون. ودعيني أجلس وحدي. أتسعت عينا فتون: أأتتركك وحدك! وبعد صمت قليلًا، استأنفت: إسراء عزيزتي، أرجوك أخبريني ما الأمر؟ ردت إسراء بغضب: كفي عني، ودعيني وحدي. قفزت فتون بسرعة لتخطو بخطوات متوالية متلاحقة مبتعدة عن إسراء وصوتها الغاضب الذي بدا يعلو.

عادوا من المدرسة، وصلوا إلى البيت. جهزت سفرة الغداء بنات رغد وروز، تجلس رغد وجاكلين وصول الطعام من المطعم. وبعد الغداء كالمعتاد ستكون استراحة، وبعدها يبدأ وقت تدريس الأولاد الذي قامت به جاكلين، بينما كانت رغد تبحث في مكتبتها. وبحلول الليل حيث العشاء والشاي ومشاهدة حلقة من مسلسل الزير سالم.

مع إرخاء الليل لسدوله اتصلت منى برغد، ضغطت رغد على زر الاستجابة: أهلًا حبيبتي مناوي. ردت منى وصوتها يتهدج بنبرة لم تعهدها رغد: رغد، عليك أن تشكري الله كثيرًا كما شكرته أنا. رغم أني أعلم أنه يزعجك أحيانًا، ولكنه رجل لا كل الرجال. لقد حمدت الله كثيرًا على رزقه لي بهكذا أخ... قاطعتها رغد: منى، أفهميني أرجوك! ردت منى بسرعة: اليوم في المدرسة، زوجك، بل أخي اتصل بي وطلب مني أن لا أخبرك على الأقل في ذلك الوقت لزيارة تلك السيدة الصينية في المستشفى. فوافقتُ وحين وصل لي ركبت معه فتفاجأت برائحة سمكة مشوية قد أعدها لغداء تلك السيدة. فقررت أن أشاركه عمله، فأقسمت عليه أن أدفع له نصف حساب سعر السمكة. لم تجب رغد إلا بقولها الحمد لله. الحمد لله. انتهت المكالمة ليبدأ حوار رغد مع نفسها: والله، أنا أعرفك رجل شهم، وأفتخر بك، لكن آه، لو أنك تعبر عن حبك ومشاعرك بالكلام كما في أفعالك. وتكف عن عصبيتك الزائدة المفاجئة، وتكون أنت المبادر لي في صلحنا، ولست أنا المبادرة. ثم انصرفت مبتسمة متمنية إلى الجلوس مع جاكلين؛ لتخبرها بالأمر. وجاكلين تقبض على هاتفها بقوة، وعيناها تائهتان في عتمة الحديقة، تهم بالخروج؛ لتتصل بزوجها جيمس. ولكن رغد أطالت الحديث معها عن زوجها بكل افتخار.

لم تقطع حديثها حتى دخل علي، وذراعه تحمل كتب المعهد البريطاني لتعلم اللغة الإنجليزية. فهبت له رغد بنشوة الانتصار، مستقبلة وهي توزع نظراتها بين وجهه إلى كتبه. أسرعت يديها لالتقاط الكتب، وقالت: أهلًا بأبي أولادي، تاج رأسي. بأصبع مرتجف، ضغطت جاكلين على رقم زوجها جيمس في زاوية الحديقة البعيدة عن ضجيج البيت وضحكاته. أتاها صوت جيمس حادًا من خلف البحار: أكدت عليك أن لا تزعجيني باتصالاتك. قدري عملي وتعلمي أن تحترمي حريتي. افهمي. افهمي. وكفي عن هكذا تصرفات قروية. فقاطعته، وكان هاتفها يرتعش بارتعاش يدها، وشفتاها ترتجفان: جميس حبيبي، أرجوك اسمعني... قاطعها بنبرة غاضبة: قلت لك كفي! ما أستفيد أنا من كلمة حبيبي! ردت بهدوء، وهي تبتلع غصتها: أنا أمتلك قطعة أرض في العراق، تزيد قيمتها المالية عن (70, 000) دولار. وقد اتصلت بي أحدى صديقاتي من العراق وأخبرتني أن زوجي الأول يحاول الالتفاف عليها. سألها جيمس بصوت ناعم يقطر اهتمامًا انسابت فيه رقة مفاجئة كأنها سمّ في عسل: ولمن تعود ملكية هذه الأرض؟ أجابتها بسرعة: تعود لي، أنا اشتريتها بجهدي بـ(15, 000) قبل سنوات. وهي مسجلة باسمي. رد جيمس مستغربًا: لم أكن أتوقع أنها تساوي هذا المبلغ! وأردف: لا يهمك حبيبتي، زوجك من ينال شبرًا واحدًا من أرضنا. لا تخفي. كلي طعامًا جيدًا، ونامي جيدًا حتى أعود من سفري سريعًا لاهتم بك. قاطعته جاكلين: جيمس، أنا مشتاقة جدًا لنبرتك هذه التي لم أسمعها منذ أكثر من سنة تمامًا كاهتمامك بي. رد جيمس: أنا أحبك. احكي لي تفاصيل القطعة حتى أخطط لعمل مشروع لنا بهذا المبلغ. لم يقطع

نداء رغد على جاكلين اتصالها بزوجها لأنه يريد أن يستمر في الكلام معها. اغمضت عينيها، وسمحت لدموعها أن تشق طريقها على وجنتيها. تفاجأت رغد بسكوت جاكلين، وسكونها ودموعها في تلك العتمة وهاتفها ما زال على أذنها، ورأسها مستند على الجدار.

نجحت رغد في سحب جاكلين من العتمة إلى ضوء الصالة. جلستا متلاصقتين، تمسح عنها دموعها، وهي تهمس: حبيبتي أم وليام عزيزتي، تقبليني أختًا لك أرجوك. وطمني قلبي عليك. سلطت نظرها على عيني رغد. ثم انفجرت بمرارة، ورغد تمسح دموعها بطرف شالها: لقد تعبت مللتُ، لا أقوى... وبعد شهقات، أردفت: أحاول التكيف مع إهماله جيمس وبرده، ولكنه... مرت أكثر من سنة لم يهتم بي ولم يسمعني كلمة تشعرني بأنني زوجته إلا حين أخبرته بقيمة قطعة الأرض التي أمتلكها. واستها رغد بانكسار متألمة: لا عليك، سيكون كل شيء بخير. اهدئي وسنحل كل شيء بالعقل.

بعد دقائق من توجه رغد لتهيئ نفسها للصلاة، تاركة وراءها صمتًا ثقيلًا يلف طوقه حول جاكلين التي تلاشت فرحتها حين رأت صورة زوج رغد المعلقة بوقار على الجدار. تسللت يدها بأناملها المرتجفة إلى جيبها لتمسك هاتفها، وما زالت عيناها مشدودتين. حولت نظرها إلى شاشة هاتفها؛ لترى عدة رسائل من جيمس كتبت حروفها بحب واشتياق، وكل رسالة تبدأ وتنتهي ب(ماي دالنج). أطالت النظر إلى تلك الكلمة الافتتاحية الختامية. وأعادت قراءة الرسائل بوجه مكفهر جامد وعينين متسعتين. أغلق إبهامها صفحة الرسائل، وفتحت صفحة الاتصال الأسكايب؛ ليضغط على رقم صديقتها أم بشرى في العراق. وحين أجبتها، لم يمنع الصوت مشوشًا رسالة إخبارها المتضمنة "لقد رتب سعيد كل شيء. لقد قدم ورقة بيع قطعة الأرض تحمل توقيعك وبصمة إبهامك، وأحضر الشهود". لم تتمكن يدها من مسك هاتفها، وكأن وجهها مسك كفيها؛ ليغطي ملامحها، لكنهما لم يحجبا صوتها وهي تولول مختنقة: سعيد أسرق كل شيء.. الماضي والحاضر والمستقبل. ثم تناولت يدها هاتفها من الأرض، اتصلت بجيمس، فرد بسرعة. وهي تستمع لكلامه المتواصل، ثم كلمته بجملتين، ليجيبها بكلام سريع متواصل. وضعت الهاتف أرضًا، وهي تنظر لدقائق الاتصال المتواصلة لخمس عشر دقيقة وقد ازداد وجهها غضب وظهر التوتر في ملامحا. وبعد صمت، مزقت صرختها للسماء هدوء البيت: يا ربي... ألا تراني! أين أنت! أتخاف من سعيد! ساق صراخها الجميع لها راكضين. مسحت جاكلين بحركة لا شعورية

دموع روز التي وقفت أمامها بجانب رغد وأولادها. طلبت رغد من الأولاد تركها وجاكلين. قالت رغد بهدوء: نحن أهلك يا أم وليام. أرجوك ساعدينا بمعرفة ما يزعجك. واقتربت منها، وهي تشد على يدها قائلة: ماذا أخبروك؟ ردت جاكلين بحشرجة ودموع: سعيد أستولى على قطعة الأرض. وجيمس حول غزله لي إلى صراخ علي. وسالتها: وماذا بعد؟ فقالت جاكلين وهي ما زال رأسها منحنيًا: لومي، واتهامي بأني ضيعت مستقبل الأولاد.

ما إن جاء زوج رغد حتى أخبرته بأمر جاكلين. وقف بصمت قائلًا تعالى معي. دخلا على جاكلين في غرفة الضيوف. ناداها بنبرة واثقة: يا أختي، انظري إلى. رفعت رأسها لتراه واقفًا في باب الغرفة، وقد شتت نظرها مجيء وليام ووقوفه معه. وحين رجعت بنظرها لزوج رغد، قال لها: يا أختي، ما بكت أخت، وأخوها موجود. قبض على شاربه بقوة، وقال: سأسترد حقك حتى لو خطفه الجن. لمعت عينا رغد وبان بياض أسنانها، وهي تقول: ذكرتني بوقفة أبيك وقبضة شاربه وجملته حين ينجد المضام الذي يقصده. تلحق رغد بزوجها إلى غرفة نومهما. فتلحظ شرود ذهنه، تتوجه له بسؤال: أراك مهمومًا يا عزيزي! ثم تكرر السؤال بعد أن تناديه. فيجيبها: لا أخفي عليك الأمر يا أم أديب، الأمر ليس سهلًا. فسعيد رجل مراوغ. وأنا لا خيار لي إلا أن أكون سند لجاكلين. ومن الله التوفيق.

أقبل ضياء شمس الصباح، وصلت منى، وجلست مع ورغد عند رأسها، تنظران لجسمها وهي نائمة، ويداها وركبتاها أمام وجهها ورأسها تحنيه إلى الأسفل. وسكون قطعه كلمات هذيان (أرض وليام)، (لم تحفظيها)، (لستِ أمًا). فيقاها من نومها العميق بشخير وقرقرة أمعائها. كلمتها منى بنبرة مازحة: قومي يا كسولة. فأنا مشتاقة لك. قومي، قرقرة أمعائك تقول أنك جائعة. والتفتت لرغد: وأنت أيتها الكسولة الثانية، أين الفطور. إلا أن جاكلين أعادت غلق عينيها. فقبلتها منى، وقالت: عزيزتي، ثقي بعلي، أخي إذا قال فعل. وأنا أكفله. والآن أنا أوقع لك ورقة تنازل لك عن بيتي إذا لم يسترجع لك حقك. ولكن لا تخدعيني وتأخذين بيتي وقطعة أرضك معًا. تحركت شفتاها بصعوبة للوصول إلى ابتسامة. فمدت منى يدها وقبضت على شعرها وسحبتها بلين. لتنطق جاكلين: حاضر حاضر، ها أنا قائمة. فتحت عينيها؛ لتبصر وجه منى ووجه روز. جلس الجميع ليتناول الفطور، ومنى مرة ارجعت جاكلين لتغلي الحليب مدعية أنه ليس ساخنًا، وأخرى طلبت منها بيضًا مقلى لا مسلوق. وما إن جاء دور القهوة حتى جاء يطلب منها هاتفها ليشاهد

حلقة من مسلسل الزير؛ لتجيبه: نعم، يا حبيبي، أبا ليلى. وحين فتحت هاتفها رأت رسائل جديدة من جيمس مشحونة بإهانات وشتائم لها توبيخ. نفذت ما طلبه وليام بابتسامة. ولم تلتفت للرسائل. اتصلت منى بزوج رغد، وهو في المطعم، وفتحت سماعة هاتفها، وهي بين الجميع، سألته عن الأمر. أجابها والله، إن إخوتي وقبيلتي في العراق، سيتحركون عليه اليوم. لن يضيع حق أختي. اليوم سأوافيكم بأخبار سارة.

قبل أن يبدؤوا بتناول وجبة العشاء التي أعدتها بنات رغد وروز بدقة وترتيب تتلذذ به العيون. أعاد وليام هاتف أمه لها، وهي مع رغد ومنى التي قررت أن تبات ليلتها في بيت رغد. سألت منى رغد بهمس عن حال وليام، فلم يقل شيئًا حتى حين اعطى الهاتف لأمه. فأجابتها وهي تأكل لعله حزين على أمه. لم يتناول وليام إلا لقمتين فقط، وترك السفرة. لحقته رغد لتفهم منه السبب: ماما وليام، ماذا بك؟ هل أزعجك حسين؟ أو أحد غيره؟ ردت وليام بانزعاج: جيمس فري باد مان. ردت رغد: جيمس أبوك؟ فأجابها بغضب: نووو. آي هت هم. ثم حاولت أن ترجع إلى السفرة، لكن رفض. مسكته من يده، فسحب يده منها بقوة. أدارت وجهها لترى فاطمة جلفها. سألتها ماذا قال؟ فترجمت كلامه، قال (جيمس رجل سيء جدًا. أنا أكرهه). فأوصتها أمها بأن لا تخبر أحدًا بما سمعت. لم يأتِ وليام لتناول الشاي، ولا لمشاهدة حلقة من مسلسل الزير. أوصلت رغد الشاي لوليام في غرفة النوم، لكنه رفضه. ثم أعطته هاتف أمه، فرضه. ثم أعطته هاتفها فأخذه. فقالت منى: يا ربي ما زال لا يحب أمه.

بعد أن ابتعدت أميال الساعة عن الحادية عشرة ليلًا، انفتح الباب ليطل علي، والبشر يسبق خطاه، صاح: ابشري يا أختي أم وليام. وصوته ضربة لهدوء البيت وسكون من فيه. أكمل والزهر يلمع في عينيه: اتصل بي أخي. وأخبرني أنهم قد ضيقوا الخناق على سعيد. فاعترف بملكية قطعة الأرض لجاكلين، محولًا المشكلة إلى تفاوض على مبلغ (15) الف دولار، مدعيًا أنكِ قد استلفتِ منه هذا المبلغ؛ لذا فأخواتي طلبوا مني التأكيد من صحة قوله. ليكون لنا معه كلام آخر بعد أن نتأكد. سكت قليلًا، وهو ينظر إلى انبساط ملامح جاكلين ثم انقباضها، قائلًا: يا أختي، حقك في طريق عودته لك. فلا تحزني. أجابته بنبرة فرح: شكرًا لك. التفاوض أفضل من سلبه للقطعة. وأنا لم أستلف منه، أصلًا هو بخيل جدًا! رد بنبرة حزن وفرح: إذن هو يفتري، لا عليك سنحل المشكلة. ثمة خبر أجمل مما قلته لك. ردت بلهفة ووجها يضحك: ما هو؟

أخبرني. فقال: كلمني اثنان من أخوتك من هاتف أخي، وقد طلبوا مني بترجي وتوسل أن أتوسط بينك وبينهم للصلح طالبن منك السماح. وقد أكد لي أخي أنهم جابهوا سعيدًا بقوة وهجموا عليه بعنف. لم تتمالك جاكلين نفسها. انفجرت، وزوج رغد يحاول التهدئة ويمدح أهلها، ويبشرها خيرًا. تغيرت ملامح رغد، وهمست لنفسها: كأنه نسي أهلي. فتحول مدحه إلى أهل جاكلين. بينما قال علي في سره: يا ربي، لقد تعبت، متى تنتهي هذه الأزمة! أنت السبب يا رغد..

عزف طبل صوت طرق الباب على مسامع رغد. حركت جسمها، أطراف مخدرة، وزفرت بأنفاس ثقيلة، وابتلعت ريقها وطعم الجفاف يملأ حلقها. حاولت فتح عينيها بصعوبة، نظرت في شاشة هاتفها فوجدتها تشير إلى السادسة وخمس وعشرين دقيقة. سألت بصوت مخنوق: من؟ فجاءها صوت دافئ: يا وردة صباحنا، اشتقت لكم. قومي، فقد جهزت الفطور. أزال استغراب رغد نعاسها. قامت من فراشها، وفتحت الباب، فأطل عليها وجه جاكلين، مسحت رغد عينيها، ودققت النظر، وعطر جاكلين يتواصل انبعاثه إلى أنف رغد، ومكياجها يتجمل بابتسامتها، وهي تقول: صباح الورد، صباح الفل، يا ورد يا فل، يا أجمل رغد في عالمي. ردت رغد: جاكلين، أنا أحلم! دعيني أغسل وجهي كي تبصر عيناي جيدًا، ويبدأ عقلي بالاستيعاب. غسلت وجهها بماء بارد. أبصرت عينها ترتيب سفرة الفطور يراقصها صوت فيروز في أجواء يملأها عطر جاكلين ومكياجها وابتسامتها. والأولاد يتوافدون إلى المطبخ بوجه ناعسة، وعيون تكاد تكون مغمضة. وجاكلين تتحرك بسرعة وتتنقل بخفة لتوقظهم وتجهزهم للذهاب إلى المدرسة. قامت رغد لتغلي كوب حليبها الذي نسته أمامها فبرد دون أن تشربه. ثم نظرت في هاتفها، ورأت مكالمتين فائتتين من بيان في الساعة الثامنة والنص مساء أمس. فتذكرت أنها أرسلت صورًا للأوراق التي كتبتها. توجهوا إلى المدرسة، جاكلين تمشي مع الأولاد مبتسمة، تاركة رغد وراءها التي اتصلت بزوجها تخبره بفرح جاكلين ونشاطها. وصلوا إلى المدرسة، دخل الأولاد، وانتظرت جاكلين رغد في باب المدرسة كي تدخلا المدرسة معًا. فنزلت نرجس من السيارة، ووقفت مع جاكلين، وخيوط الشمس الذهبية تعانق ألوان ملابس الزاهية التي ترتديانها، وتنعكس في عينيهما. ورغد تقبل نحوهما وهي تتأمل وجه جاكلين بلا ملامح حزن وسواد، وضحكاتها مع نرجس التي تتحرك متراقصة. سلمت رغد على نرجس، وتوجهن إلى غرفة الإدارة. تفاجأت منى بضحكات صباحية، قالت قبل أن

تصل إليهن في الغرفة: أحب هذا الصباح بضحكاته. أنا قادمة. صباح السعادة، هيا هيا أريد أن أضحك معكن.

قالت جاكلين وهي تضحك: الليلة السابقة، بيان سّهرت رغد، وهذه الليلة كان دوري. اوقظها صباحًا. والليلة الآتية ستكون لبيان. ردت رغد وهي تضحك: حين تزعجاني أتذكر تلك اللقطات لتوم وجيري، يا مزعجات. وطلت ضحكت بيان قبل صوتها وهي قد سمعت كلام رغد. وقالت: صباح الخير جميعًا، والتفت إلى غد، وقالت: صباح الخير، يا جيري. وانصرفن إلى قاعاتهن، ورغد تهمس لمنى وبيان: هل رأيتما جاكلين وهي تضحك! كأنها متفائلة بما فعله زوجي وعشيرته له! وفرحة بصلح أخوتها لها. ابتسمت منى، وقالت: واضح أنها أكثرت المكياج والضحك لتخفي ألمها النفسي. فردت بيان: الآن يأتي دورنا بقيادة منى؛ لنكثر من مزاحنا معها.

لمحت فتون جاكلين ونرجس، هما تتوجهان إلى خارج المدرسة. توجهت فورًا إلى إسراء في قاعتها، وهمست في أذنها ما رأته، فردت إسراء بحدة: لا أعرف، ولا يهمني. وقالت للطلاب بصوت جاد: هل فهمتم الفكرة؟ أجابوها: نعم، فقالت: إذن فلندون.. واستمرت بالكلام تاركة فتون في صمتها وهي تحرك أصابع كفيها ببعض؛ حتى غادرت القاعة. وفي أحدى الفرص، اعترضت إسراء طريق نرجس، وسالتها عن حال إسراء، فأجابتها نرجس: المسكينة حزينة ومنكسرة، بعد أن أخبرها الأطباء باليأس من إنجابها. ثم قالت فتون: ماذا جرى لكما أنت وهي! تهون عليكما عشرتنا بسرعة، وتدمران صداقتنا بلا سبب. قاطعتها نرجس: يا ست فتون، أنا أرى أنا ما نعانيه منه أنا وإسراء هو عقوبة لنا لأننا نضحك على الناس. ردت فتون بسرعة: أي عقوبة! وما الذي أنتما به، أنت منعمة لا أحد يزعجك لست كحالي مع زوجي الذي يأخذ كل مرتبي، وإسراء مع زوجها سعيدان، لا طفل يصرفان عليه، ولا ولد يزعجهما. يا حسرة علي أنا من ازعاج الأولاد وكثرة مصاريفهم. ونرجس تقف أمامها، وتنظر لها بعينين متسعتين وملامح غاضبة. لفت زفير أنفاس نرجس انتباه فتون، فنظرت لعينيها وسكتت، التقت النظرات، ثم تحركت نرجس نحو غرفة الإدارة بصمت وبخطوات متزنة. لحظت ثلاث مدرسات الغضب والتوتر على وجه فتون. قالت أحداهن، واسمها سناء: فتون. فكررت نداءها حتى انتبهت فتون، وهي تنظر للمتكلمة. فأكملت: ما الأمر! لماذا أنت صامتة حزينة! ردت فتون بنبرة منكسرة: حزينة أحبس دموعي في عيني وقلبي يتوجع على صديقتيّ أختيّ اللتين تركتاني بلا سبب،

وانضمتا مع المتكبرات. استغربت سناء، وقالت: لا يهمك، لا تنزعجي. ردت فتون: كيف لا أنزعج على بعد صديقاتي! آه من قلبي الطيب. وسألتها مدرسة اسمها خلود: ولماذا تركتاك وانضمتا مع المتكبرات؟ ردت فتون: يبدو أنهما تحبان الإداريات وصاحبتي الشهادات العليا! اللائي لا يجلسنا معنا تكبرًا، فمن كثر ماله تعالَ على الآخرين. ردت سناء: أنا أبحث عن فرصة لإكمال دراستي العليا. فعلقت فتون: ليت الإدارة لا تعرقل طريقك كما فعلت مع غيرك. فسألتها بحيرة: وماذا أفعل يا ست فتون؟ ردت فتون: أنا الآن ذاهبة إلى قاعتي، سنرى فيما بعد. لا تقلقي يا عزيزتي.

بعد ثلاثة دروس متواصلة، جاءت فرصة لاستراحة لرغد لتجتمع ببيان، جلستا في غرفة المعاونة. سألت بيان وهي تجلس بجانبها وتمسك بالقلم: وضحي لي الإعراب. ردت رغد، وهي تضع يدها الماسكة بالقلم على ورقة أمامها:

الإعراب: هو إيضاح المعاني المختلفة، ولكل معنى علامة (حركة) خاصة به، واختلاف العلامات يؤدي إلى اختلاف المعاني فمثلًا لو كتبنا هذه الجملة بلا علامة إعرابية (أرهب الناس سلمان) لصار معناها غامضًا. ردت بيان: بل هي واضحة. استغربت رغد: كيف واضحة يا عبقرينو! طيب انظري يا بيان لهذه الأمثلة التي أكتبها: 1-أرهبَ الناسُ سلمانَ. 2-أرهبَ الناسَ سلمانُ. 3-أرهبُ الناسِ سلمانُ. 4-أرهبِ الناسَ سلمانُ. أرأيت أننا نفهم المعنى من خلال الحركة الإعرابية؟ مثال أكثر وضوحًا 1-(رأى محمدٌ زيدًا) 2-(رأى زيدًا محمدٌ) 3-(زيدًا رأى محمدٌ) تمعني في هذه الأمثلة، هل تميزين الفاعل من المفعول به؟ ردت بيان: نعم، من خلال الرفع والنصب. ردت رغد: في الجملة (1) المخاطب خالي الذهن عن الموضوع. و(2) تقديم المفعول به لأهميته، أو لأمر آخر، و(3) المخاطب يعلم أن محمدًا رأى شخصًا لكنه لا يعلم من هو. ردت بيان مستغربة، وهي منحنية على الورقة التي تكتب فيها رغد: دعيني أستوعب. لقد انهال علي الكثير. ردت رغد: ركزي على الجمل الثلاث، ووضحي لي فائدة الإعراب من خلال الجمل. ردت بيان أحتاج إلى تركيز. فعلقت رغد: طيب. فائدة الإعراب بيان المعنى، والسعة في التعبير، والدقة في التعبير. وأنا سأشرب الشاي مع منى.

وبعد دقائق من التفكير، قالت بيان: تعالي وانظري لهذا المثال، وكتبت: .Ahmed saw Ali. لو بدلنا مكان الفاعل بمكان المفعول، لصار الفاعل (**Ahmed**)، مفعولًا به للفاعل (Ali)؛ لأنها لا توجد حركات تدل على الفاعل والمفعول كما في العربية. ولو بدلنا المفعول به (seals) بالفعل (trains) في هذه الجملة (He trains seals)، لتغير معنى الجملة بكامله مع تغير نوع الكلمة. فالفعل (trains) صار اسم، وهو مفعول به، والاسم المفعول به في الجملة السابقة (seals) صار فعلًا في هذه الجملة (He seals trains). صاحت رغد: عظمة يا عربية.

حسنًا يا رغد البيان، وضحي لي ماذا هذا التعقيد في الجمع العربية؟ ردت رغد بسرعة: مجنونة لا تذمي العربية على الأقل أعرفي القواعد أولًا. لا تعصبيني. ردت بيان مبتسمة وهي تمسك كوب الشاب: آسفة لسيبويه وللعربية. دعيني أقبل وجنك اعتذارًا. فصرخت رغد: مجنونة يا خائنة ابدلت القبلة بعضة. وبعد الضحك، بدأت رغد: تجمع العربية الاسم بجمع السالم؛ لتميز العاقل، والاسم غير المضاف، وتميز بين نوعي السالم جنس الاسم مذكرًا أو مؤنثًا؛ اضيفي لهذا الاسم الأعجمي والمصغر اللذين تجمعهما بالتأنيث، وتميز الصفات التي تُستخدم للمذكر والمؤنث كـ(صبور، جريح). ردت بيان، وهي تنظر لرغد: جيد. فالاسم يحمل معنى الجمع والعقلانية والجنس، لا كما هو الحال في الإنجليزية يحمل الاسم المجموع قياسيًا معنى الجمع فقط. لتقول رغد: دعيني أكمل. وفرق جمع السالم عن النوع الثاني من الجمع (جمع التكسير) فرق دقيق فمثلًا (كاتب): كاتبون (جمع سالم): معناه: كتبوا في وقت محدد، وكتبة (جمع تكسير)، معناه: مهنتهم الكتابة. ردت بيان، وهي تقرب الورقة من وجهها: فرق دقيق ومهم جدًا. يعني أنا وأنت مديرون، لو غابت المديرة والمعاونة اللتان هما مدراء. ضحكت رغد: جيد. أما نوعي جمع التكسير كـ(أعين) تدل على القلة، و(عيون) تدل على الكثرة. أكثر من عشرة. اتسعت عينا بيان قائلة: يا ربي، كيف نترجم، ونحن لا نعرف هذه المعاني والدلالات! ردت رغد ضاحكة: وأنت تذمين اللغة العربية! ثم تضحك منى، وتقول بنبرة مصطنعة الغضب: كفاكما ازعاج. أنا جائعة. فتناولها رغد قطعة حلوى من حقيبتها. وترد منى وهي تقلدهما ماسكة بالحلوى: وما الفرق بين قطعة الحلوى هذه في العربية والإنجليزية؟ فتجيب جاكلين وهي تتجه نحو الكرسي لتجلس بضحكة، ثم تقلد حركات رغد وهي تشرح: أقسام الكلام، اسم منعزل بالتنوين عن الشلة التي تريد سحب كسرته، فتناديه. وفعل، تريد الشلة سلب زمنه وتشويه حدثه، وهي لا

تعرف أنها حرف لا معنى له من دونهما. ضحكن وهن يطلبن منها أن تكمل. فترد جاكلين وهي تضحك: يردن محو التعريف، لا يعرفن أن العلم جبل، والضمير قوي بانفصاله وقدرته على الاتصال والاستتار دون خوف، والإشارة دقيقة لا تشوش، والموصول يسند على صلته متشبثين ببعضهما، وال تقتل تنوين الاسم لتمنحه التعريف نازعة عنه تنكيره، والإضافة تفك تنوين التنكير من الاسم لتزوج الأول بالثاني المقيد بكسرة. فضحكن، ثم أكملت بيان: معتمدات على تثنية الاسم في الإنجليزية المعتمدة على (both) الشوم؛ ليكسرن بها تثنية العربية التي تستقيم بلا (both) بل وتعدها ملحقًا بالمثنى. ثم تكمل رغد: لا يفهمنا أن جمعنا سالمًا فيه تأنيث كالتذكير، وفي جمع تكسيرنا مهنة واحتراف للخير، وفي كثرتنا نفوس واعية وعيون يقظة، وفي قلتنا أنفس متحابة وأعين متضامنة. بعد أن عجزن عن فك بناء الفعل الماضي والأمر، يركزن على الفعل الحاضر مستغلات إمكانية تغيير أخره، متجاهلات رفعه بضمة رغد الود ونونه ببيان المحبة، غافلات عن جزمه بمنار القطع، ونصبه بمنى المراقبة. لا يدركن أن فعلنا لا يُكسر وأن جُر بحبال جر شلة ضعيفة. فتختم بيان: سيبقى الاسم محتفظًا بتنوينه المنكر حتى يأتيه تعريف، ويبقى المعرف معهودًا لا تنتز منه الشلة تحديده، ويبقى الفعل محميًا ببنائه، والمرفوع محكومًا ما لم تقطعه منار ولا تنصبه منى، ولا يهاب كسر الشلة. فتعالت الضحكات. فردت منى: ومنى تنصب عينيها على سيبويه وتشومسكي والرحال المستشرق.

وقفت رغد تردد: حانت المحاكمة، الآن يا مجنونة، أنت قلتِ عن اللغة العربية معقدة! وأنا أقول أن العربية كدولة منحت كل ضابط رتبة، وسمحت له بالتحرك حسب ما يُراد منه. أما الإنجليزية فقيدت كل ضابط بمكان معين بحيث لو أن تقدمه أو تأخره يدمر جملة جنوده، وإذا لم تُمر، فوظيفة كل جندي تتغير، وتسود الفوضى، ويصبح الضابط جنديًا. ردت جاكلين: ولكن الإنجليز عوضوا سجن كلماتهم وتقييدها بعيشهم بحرية، والعرب كرهوا حرية لغتهم، وغاروا من اللغة الإنجليزية، فقلدوا قيود الكلمات الإنجليزية في تركيب الجملة، وها هم يعيشون بلا حرية. قفز صوت بيان: أحسنت رفيقتي أم وليام. ردت رغد بجدية: أنا أنتمي للعربية ولا أنتمي للعرب المقلدين لرعاة الأبقار وتمزيق الملابس. ردت بيان: العربية تبدا بالفعل، صح؟ اجابت رغد: الجملة العربية الفعلية تبدا بفعل يليه فاعله. أكملت بيان: والجملة الإنجليزية تبدأ بالفاعل. ردت رغد بسرعة وابتسامة: لأن العرب يهتمون بالحدث لا بالفاعل، إلا إذا اقتضى غرض مهم تقديم

الفاعل على الفعل كاستغرابهم في مثل (الجمل يقرأ)، (الكرسي يمشي). ردت بيان بابتسامة، وهي تنظر إلى رغد: ولكن الإنجليز الآن يهتمون بالأحداث والنتائج لا بالأسماء والفواعل. أما العرب فلا يهمهم الحدث، بل كل همهم الاسم والتمجيد والتقديس! وحياتهم مليئة بما يثير الاستغراب، لكنهم جعلوه حقيقة، على العكس من الحقيقة الواضحة عندهم، فقد جعلوها موضع استغراب وسخرية. ردت رغد: لا أنتمي إلى العرب المطبلين للطغاة، الهاتفين بالحرية، والممجدين بمن يجوع شعبه كي يطعم عدوه، والمصفقين لمن زج شعبه في حرب خاسرة وهو يدعي النصر. اعتدلت بيان في جلستها، وقالت: اسمعوا يا قضاة، الإنجليزية تجمع الاسم على قياسي وغير قياسي. والعربية.. قاطعتها جاكلين: تفرق الناس قياسي مميز، وشاذ تكسره، وعلى مذكر ومؤنث، وقليل وكثير! أجابت رغد: لأن العربية كالمدرسة مع طلابها توضح كل شيء، وكعربي ذكي صريح، لا يحب الإبهام والغموض. فيجب أن يعرف المجموع رجالًا أو نساء، وعربًا أو عجمًا، بكاملهم أو مصغرين، قاتلون بظرف طارئ، أو قتلة محترفين، كثرة أو قلة. فهذا دليل على حبهم للصراحة والوضوح وذكاء منهم في اعداد العدة لهم من خلال معرفة تفاصيلهم بدقة سواء في الترحيب بهم كضيوف، أو في الهجوم عليهم كانتقامه منهم. أو على الأقل في فهم ما يسمعه بدقة. بعكس الغموض في الإنجليزية وغياب ما في العربية. ردت بيان: ولكن العرب لا يخططون لشيء، ولا يريدون فهم ما يجري، بل يفهمون ما يعجبهم تاركين الحقيقة. ردت رغد بغضب، وهي تمزق ورقة: وهل تريدين مني أن أعترف بعروبة من يكبر وهو يذبح من يكبرون بدافع دخول الجنة! يا مجنونة، ما دخلي بمن يدعي العروبة، أو يسيء لها! لا تهربي من المحكمة اللغوية، فهي موضوعنا. ردت جاكلين بسرعة: لكن الإسلام يأمر بذلك الذبح رغم أن العرب زادوا على أمر الإسلام في الذبح حتى المسلمين! ردت رغد باستغراب: كيف ذلك! من أين جئت به! ردت جاكلين وهي تشعر بنشوة الانتصار: في القرآن، ألم تقرئي (فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ).

ضحكت رغد، ومنى وبيان قد تسمرت أعينهما على رغد، ثم قالت: (ضرب) هي مصدر منصوب يدل على الأمر مع عدم الثبوت والاستمرار والديمومة. أي هي آية تأمرنا بالسلام لا بالقتال. بل أمرت بالقتال في وقتها فقط. وهذا تفسير لغوي معروف. تنهدت منى وسألت: وضحي لي. أجابتها رغد: مرة أقول: أصبر، ومرة (صبرٌ) والمقصود في كل حياتك أصبر، ومرة

(صبرًا) ومعناه في أصبر على موقف ما. فالآية تأمر المسلمين بالقتال في ذلك الوقت فقط. ماذا أقول لك يا جاكلين، تهاجمين العربية والدين بناء على فهم خاطئ! ردت بيان مدافعة: ما أكثر من يغير القواعد والدين حسب ما تقتضي مصالحة وليس بالخطأ مثل جاكلين! علقت منى بجدية: ما معنى (إياك نعبد، وإياك نستعين)؟ صمتت رغد. فأجابت جاكلين: معناه أن الكثير يعبدون أله في داخلهم، أله الهوى، التعصب، النساء، المال، الأنانية، العدوانية... وقاطعتها بيان: ويستعينون بالشيطان، يستعينون بالأجنبي الكافر على أخوتهم وأبناء بلدهم. اجيبي يا رغد. لم هذا الصمت! ردت رغد بعد أن سمعن زفرة أنفاسها وحسرتها: ما يؤلمني هو أن مثلكن يقول هكذا كلام! ما ذنب أحداكن إن اجتهدت وتعبت على طلابهم حين أهملوا فرسبوا! ما ذنب القانون إذا كان الشعب لا يطبقه! فلنذهب، فالأولاد ينتظروننا يا جاكلين. سألتها جاكلين وهما تمشيان: يتفق الشعب البريطاني والأمريكي مع اللغة الإنجليزية في أن الفرد مفرد مستقل يعيش بحرية، ومجموع متراص متحد يخضع له العالم كالولايات المتحدة، أما العربية ففيها مفرد ضائع ضعيف على المثنى الخاضع للمجموع المتنافر. وجمع تكسير منبوذ بجمع سالم يستخف بمن يرى نفسه أرقى منه. ومذكر متسلط على مؤنث، ومؤنث يلاوي المذكر، وقلة تناحر كثرة. ورغد صامتة. ثم قالت لها: وهما تمشيان: كذلك العرب حكموا من إسبانيا حتى الصين. ثم أردفت: انتبه يا حسين فالسيارة تمر مسرعة.

الفصل الثامن
إعراب اليتيم وبناء الشهامة

بعد الغداء، منحت ساعة السكينة الأولاد الاستلقاء في زواياهم المفضلة، في بيت رغد الذي تمتلئ أرجاؤه بعبير الأرز ومرق اللحم. ساد هدوء تقطعه تحركات رغد وجاكلين لترتيب البيت، وأصوات الأواني في المطبخ، وفار الشاي بعطر الهيل، وأصوات أكواب الشاي. جاء وليام وأخذ هاتف أمه جاكلين، لكنها للمرة الثانية لم تنتبه إلى عدم طلبه منها تشغيله لمشاهدة حلقة من مسلسل الزير السالم. ولم يأتِ وليام لشرب الشاي معهم للمرة الثالثة، بل يبقى في الغرفة، وحسين وروز معه هذه المرة. نادت عليهم رغد؛ ليأتوا إلى الصالة كي يكون مع الجميع يتناولون الشاي. أجابها حسين بأنه لا يريدون الشاي. ذهبت لهم جاكلين، وحين رأوها تجمدت ملامحهم، وساد صمت مفاجئ، بعد أن سكت وليام وسحب يده الماسكة بالهاتف إلى الوراء من وجه روز. رجعت من دونهم وجلست بجانب رغد وهي مستغربة ما رأيت منهم. وحين سألتها رغد أخبرتها بما رأت.

بعد دقائق خرج حسين من الغرفة، فأخذته أمه إلى غرفتها وغلقت الباب. وسألته، فأخبرها أن وليام قرأ رسائل أبيه جيمس التي أرسلها لأمه جاكلين، وقد أخبر أخته روز بمضمون تلك الرسائل التي تعج بالإهانات والتوبيخ لها، وعرضها على روز حتى بكت روز، وقالت "نريد أن نعيش كما يعيش الناس"، ثم راحت تشتم أباها وتذمه. ووليام يردد "مسكينة جاكلين" فردت عليه روز بغضب "قل أمي، ولا تقل جاكلين. أم أنك تريد أن تكون جيمس الثاني". بان الذهول على وجه رغد، وهي تفرك راحة يدها بالأخرى. لاحظ حسين تغير وجه أمه، فسألها: ماذا يا أمي؟ نظرت إلى وجهه، وسألته رغد بنبرة خفيضة: أمتأكد أنت يا بني مما قلته؟ أومأ حسين برأسه في صمت، ثم قال بجدية: نعم، نعم، يا أمي، وعيناه تتسعان لامعتين.

سحبت هاتفها بحركة مترددة، وقلبها يخفق، وضغطت على اسم زوجها علي، وأصابعها ترتجف، وأخذت تراقب شاشة الهاتف التي تضيء وجهها الشاحب، وتكلم طنين رنين الاتصال "رد يا علي، أين أنت! حتى جاء صوت علي مثقلًا بتعب: أهلًا أم أديب. ابتعلت رغد غصتها: أهلًا عزيزي. فقال بسرعة: ما بك؟ قولي. قاطعته: الأمر يخص وليام وروز. رد بسرعة: ما بهما؟ كسرت قلقه: لا تقلق، لا شيء، لكني أريد أن أخبرك أنهما قد قرآ رسائل جيمس التي

ارسلها لجاكلين وكلها اهانات لها. توقفت سماعة هاتف رغد عن نقل ضجيج الأواني وأصوات الناس، ثم جاءها صوت علي بوضوح: نعم، نعم. وسكت قليلًا، ورغد تسمع أنفاسه المضطربة ثم قال بصوت خافت حاد: اللعين جيمس جعل الأطفال يعرفون خسته. وتغيرت نبرته، تنهد في سمع رغد: لقد كبر وليام وروز قبل أوانهما. النتيجة أنهما عرفا شخصية أبيهم جيمس. وماذا عن أمهما؟ ردت رغد: هما التجآ إلى أمهما. وليام يردد جمل الزير سالم في توعده للانتقام، وروز تحتضن أمهما وتواسيها.

فرح علي بما سمع. إلا أنه تنهد بألم. فسألته: ما بك! كأن فرحتك انطفأت! رد عليها "أنه منزعج من مراوغة سعيد. وأكد لها إصرار سعيد على أخذ مبلغ من جاكلين حتى يعيد لها قطعة الأرض". رفعت رغد حاجبيها باستغراب "لكنه لم يعطها أي مبلغ. هكذا اقسمت جاكلين". فقال لها "الآن عشيرتي وعشيرة جاكلين تضغط على سعيد، وهو يريد اللجوء للقسم على أنه أعطاها المبلغ، ونحن رفضنا قسمه، وطلبنا منه دليلًا على ما يدعي. وهو لا يملك الدليل. ومتشبث بالقسم. ادعي لنا أن يوفقنا الله ونسترجع حق جاكلين. ثم سألها هل عرفت جاكلين بأمر وليام وروز؟ أجابته بأنها لم تخبرها. فأمرها بأن تخبرها. ردت رغد "لو أخبرتها ستفرح كثيرًا، لكن ستأخذهما إلى بيتهم. وأنا سأحزن على فراقهما. رد علي "يا أم أديب، هي أحق بهما منا. دعي الفرح يزورها ولو ليلة واحدة. اجعلي نفسك ميزانًا بينك وبينها". فقالت رغد "لا أنسى حبهما لي، ولا حنو روز عليّ، ولا يغيب عن ذهني ذلك الكيس الذي أحضرت لي فيه طعامًا". رد عليّ بنبرة غاضبة "لا تجعل ذلك على حساب فرحة أم مكسورة". نفذي ما قلته لك. وختم الاتصال مع السلامة.

توجهت رغد إلى الصالة حيث تجلس جاكلين، وقبل أن تراها طرق مسمعها (دللول يا الولد يا ابني دللول)، تسمرت قدماها بدموعها التي سقطت، استندت بجسدها على الحائط. ثم مشت بخطوات كأنها تمشي في حقل ألغام، مسحت عينيها لتزيل دموعها كي ترى بوضوح، ثم تقدمت كأنها تقفز إلى جاكلين التي تهز جسد وليام في حضنها الذي يكاد يلف جسده، ورأسها منحني عليه. أحست جاكلين باحتضان وشهقات رغد اقتحمت سمعها. رن في سمع وليام مزيج شهقات مختلفتين، بعد أن انقطع صوت أمه، وظهر ارتجافها، فتح عينيه، وهو صامت. حرك نظره ليجد روز وفاطمة تجران أمهما وهما تبكيان. اختلط عليه الشهيق والبكاء.

جر نفسه بقوة من حضن أمه، وجسده يرتجف، وبصوت متهدج قال: (I hate him) (أنا أكرهه)، ونظراته تتوزع على أمه ورغد. ثم وقف أمامهن بقدمين متباعدتين مثبتتين على الأرض، مقلصًا حاجبيه بحدة، ينظر نظرات ثاقبة. أسكت كلام وليام الشهيق والبكاء. فقد صاح بمرارة، مخارج حروفه الإنجليزية تزداد حدة، وقال بغضب: (سأنتقم منكم يا جساس، سأقتلك)، ثم قال (سأنتقم منكم يا جيمس، سأقتلك). فزعت له جاكلين، واحتضنته وهو يقول بغضب اتركيني، هو غدر، أنا سأقتله.

مسحت رغد وجهها بكفيها، وانتزعت رغد وليام من حضن أمه، مسكته وهي تشعر بصلابة جسده، لتحمله، وقالت بنبرة خلت من الشهقات، محاولة ابتلاع غصتها، بوجه ارتسمت الجدية ملامحه، وخطت الدموع مجراه، وعيناها جامدتان على ارتجاف يد جاكلين: نعم الرجل أنت يا عمري وليام، ابنك رجل شهم يا أم وليام، ارفعي رأسك عاليًا. لم يعد طفلًا باكيًا. استندي عليه، لقد صار رجلًا يذود عنكِ. تجمدت نظرات جاكلين، وهي تنظر لها ووليام مرتفعًا بعينين مملوءتين دموع، ووجهه يشتق ابتسامته من غيوم حزنها، فتحضنهما معًا، وتنضم لهم روز باكية. أجلستهم رغد، ومسحت دموعهم. ساد صمت، تتخلله تنهدات جاكلين، وهي تركز في نظرها على وليام.

كسرت رغد حاجز ذلك الصمت وايقاف تنهدات جاكلين بطلبها من ابنتها اعداد الشاي، ورافقتها روز. قدمت أول كوب شاي لوليام. وهي تسألهم عن دروسهم، ثم أخذت جاكلين إلى غرفة الضيوف، وغلقت الباب وراءهما. جلستا، وتوجهت إليها رغد وهي تبتسم بوجه جاكلين التي بان شحوب وجهها، وذبول عينيها، وابتسامتها رخوة: يا أم وليام، ما أخبار جيمس؟ لم تجب، ورغد تنتظرها. همست ببحة، وشفتاها ترتجفان: ما زال يرسل لي توبيخًا وإهانات حتى صرت لا أقرأ رسائله في هاتفي، وأنا لم أجبه قط. ردت رغد، هل تعرفين أن وليام وروز قد كان يقرآنها! وقد تأثرا بها كثيرًا! بحركة سريعة مدت جاكلين يدها لهاتفها الذي أحضرته رغد معها، فوجدت أن الرسائل كلها مقروءة. نادتها رغد: يا أم وليام، ارفعي رأسك، انظر لي. هل تعرفين أن وليام وروز حقدا على أبيهما، ومالا إليك وهما يتفقان على أن يناديك بأمي وليس باسمك! نزلت دموعها، وهي تقول: الشكر لك يا ربي، لم تتخلَ عني. هذا كثيرًا عليَ.

لم تتعدَ الساعة التاسعة من مساء ذلك اليوم، بعد العشاء من دون الشاي، التحق وليام وروز بأمهما في غرفة الضيوف للنوم على فراش واحد، تتوسطهما أمهما التي كانت تتقلب بينهما

لتغمرهما باحتضانها. بينما يفتقد أولاد رغد وليام وروز، كانت رغد قد اتصلت بزوجها وأخبرته بفرح متبادل بينهما. ثم اتصلت بمنى وبيان وأخبرتهما. فقالت بيان، وهي تضحك "لمَ لا تشغلين وقتك بإعداد كتابة مواطن قوة اللغة العربية وضعف الإنجليزية حتى عودة زوجك" لكن رغد رفضت طلبها، قائلة: "أي كتابة وأي لغات! أنا لا أعرف الآن إلا لغة جاكلين ووليام وروز. لا أستطيع التفكير والكتابة الآن". ثم وجدت نفسها تضيق بها الغرفة والبيت. فتوجهت لتأخذ ابنها أديب وتذهب معه إلى زوجها في المطعم، لكنها رجعت عن فكرتها. فغيرت اتجاها إلى غرفة الضيوف، طبعت قبلة هادئة على جبين جاكلين، وهي مستلقيه على جنبها الأيسر، ثم انحنت على رأس وليام في حضن أمه تقبله، فوجدت جاكلين تقبل سنسالها قبلة تقديس وتقدير. انتظرتها رغد ثوان كي تنتهي من تقبيله، ثم تحركت نحو ظهر جاكلين حيث تنام روز. وعند خروج رغد من الغرفة، أطفأت الضوء، فصاحت جاكلين لا تطفئيه أرجوك، لأني أحتضنهما وأغمض عيني، ثم أفتحهما لأراهما معي.

لم تعلن الساعة منتصف الليل حتى دخل علي بيته الذي يخيم السكون عليه، استقبله هواء البيت الدافئ، وعيناه غائرتان، وكتفاه منحنيتان تحت وطأة يوم طويل بين المطعم والمعهد البريطاني الذي يدرس فيه اللغة الإنجليزية. بادرت إليه رغد بالترحيب مبتسمة. رمى مفاتيحه بغضب، وجلس على كرسي في الصالة. قالت له رغد: الحمام جاهز يا أبا أديب. أرسل زفرة عميقة. فردت رغد بسرعة: أعانك الله، يا حبيبي. وازاح عنك التعب. فرد، وهو يرفع رأسه لها: تعب العمل طبيعي، معتاد عليه، لكن تعب مشكلة سعيد المراوغ أزعجتني كثيرًا. ردت رغد: ماذا حصل؟ فقال بوجه مشدود ونبرة حادة: يريد أن يسرقها اليمين الكاذب! قاطعته: يتجرأ على اليمين الكاذب! بعد صمت للحظة، وعيناه تتمردان على التعب. ردت رغد بنبرة هادئة: هذا هو حال الدنيا، فلا تنزعج. قم للحمام، ودعك منه. وبعد خروجه من الحمام، يمسح شعره، وجد رغد تنتظره مبتسمة، ثم بادرته: أبا أديب، هل تريد مشروبًا ساخنًا؟ رد عليها، هو يبتسم: لا، شكرًا. أنا أشعر بتعب أريد أن أنام. ثم أردف: ما رأيك باقتراح شيخ عشيرة سعيد بأن نقسم المبلغ بينهما لنحل المشكلة، لكن عشيرة جاكلين رفضت. فتوصلنا إلى تهديده بالقانون والعشائر. ردت رغد مبتسمة: جيد، بارك الله بجهودك يا عزيزي. الآن حللتم نصف المشكلة. فلماذا أنت منزعج! رد بحسرة وهو يتأفف، متوجها إلى غرفة النوم: ما يعجزني رجولته على امرأة. تبًا له.

داعبت نسمة باردة وجه رغد حين فتحت باب غرفتها، وهي تتثاوب بعد الساعة السادسة صباحًا بدقائق. وقفت حركة قدميها عند عتبة باب المطبخ في طريقها إلى الصحيات. فركت عينيها لتطرد ما تبقى من غبش النعاس عنهما؛ لتجعلهما يبصران بوضوح مما تراه. فأشرقت أمامها ابتسامة ابتها فاطمة، وهي تمسك أبريق الشاي، وما هي إلا لحظة حتى فاجأها احتضان روز لها، وهي تغني بصوتها الملائكي "صباح الفل لعيون أمي رغد"، ثم طبعت قبلتها على خدها. انتزع وجه رغد ابتسامة صافية من تحت ركام السهر والتعب، وقالت بحنان: "صباح الورد لوجهي ابنتي الجميلتين، صباح الورد ليديكما الماهرتين المحضرتين لفطور سعادتنا"، ثم مالت لتقبلهما. تبادرت جاكلين إلى ذهن رغد في تلك اللحظة، فاستدارت مسرعة نحو غرفة الضيوف. استقبل ضوء الصباح المتسلل من شقوق الستائر وجه رغد، وهي تفتح باب الغرفة بهدوء وحذر. رمت نظرها على جاكلين المستغرقة في نوم عميق محتضنة وليام، أبطأ المنظر مشيتها، ثم توقفت صامتة حين رأت عيني وليام مفتوحتين مسلطتين على وجه جاكلين، وهو مستلقٍ على جنبه. دارت في رأسها تساؤلات حائرة: لماذا لم ينم! هل يكتشف ملامحها لأول مرة! أو أنه يحرسها أو يحرس أحلامها! اقتربت منه بهدوء، وجلست عند رأسه، وقبلت رأسه بصمت. أدار وليام نظره نحوها، وضع سبابته على فمه مشيرًا لها بالصمت. جمدت عيناها، حركت يدها إلى الأعلى، وكادت أن تحرك شفتيها، ثم قبضت عليهما وانزلت يدها. همس لها بصوت خفيض: هي تنام من التعب. أنا أريد أنظر لها. ماما رغد، أنتِ خروج. تغير وجه رغد، وشفتاها تفتران عن ابتسامة تلقائية، همست في أذنه: نعم، يا أبا ليلى، سأخرج، لكن الفطور جاهز، ونحن ننتظركما.

بعد دقائق من انتظار، عادت رغد لتتلصص على الغرفة بوجل المحبين. اقتربت منهما وجلست عند رأسيهما، تتأمل في مراقبة وليام لأنفاس أمه. مدت يدها تداعب خصلات شعره. فنظر إليها بابتسامة نضرة، ثم مد يده الصغيرة، وبأطراف أصابعه لمس خدها برقة، وهمس في أذنها بصوت دافئ: ماما، ماما، استيقظ، أنا اشتقت لك. فتحت جاكلين عينيها ببطء، رأت ابتسامته الصافية، اتسعت عيناها، فأغمضتهما بسرعة. كرر نداءه، وهو يقبلها على خدها. احتضنته بقوة موزعة قبلات متلاحقة على رأسه وجبينه وخديه. اسندت رأسه بين كفيها، وقالت بنبرة مرتجفة: فلأتنفس أنفاسك يا حبيب ماما.

رد عليها بصوت أصبح أكثر ثقة: هيا، قومي، ماما رغد تنتظر نحن. نهضت جاكلين ممسكة بيده، وتحركا معًا نحو الصالة. بينما تتبعهما رغد بنظرات تفيض حنانًا. فجأة أفلت وليام يد أمه، وعاد؛ ليمسك يد رغد ساحبًا إياها معه، وليمشي بينهما. استقبلتهم رائحة الشاي المعتق بالهيل، وابتسامة روز وفاطمة وصوتهما يغني بمرح: "صباح الأنوار للورد المطل علينا، أهلًا أهلًا ماما رغد جاكلين. ألتفوا جميعًا حول سفرة الفطور. وليام يتوسط رغد وأمه جاكلين، وبجانبها روز التي التصقت بفاطمة. قطع سكون اللذة صوتُ حسين الجالس بجانب أمه: صارت الساعة السابعة والنصف، لقد تأخرنا عن المدرسة. هيا، أسرعوا.

رن هاتف رغد بلهفة، كان صوت صديقتها بيان يقطر قلقًا، ودون أن تقول لها صباح الخير، قالت: "رغد، هل أنت بخير! أين أنت إلى الآن! الساعة تجاوزت السابعة والنصف بخمسة دقائق، ليس من عادتك التأخر عن الدوام!" أجابتها رغد، وهي تضع اللمسات الأخير على سترتها الرسمية والهاتف عاجز عن نقل ابتسامتها لبيان: "لا تقلقي يا بيان، أنا سعيدة، ها أنا أضع العطر وقادمة قادمة. ما إن ووطئت أقدامهم ساحة المدرسة، حتى انقضت أعين منى وبيان، وهما تريان جاكلين تضحك بملء قلبها، تتوسط روز ووليام. وخلفهم رغد تمشي، وجهها يرسل لمنى وبيان إشارات السعادة. انعكس ضوء شمس الصباح على بياض أسنان جاكلين، وهي توزع التحايا: "صباح الورد والسرور، صباح الفل والسعادة. وتوجهت بهمة نحو القاعات لتوصل وليام وروز. بينما جرت منى رغد من يدها نحو غرفتها، وقالت بفضولها المرح: "تعالي هنا، أخبريني بالفصيل وبسرعة ما حصل وإلا نتفت شعر رأسكِ الأجعد".

خرجت رغد وبيان من غرفة المعاونة منى، ووجهاهما يشرق بالابتسامة. توجهتا نحو قاعتيهما لبدء المحاضرات. وحركة الطلاب تملئ ممرات المدرسة للتوجه للقاعات. ألتفت بيان لرغد، وبنبرة تشجيعية، قالت: لقد أفرحتِنا بأخبارك السارة، يا رغد الخير. واعطيتنا طاقة للعمل بجد متواصل. الآن، يجب أن نضع كل شغفنا في مؤلفنا اللغوي المقارن. حان الوقت لنركز عليه. ردت رغد بلهفة، وهي تعدل حقيبتها: وأنا مشتاقة جدًا لإكماله، يا بيان. أتعرفين رغم فرحتي، لكني أشعر بغصة وحزن على فراق وليام وروز! سيغادران بيتنا إلى بيتهم خلال أيام. توقفت بيان عند باب قاعتها، وضعت يدها على كتف رغد: سيبقيان في قلوبنا يا عزيزتي، وسنظل نحبهما ونرعاهما وأمهما. لا تحزني نحن معًا في المدرسة كل يوم. فلندعُ لهم بالاستقرار والسعادة. أومأت رغد برأسها، وذهبت إلى قاعتها.

ضجت ساحة المدرسة بأصوات الطلاب حين حان وقت الاستراحة. قطع وقوف روز وفاطمة حديث بيان المشوق، وهي تعرض كتاباتها في سجلها المليء بالملحوظات حول اللغتين العربية والإنجليزية على رغد وجاكلين في غرفة المدرسة. رحبت كل من رغد وجاكلين بالفتاتين بابتسامة دافئة. بينما فتحت روز حقيبتها التي كانت فاطمة تسندها لها بجدية واهتمام، وأخرجت كيسًا ممتلئًا قدمتاه لهن، وقالت روز بنبرة ملائكية: ماما رغد وجاكلين، خذا هذا الطعام لكما. خيم صمت مباغت للحظة. فعلقت فاطمة بنبرة حانية فائضة بالحرص: أنتما لم تأكلا جيدًا في الصباح. ولكن لا تأكلا دون ماما بيان، فقد حسبنا حسابها معكما. انفجرت بيان بالضحك كاسرة دهشة رغد وجاكلين، وقالت بمرح: شكرًا يا كريمتين، حسنًا فعلتما لأنكما ذكرتماهما بي، لولاكما لأكلتا وحديهما، فهما بخيلتان. تعالت الضحكات في الغرفة. وتقدمت فتون للفتاتين وقبلتهما بحرارة، وقالت، وهي تنظر بطرف عينيها لجاكلين: نعمت التربية يا ست جاكلين. أنا أطير فرحًا حين أراكِ سعيدة بابنتك روز، وهي تحبك. أطالت جاكلين النظر لفتون بنظرة غضب، ثم تبادلت بنظرتها مع رغد. وتركتا فتون دون أن تنطقا بكلمة واحدة. وجرجت معهما بيان من الغرفة بصمت مهيب. فردت أحدى المدرسات الحاضرات: دائمًا تحبين الخير للجميع يا ست فتون. لتجيبها فتون بنبرة رقيقة، وعيناها تتابعان خروجهن: هكذا هي طيبة قلبي حتى لو كرهني الآخر. ردت أخرى باستهزاء وغلٍ: الاثنان تتكبران بدراساتهما العليا، دكتورة وماجستير! والثالثة تتعالى بتقليدها للثقافة الأوروبية، وزوجها بريطاني. ألتفتت فتون إليها بغضب، وقالت: نحن، وخصوصًا أنتِ أذكى منهن بكثير! تستحقين شهادتي دكتوراه لا واحدة. آه لو أنكِ توجهت فقط للدراسات. فعلقت الأخرى: نحن أثقف منهن، وخصوصًا أنت يا ست فتون، كلك أدب وحب وثقافة. ابتسمت فتون بمرارة وقالت: سبحان مغير الأحوال! كانت جاكلينو هانم تكرههما وتستهزئ بهما وتسميهما سيبويه وتشومسكي. والآن لا تفارقهما! أخرج كلامها نرجس وإسراء، وهما ممسكتين بيديها كوبي الشاي. أنعكس غضب فتون المتزايد في كلامها: وهاتان أيضًا تركتاني، وانضمتا إليهن. حسنًا يا لعينتين، سأخبرهن بما قلتماه لي عنهن. وسأخبر رغد وبيان ومنى ومنار بما قالته لي جاكلينو عنهن. فخرست ألسن المدرسات، وهن يتبادلن النظرات فيما بينهن، ثم يرمقن فتون؛ فقالت احداهن بجدية وحذر: كلنا زميلات وأخوات. أنا أحب الجميع. فعلقت الأخرى: صدقت، ونحن مثلك.. وساد صمت ثقيل في الغرفة، وفتون تنظر إليهن، وقد اتسعت عيناها، ثم قالت: زميلات

وأخوات! فأجابتها احداهن بحدة: نعم، زميلات وأخوات، ونتمنى الخير لهن جميعًا. فخيم الصمت.

بينما كانت جاكلين تجلس مع رغد وبيان في غرفة المعاونة منى، رن هاتفها بإلحاح. دققت النظر في الرقم حتى انتهى الاتصال. سألتها منى بفضول: لِم لم تجيبي يا أم وليام؟ ردت جاكلين بوجل خفي: إنه رقم غريب، وأظنه جيمس. وما إن تمت جملتها حتى رن مجددًا، قالت منى: ردي، ولنرى ربما أمر مهم أو يريد أن يعتذر لك. فقالت بانزعاج: لا يأتي منه إلا الازعاج والأذى. لكن منى أصرت وأيدتها رغد. فتحت جاكلين خط الاتصال، ومنى تمازحهن بتقليد لغتها الإنجليزية هامسة: يس، اي ام جاكلين. يس. فجأة سكتت منى بتغير وجه جاكلين، وتحوله إلى لون رمادي. ثم سقط الهاتف من يدها مرتطمًا بالأرض. وأفسد صمتها المطبق فرح جلستهن. ارتمين حولها، مذهولات مستغربات. وحين استجمعت شتات صوتها، أخبرتهن بأن جيمس مات. وجدوه ميتًا بسبب تناوله الخمر في ليلة حمراء مع فتاة. ساد صمت جنائزي. مسحت منى دموع جاكلين الجالسة كتمثال، وهي تلاحظ ارتجاف جسد جاكلين. نظرت منى في عيني جاكلين، وهمست بصوت يقطر حنانًا: عزيزتي أم وليام، هذا أمر الله. فلا تجزعي، ونحن معك. رفعت جاكلين عينيها، خرجت شهقتها ممزقة صمتها، ثم صرخت: من المؤكد أن الشركة تريد أموالها التي أتمنت جيمس عليها. تريدها مني، مني أنا. ماذا أفعل يا ربي! لقد تعبت. عاد الصمت ممزوجًا بحيرة. نظرت رغد إلى جاكلين الجالسة كتمثال مكسور، وشعرت بوخزة من الشفقة، لكن سرعان ما تبعتها غصة مسمومة جثمت على صدرها. فكرت رغد في سرها مراقبة دموع جاكلين: إنا لله وإنا إليه راجعون.. مات سجانك يا جاكلين.. ففُتحت أبواب لم نحسب لها حسابًا، يا زوجة الغائب سابقًا، وأرملة الآن. خوفي من شهامتك وتطلعك للجديد يا زوجي.. يا ربي هل سأقضي ما تبقى من عمري أقتسم زوجي! وحين تذكرت نداء زوجها لجاكلين (يا أختي)، وشعرت بموقف الموت والبكاء والانكسار، أحست بتسارع دقات قلبها، وأحمر وجهها، فقالت لنفسها: إن شاء الله لن تتغير كلمة (يا أختي) بعد موت جيمس.

انتهت نصف الساعة التي اعلنت نهاية الدوام. قطع كل ذلك مجيء وليام إلى الغرفة سائلًا عن أمه. احساسه بتوتر الجو دفعه للسؤال: ما الأمر؟ اقترب من أمه وملامحه قلقة، وسألها: وت هبن مام؟ احتضنته أمه منفجرة بالبكاء. فتدخلت منى بسرعة لتنتزعه من حضنها محاولة

إخراجه، وهي تقول له: لا شيء يا حبيبي، لا تقلق. لكنه ألتفت لأمه، وبنبرة ناضجة جافة، قال بحزم: هو باد مان. ثم كرر: هو فري باد مان از هز مسجس. لم تفهم منى مغزى كلامه. والذهول والتجمد ما زالا يسيطران على جاكلين. ثم دخلت روز مسرعة قلقة، ارتمت في حضن أمها. ورغد وبيان تنظران بألم وعجز. انتبهت رغد لنرجس، وهي تقلب عينيها الممتلئتين بالدموع بين جاكلين وفتون التي طغى صوت بكائها على بكاء إسراء وجاكلين. تجمدت عينا منى على يد فتون التي كانت ترتجف، وهي تحتضن جاكلين.

اتصلت منى بعلي، وأخبرته بموت جيمس ميتة بائسة. خيم الصمت على سماعة الهاتف للحظات، فرد بدهشة: لا أله إلا الله. وكيف مات؟ أجابته منى بغصة: بسكر وعربدة. ثم رد لا شعوريًا بدعاء عفوي: اللهم، أحسن خاتمتنا، وامتنا على ما تحب، ميتة فيها فخر لأولادنا، لا عار يلاحقهم. اللهم، أحسن عاقبتنا، وأجبر خاطر أختي جاكلين، واصلح لها أبناءها. يا جابر المنكسرين.

أنهت منى الاتصال، وضع علي هاتفه أمامه. ومد يده يمسح جبينه، وصوت منى يطن في مسمعه كصاعقة صامتة، وصورة جاكلين بملامحها وانكسارها يخيم على مخيلته. تراجع بجسده المثقل ليستند إلى الكرسي الملاصق لجدار مطعمه لركن المحاسب. سحب نفسًا عميقًا، وأجواء المطعم تفوح برائحة الطعام والبهارات الهندية، نظر إلى تزاحم الزبائن، وحركة العمال، وهمس لنفسه بمرارة: آه.. يا جيمس.. في حياتك رميت عليّ حملًا ثقيلًا، كان حلمي الخلاص منه.. والآن، أورثني تركة مرهقة لا أقوى عليها.. مسح وجهه بيديه، وقال: يا ربي، ارحمني.. تذكر تكرار نظرات رغد له، وهو يمازح وليام وروز ويهتم بهما. وكلم نفسه: كانت الغيرة تملأ عينيها وجيمس حي يرزق، فكيف الآن وجاكلين أرملة منكسرة، وولداها يتيمان! هل أتركها تذهب بعيدة عنا! أو أهتم بها على حساب زوجتي وعائلتي؛ فرغد لن تكون بلا غيرة! ولن تشفع لي مناداتي لها بـ(يا أختي).. يا ربي..

لم يترك طيف انكسار جاكلين مخيلة بيان، لم تجهز وجبة الغداء في ذلك اليوم، بل جهزتها ابنتها معتمدة على المتبقي من الطعام المحفوظ في الثلاجة. لم تستطع بيان تناول الغداء. كانت مستلقية في فراشها في غرفتها التي لم يبد الضوء عتمتها، وما تزال ملابسها ملقاة على الفراش.

حاولت النوم لكن دون جدوى، فكتفت بتغطية عينيها بجفنيها. لف الهدوء البيت. تعب جفناها من تغطية عينيها فتمرد عليها، نظرت إلى سجلها الذي تجمع فيه مادة مؤلفها اللغوي المقارن بالاشتراك مع رغد. تأملت في ألوان الأقلام فوق ذلك السجل، وراحت تكلمها: هل انتهت حياة جاكلين بموت جيمس، أو بدأت! لو أردت كتابة هذا المعنى بأي لون يجب أن أكتبه! اكتب أيها القلم الأسود: إن اللغة الإنجليزية رغم عالميتها، تظل لغة رتبة ومكان؛ فجيمس عاش حياته ككلمة إنجليزية حين فقدت مكانها ضاع معناها، ودمر جملته ذات المعنى المفيد. اكتب أيها القلم الأخضر: اللغة العربية هي لغة حركة وحرية، بطلها الإعراب المانح للكلمة معناها رغم تغير رتبتها واختلاف موقعها؛ فعلي ورغد تحركا في حياة جاكلين محتفظين بمعناهما وعلامة علي الرفع بالشهامة الظاهرة منونًا بتنوين تمكين الرجولة، وعلامة رفع رغد الضم محذوف التنوين لتأنيث الحب كحذف التنوين لإضافة الألفة بالصبر. وعلامة منى ضمة مقدرة من اسنادها تصدر جاكلين. ساند أيها القلم الأحمر صديقك الأخضر لتخط خطك تحته. ثم اكتب أيها الأحمر، إن مأساتنا في الترجمة الحرفية التي ترجمت بها جاكلين الهروب من واقعها، واختارت قشر ثقافة وظاهر تحضر، دون أن تتعمق في الجوهر، وترجم بها جيمس معنى الحرية؛ فتخلى عن إنسانيته ومسؤولياته، فمات نكرة محضة بعيدًا عن جملة مفككة. اكتب أيها الأحمر، يجب الترجمة وفق استقامة النحو، ومعرفة دقة القيم العربية، وشهامة تركيب الجملة، وسياقها الاجتماعي. استرح أيها الأحمر، واعطِ القيادة للوردي ليكتب: مهما اختلفت اللغات وتباينت قواعدها النحوية، فإنها مشتركة في أن الإنسان نكرة حتى يضيفه عمله إلى معرفة الإنسانية؛ فيكتسب معرفة الخير. ثم همست لنفسها: كانت سعاد محذوفة التنوين لأنوثتها التي تغنيها عن التنوين، ثم صارت جاكلين التي تمنعها عجمتها من التنوين. اسم جاكلين الذي معناه التابعة أو المتعقبة. هل هي تعلم معنى الاسم الذي اختارته! أو صدفة جاء اسمها يدل عليها! والآن هل ستكون فاعل بيتها المرفوع بضم ولديها بحنان ظاهر وحب دائم! أما أنت يا جيمس، فمحرم عليك تنوين تمكين الشهامة الإنسانية. لم تكن إلا نائب فاعل، لكن أسفي على الضمة التي تظهر عليك وتقدر على منى.

اكتب أيها الأزرق؛ ليخط تحتك الأحمر: الحياة هي اللغة، فيها المرفوع بهمة الابتداء، وقوة الاسناد، والمنصوب بصبر التفاني بفتحه ذراعي الاحتواء، وفيها المجرور بحرف لا يتخلص من

جر مآسيه، وفيها المبني بسكون الكسل وجمود الرضوخ. يبقى القوي فاعلًا وإن كان فعله أمر بالمعروف، وتبقى ركنا الجملة الاسمية مودة ورحمة وإن غاب الفاعل، وتقلب الزمان. تسلل عبير الهيل إلى أنفها، أدارت وجهها نحو الباب وهي تشم بعمق، فطرق سمعها دقات على باب غرفتها: ماما، أريد أن أشرب الشاي معك.

بينما كانت رغد في ذلك المساء، تجلس في بيتها الغارق في صمت مهيب لا يشبه سكون القيلولة المعتادة. توزع نظرها بين جاكلين التي لا تقوى على الجلوس، ولا تريد فتح عينيها، فمنذ دخولها بيت رغد، رمت بجسدها على الفراش، وغطت رغد جسدها دون وجهها، وبين وليام وروز اللذين يجلسان عند رأسها كجناحي طائر مكسور.

تأملت رغد في وجه جاكلين الشاحب الذي رسمت عليه الفجيعة أخاديدها العميقة، ملامحها مستسلمة لجاذبية الحزن، فمها مرتخ قليلًا، يخرج منه زفير ثقيل أقرب إلى تنهيدة عالقة. همست رغد لنفسها: حتى وإن كنت هاربة بالنوم، فوجهك يشي بأن روحك ما زالت واقفة في طابور الهم، منتظرة معجزة تمسح عنك غبار السنين وهم الدين، وندبة الغد من يتم القلب والعوز.. وجهك يبدو صحراء متعطشة لغيث السعادة التي لم ترينها.. أمعنت رغد النظر في وجه جاكلين، متأملة؛ أهذه هي المرأة التي كانت تقف بشموخ في المدرسة رافعة حاجبيها بازدراء، وتعلن أنها غربية الهوى، وأن العرب واللغة العربية أطلال باكية! تذكرت مرارة كلمات جاكلين القديمة متفاخرة بجيمس وحضارته. وقالت في نفسها: كأن الأطلال انتقمت منها فرمتها ببكائها! وكأن قلعة جيمس التي تتحصن بها ما هي إلا قلعة من رمال لم تحميها من اخفائها سعاد! ثم داهمتها صورة زوجها علي، فتذكرت لهفته، واتصالاته المتكررة، وحرصه على مساعدتها، ثم قالت لنفسها: هل ستكتفي بكلمة يا أختي! هل ستتوقف شهامتك لهذا الحد! فشعرت بوخزة ضمير، وقالت: العربي الأصيل مبني على شهامة لا يغيرها الإعراب، ولا يسكنها الوقف. استغفر الله.. أعوذ بالله من هذه النفس الشريرة، فحتى فتون ونرجس بكتا بحرقة منكسرتين على حال جاكلين، أظنهما كاذبتين في كل شيء إلا حزنهما على جاكلين.. أعوذ بالله من الشيطان الذي وسوس لي وجعلني أسوء من فتون. فلكن مثل منى التي كانت جدارًا استندت عليه جاكلين حين سقطت.. فعلًا منى هي النحو المستقر في لغتنا والوجه الناصع لهويتنا، والأخريات محسنات بديعة تظهر في المناسبات، والشيطان جعلني دونهن جميعًا.. أستغفر الله. طبعت قبلاتها على رأس وليام

وروز، وانسحب بهدوء نحو مكتبتها، والكلمات تزدحم في رأسها كجيوش تبحث عن ترتيب. دخلت مكتبتها، أغلقت الباب خلفها، وهي تنظر إلى ابنها حسين جالسًا وحيدًا، قائلة: يلعن هذه الدنيا التي يمتص حزنها رحيق صبانا. جلست، والكتب أمامها، تذكرت مكان جلوس بيان. ثم نظرت إلى السجل والأقلام. حدثت نفسها: سعاد في جملة جيمس تابع لا محل لها من الإعراب، تسعى لتكون مبتدأ يتصدر الكرامة، وجيمس بجملته فضلة تعجز أن تكون عمدة، وفتون فقدت موقعها الإعرابي، وحذفت علامتها وعلامات كلمات جملتها، والباقون رأوا اللام، لكنهم عرفوا تشديد أول الشمس والضباب. واللغة العربية لغة تحتفظ بالهوية، بينما الإنجليزية، لغة موقع محدد.

قلبت صفحة في سجلها، واختارت صفحة جديدة ملونة بلون زاهي منسق فيها ورد جميل، وكتبت: كل لغة جميلة بأنوثتها غير أن زهراء منعمة مترفة تكثر من تجميل نفسها على الدوام، وجاكلين متعبة مرهقة لم تتزين. وكلمات زهراء حرة، تتنقل حسب المعنى لا الشكل كضابط تعرفه رتبته التي تعلو كتفه سواء تقدم أو تأخر، أما كلمات جاكلين، فسجينة الترتيب الصارم، تضيع هوية وتسود الفوضى بتغيير المكان. فالقداسة عند زهراء للحدث، وللفرد عند جاكلين. ترجمة "ضرب الرقاب" هي يقين حب زهراء للغتها ودينها وحضارتها، وهي الترجمة ذلتها التي قتلت جيمس قبل موته، ودمرت جاكلين، وجعلتها جملة إنجليزية تحبس كلماتها في نص عربي يحرك كلماته برتب الشهامة. ويبقى فهم اللام الشمسية وقراءة حرفها المشدد من يبدد الضباب. ومن لا يعرب نفسه بوضوح يظل مجرورًا بالتبعية.

توقفت عن الكتابة، وفجأة مزقت الورقة من سجلها، واختارت صفحة أخرى، رأتها أجمل منها، وبدأت بالكتابة من جديدة، وعيناها غائرتان، حاجباها تسكنهما قطبة صغيرة: فلنكن فاعلًا مرفوعًا أمام صعوبات الحياة وأقدراها، ونائب فاعل أمام مشيئة الله. منطلقين من قاعدة التطابق بين قولنا وفعلنا. ولتكن ترجمتنا بلساننا لا بلسان الغريب الذي يقرأ لام الشمس، ولا يفهم تشديد سينها، فيتيه في الضباب خاسرًا حصن هويته.

نحن لا نختار الأسماء في قاموس القدر، بل نختار المواقع الإعرابية. لقد ظنت جاكلين أنها أداة استثناء من واقعنا، تعيش في جملة إنجليزية لا يشوبها الغموض، ولا تقبل التأويل، دون أن

تحسب حسابها لدخول حرف جر يكسرها بفتحة ظاهرة ترجعها من عالم الأوهام إلى عالم إلى عالم قاسٍ يجردها من تمكينها، فيحيلها من تنوين تنكيرها لأصلها بالتأنيث والعجمة إلى سعاد تأنيثها بلا عجمة. وما فتون ونرجس وإسراء إلا نون نسوة تبني فعل الوجع الحالي بضجيج آني، لا كمثل منى التي هي علامة مسند لرفع حياة جاكلين. وما أنا وعلي إلا كجملة شرطية؛ أداتها موت جيمس، وجوابها فعل مستقبل مجهول. خوفي، يا علي أن لا نتحول من مبتدأ وخبر في بيتنا إلى جملة اعتراضية في كتاب حياة جاكلين. أنت فاعل جملتي فلا تكن نائب فاعل.. خوفي من وليام وروز أن يكونا عمدة بيتك، ونكون نحن فضلته.. سكتت قليلًا، ثم قالت: لا، لا، يا علي، فأنت علم للشهامة، يعلوك تنوين، غير جيمس النكرة الموغلة في الإبهام. ومدت يدها على سنسالها (عقال أبيها) في رقبتها، وقالت بحدة: أما أنا فأستعيذ بالله من شر نفسي والشيطان، ولن أكون إلا الضمير المستتر المؤكد بضمير ظاهر منفصل لحماية هذا كله بدمعه وصبره، وأهمية وجود تفانيه. مسحت عينيها ورأسها بيدها الشمال، والقلم ما زال متمسكًا بأصابعها، ثم نهضت وتوجهت نحو شباك مكتبتها، أزاحت الستار، وحولت نظرها من أشجار الحديقة إلى السماء، والوان الشمس تتلون بلون زجاج النافذة، فتحت الشباك، فنعكس ضوء الشمس في عينيها، وقالت، بصوت واضح ونبرة جادة واثقة: سقطت أقنعة اللغات بموت جيمس، وشمخ النحو الأساسي بصدق فاعله الموصوف وصفة الرحمة. أما الغيرة والأنانية فسيظلان مستثنى منصوبًا في قلبي، أحاول اخراجهما من جملة حياتي مع زوجي، كي أحمي الحب بيننا والمودة من الجزم، وتسكين الوقف. ستبقى شمس المواقف مشرقة لتسمعنا أصوات من يكتيهم القدر في تاريخنا بوضوح كاللام الشمسية، تلك الأصوات التي تذوب خجلًا أو انكسارًا في ضباب الغربة.. أحست باحتضان مفاجئ، فأدارت وجهها، لترى روز وفاطمة ووليام وحسينًا، حولها فبادلتهم الاحتضان مبتسمة، وزعت قبلاتها عليهم، ثم وقف حسين ووليام أمامها، وفاطمة وروز بجانبيها تحت ذراعيها، ينظرون إلى الشمس من أمام تلك النافذة المفتوحة، وعطر أزهار الحديقة يداعب أنوفهم.. ورغد تقول لوليام: يا أبا ليلى، بصوتك الجهوري الجميل، نادِ على سعاد لتأتي معنا، تنظر لألوان الشمس وخضرة الحديقة، وتشم عطر الورود..

اقرأ للمؤلف:

1- أبحاث تقابليه في اللغتين العربية والإنجليزية.
2- أساليب الطلب في اللغة العربية والإنجليزية والفارسية دراسة تقابلية.
3- أقسام الكلام الإنجليزي–في اسئلة واجاباتها.
4- التصريف والاشتقاق والتركيب في الإنجليزية.
5- التنكير والتعريف في اللغتين العربية والإنجليزية.
6- جماليات بيانية في أربع مقولات للإمام علي عليه السلام.
7- دلالة الاسم النحوية في اللغتين العربية والإنجليزية (حالة الرفع).
8- دلالة الاسم النحوية في اللغتين العربية والإنجليزية (حالتي النصب والجر).
9- صراخ خالد (رواية).
10- الصفة في اللغتين العربية والإنجليزية–دراسة تقابلية.
11- العودة (رواية).
12- فصول تقابليه في اللغتين العربية والإنجليزية.
13- القواعد الأساسية للغة الإنجليزية (في الجملة).
14- القواعد الأساسية للغة الإنجليزية (في الكلمة).
15- قواعد الكلمة في اللغة الفارسية.
16- قواعد اللغة الإنجليزية–في اسئلة واجاباتها.
17- اللغتان العربية والإنجليزية–دراسة تقابلية.
18- مباحث لغوية.
19- من أساليب اللغتين العربية والإنجليزية–دراسة تقابلية.
20- من قواعد اللغتين العربية والإنجليزية–دراسة تقابلية.

اللاَمُ الشَّمسِيَّةُ فِي ضَبَابِ الغُرْبَةِ

علي كريم ناشد

تتّعانقُ اللغةُ والذاكرةُ، فيصيرُ الحرفُ هويةً، ويغدو التراثُ حياةً؛ فلا انطفاءَ مع الحضور، ولا ضياعَ مع الوعي. اللّامُ الشَّمسيةُ إشراقٌ وسطَ الضباب، حضورٌ لا غياب، وتعريفٌ لا تنكير؛ بها يُعرَفُ الاسمُ كما تُعرَفُ الذّاتُ.

هكذا يبقى الأصيلُ، وإن تَغَرَّبَ، ثابتًا لا يذوبُ لا يذوبُ، واضحًا لا يغيبُ، يحملُ وطنَه حرفًا وطنه حرفًا، وقلبًا، وضياءً لا ينطفئ.